الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

دواة

DAWAT

مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

رقم الإيداع في دار الوثائق

العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org

E-mail: daralarabia@imamhussain.org

mob:+9647700477445 — +9647734616433

+9647827236864 — +9647721458001

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ
وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ

صدق الله العلي العظيم

(الروم : 22)

رئيس التحرير

أ.م.د. خالد عباس السياب

هيـــــأة التحريـــــــر

أ.د. مصـــــطفى الضـــبع / مصـــر / جامعة الفيـــوم
أ.د. محمـــود محمـــد الحسن / سـوريا / جامعـة حمـــاة
أ.د. عبـد العـلي الـــودغيري / المغرب / جامعـــة الربـــاط
أ.د. نصر الدين بن محمد الصادق / الجزائر / جامعة الشهيد حمه لخضر
أ.د. غزلان هاشمي / الجزائر / جامعة محمد الشريف مساعدية
أ.د. صاحب جعفر أبو جناح / العراق / الجامعة المستنصرية
أ.د. صبـــاح عبـــاس الســـالم / العراق / جامعـــة بابـــل
أ.د. محمد جـواد محمـد الطـريحي / العـراق / جامعة بغداد
أ.د. كريـــم حســـين ناصـح / العراق / جامعـــة بغـداد
أ.د. رحيـم جبـر الحسنـاوي / العراق / جامعـــة بابـــل
أ.د. فـــاروق الحبوبـــي / العراق / جامعـــة كربـــلاء
أ.د. أحمـد جـــواد العتـــابي / العراق / الجامعـة المستنصـرية
أ.د. مهدي صالـــح الشمري / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.د. لطيفة عبد الرسول الضايف / العراق / الجامعة المستنصرية
أ.د. صـادق حسين كنيـج / العراق / الجامعـة المستنصـرية
أ.د. محمـد عبـد مشكـــور / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.د. نجـم عبد الله غـالي الموسوي / العراق / جامعة ميسان
أ.د. كريمـــة نومـاس المـدني / العراق / جامعـــة كربـــلاء
أ.د. فـــائز هـــاتو الشـــرع / العراق / الجامعة المستنصـرية
أ.م.د. طـــلال خليفـــة سلمان / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.م.د. حســـن جعفـر صـــادق / العراق / جامعـــة بغـــداد
أ.م.د. خـالد سهـر محـي / العراق / الجامعـــة المستنصـرية
أ.م.د. حيـــدر عبـد علي حميـــدي / العراق / جامعة كربلاء
م.د. كـــاشف جمـــال / الهنـد / جامعـــة جـــواهر لال نهـرو

مديـــــر التحريـــــــر

د. لطيـــف القصـــاب

التـــدقيق اللغـــوي

اللغـــــة العربيـــــة

أ.م.د. غـانم كامـل سعود
الأستـاذ عبـاس الصبـاغ

اللغـــــة الانكليزيـــــة

م.م. مظفـــر الربيعـــي

محرر الموقع الألكتروني

حيـــــدر العـــــامري

التصميـم والإخـراج

حســام الديـــن محمـــد

التنســـــــيق

م. حســـن الزهيـــري
عـز الـدين صـالح الطائي

المتابعـــــــــة

أم.د. حســـين محمديـــان
محمـــد عـــلي الربيعـــي
عـــلاء الـــدين الحســـني
قاســـم المـــوسوي
مصعب هـــادي الـنعماني
حيـــدر ازهـــر الفتـــلاوي

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة لمجلة دواة

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

"معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

الرقم :ب ت ٤ / ٩٦٠٨
التاريخ : ٢٠١٤/١٠/٢٢

No:
Date:

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة الحسينية المقدسة

م / مجلة دواة

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ،وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لاغراض الترقية العلمية في "**مجلة دواة**"المختصة بالدراسات وابحاث اللغة العربية الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

المحتويات

دليل المؤلفين..... ٦

كلمة العدد..... ١٤

أ د : عادل نذير بيري م٠م جعفر كاظم عبد
التوزيعُ المتلازمُ للبنية الصَّرفيَّة
(قراءة في الموروث الأندلسي) ١٥

أ . م . د . مرتضى عبد النبي علي الشاوي
سورةُ الحديدِ - دراسةٌ أسلوبية..... ٣١

أ.م.د. حسن غازي السعدي
الميزان الصرفي عند المحدثين ٥٥

أ.د. رعد أحمد الزبيدي م م أمجد عبد الرؤوف البرقعاوي
الفحولةُ الجمعيةُ في شعر الهذليين (دراسة ثقافية)..... ٧٩

أ.د. أَحْمَد جوَاد العتابيُّ م . م . مصطفى طالب خليف
الواقعُ اللغويُّ على شبكة التواصل الاجتماعي
((الفيسبوك) أنموذجا) ٩٩

د.أنس بديوي
الأشكالُ الايقاعيةُ المتجاورة في القصيدة الواحدة ١١٩

م.د لطيف نجاح شهيد القصاب
اللغةُ القانونيةُ وأخطاء الدلالة والتداول والتركيب
في البحث القانوني ١٣٧

أ. د. رحيم كريم علي م. م حسين جعفر عبيد
بِنْيَةُ الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ صِيْغَتَا التَّعَجُّبِ(ما أَفْعَلَهُ ، وأَفْعِلْ بِهِ)
قَرَاءةٌ فِي الوَظِيْفَةِ التَّدَاوُلِيَّة ١٥٩

م. د. حسنين عدنان مرتضى
(فاعليةُ استراتيجيةِ شبكات التفكير البصري(VTN)
في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة التاريخ)..... ١٨١

دليل المؤلفين

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة الملتزمة بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا والمكتوبة بإحدى اللغتين العربية والإنكليزية في مجالات اللغة العربية و آدابها والدراسات التربوية.

٢. يقدم الأصل مطبوعاً على ورق (A4)بثلاث نسخ مع قرص مدمج(CD) بحدود (١٠٠٠٠_١٥٠٠٠) كلمة وبخط simplified Arabic)) على أن تُرقّم الصفحات ترقيمًا متسلسلاً بنظام (WORD 2007) .

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية وآخر باللغة الإنكليزية كل في حدود صفحة مستقلة على أن يتضمّنَ الملخص عنوان البحث باللغتين.

٤. يجب أن تتضمّن الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث و عنوانه ،وجهة عملِه ورقم هاتفه وبريده الالكتروني، وذكر أبرز الكلمات المفتاحية الخاصة بالبحث، مع عدم ذكر اسم الباحث او الباحثين في صلب البحث أو أية إشارة إلى ذلك باللغتين العربية والإنكليزية.

٥. يشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في آخر البحث وتراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في التوثيق.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش وفي حالة وجود مصادر أجنبية تخصص لها قائمة منفصلة عن قائمة المصادر العربية ويراعى في ترتيبها نظام (الألف باء) .

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويشار في أسفل الشكل إلى مصدره أو مصادره مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى وعليه أن يشير إلى أنّ البحث قد قُدِّم إلى مؤتمر أو ندوة وانه لم ينشر ضمن أعمالها -إن شارك به في مؤتمر أو ندوة- ويشار إلى اسم الجهة العلمية أو غير العلمية التي قامت بتمويل البحث أو المساعدة في إعداده .

٩. يجب أن لا يكون البحث منشوراً سابقاً وليس مقدماً الى اي وسيلة نشر أخرى .

١٠. تعبّرُ جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجهات فنية .

١١. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أ قُبلت البحوث للنشر أم لم تقبل وعلى وفق الآلية الآتية :

أ. يبلغ الباحث بتسلم المادة المرسلة للنشر .

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع .

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحددة كي يعملوا على أعدادها نهائيا للنشر .

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج.يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٢. يراعى في أسبقية النشر :

أ. البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار

ب. تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث

ت. تاريخ تقديم البحوث التي يتم تعديلها

ث. تنويع مجالات البحوث كل ما أمكن ذلك

١٣. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير على أن يكون ذلك في مدة أسبوعين من تاريخ تسلم بحثه .

مجلة دواة

استمارة نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة

بموجب هذه الوثيقة أوافق / نوافق على نقل حقوق النشر والتوزيع والملكية الفكرية إلى هيأة تحرير مجلة دواة للبحث الموسوم .....

.....

كما أنني المؤلف (المؤلفون) الموقع / الموقعون أدناه اتعهد / نتعهد واقر /نقر بما يلي:

١- ان البحث لا يتضمن أو يحتوي على مواد مأخوذة من مصادر أخرى محمية بحقوق الطبع والنشر.

٢- لم يقدم هذا المخطوط للنشر كليا او جزئيا لأية جهة اخرى سواء في مجلة علمية أم صحفية ام وسيلة اخرى.

٣- الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي في كتابة البحث المعنون أعلاه وتحمل كافة المسؤولية القانونية عن الحقوق الفكرية والمادية للغير.

٤- الموافقة على نشر المخطوط في المجلة بأية وسيلة سواء أكانت مطبوعة أم الكترونية أم اية وسيلة اخرى وعلى نقل حق النشر والتأليف إلى هيأة تحرير مجلة دواة.

٥- التقيد بتعليمات النشر المعمول بها في المجلة وتدقيق البحث لغويا.

٦- الالتزام بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقييم كافة في حال الرغبة في سحب البحث أو عدم متابعة إجراءات نشره.

٧- يحتفظ المؤلف (المؤلفون) بجميع حقوق الملكية مثل حقوق براءات الاختراع والحق في استخدام كل أو جزء من المقالة في الأعمال المستقبلية الخاصة بهم مثل المحاضرات والبيانات الصحفية وتنقيح الكتب المدرسية.

٨- في حالة موافقة هيأة تحرير المجلة على نشر البحث أوافق / نوافق على أنه ليس من حقي/ حقنا التصرف بالبحث سواء بالترجمة أم الاقتباس أم النقل من البحث المذكور أعلاه أم تلخيصه أم الاستفادة منه بوسائل الإعلام، إلا بعد الحصول على موافقة خطية من رئيس التحرير.

اسم الباحث الرئيس.....رقم الهاتف.....

اسم المؤسسة التي يعمل بها الباحث.....

عنوان البريد الالكتروني للباحث الرئيسE-mail .....

تسلسل الباحثين (إن وجدوا) مرتبين حسب تسلسلهم في البحث عند النشر في المجلة:

اسم الباحث التوقيع

١-

٢-

٣- التاريخ

ملاحظة يرجى إرسال نسخة ممسوحة ضوئيا من الاستمارة الموقعة حسب الأصول عن طريق البريد الالكتروني إلى رئيس التحرير.....

أخلاقيات النشر:

يجب على الباحثين إجراء أبحاثهم بداً من مقترح بحث إلى موضوع نشر بما يتماشى مع أفضل الممارسات وقواعد سلوك الهيئات المهنية ذات الصلة و / أو الهيئات التنظيمية الوطنية والدولية. وفي حالات نادرة، فانه من الممكن مواجهة القضايا الأخلاقية أو سوء السلوك او التصرّف في المجلّة المعنية عند تقديم البحث للنشر فيها.

المسؤوليات الأخلاقية للمؤلفين:

تلتزم هذه المجلة بدعم نزاهة السجل العلمي. و هي بوصفها عضوا في لجنة أخلاقيات النشر(COPE) ، فان المجلة ستتبع توجيهات COPE حول تطبيق المبادئ التوجيهية المتعلقة بكيفية التعامل مع أفعال سوء السلوك او التصرف المحتملة.

ينبغي ان يمتنع المؤلفون عن تحريف نتائج البحوث التي قد تؤدي الى الحاق الضرر بالثقة في المجلة، والكفاءة المهنية للتأليف العلمي، وفي نهاية المطاف الاضرار بالمسعى العلمي بأكمله، حيث يتم الحفاظ على نزاهة البحث وعرضه باتباع قواعد الممارسة العلمية الجيدة، والتي تشمل *:

• يجب عدم تقديم نسخة البحث إلى أكثر من مجلة واحدة للنظر فيها في نفس الوقت.

• ينبغي ان يكون العمل المقدم أصلياً و ان لا يكون قد نُشر في أي مكان آخر بأي شكلٍ أو لغة (جزئيا أو كليا) ، إلا إذا كان العمل الجديد يتعلق بتوسيع العمل السابق. (يرجى توفير الشفافية بشان أعاده استخدام المواد لتجنب المخاوف المتعلقة بإعادة تدوير النصوص (السرقة الأدبية).

• يجب عدم تقسيم الدراسة واحدة إلى عدة أجزاء لزيادة كمية المواد المقدمة وتقديمها إلى العديد من المجلات أو إلى مجلة واحدة بمرور الوقت (مثلا «تقطيع / نشر السلامي»).

• يكون النشر المتزامن أو الثانوي مبررًا في بعض الأحيان، شريطة استيفاء شروط معينة. تشمل الأمثلة: ترجمات أو نسخة بحوث مخصصّة و موجهة لمجموعة مختلفة من القرّاء.

• يجب تقديم النتائج بوضوح وبصراحة دون تلفيق أو تزوير أو معالجة غير لائقة للبيانات (بما في ذلك التلاعب القائم على الصور).

يجب على المؤلفين الالتزام بالقواعد محددة التخصصات، والخاصة بالانضباط للحصول على البيانات واختيارها ومعالجتها.

• لا يتم عرض أي بيانات أو نصوص أو نظريات من قبل الآخرين كما لو كانت خاصّة بالمؤلف (السرقة الادبية).

يجب تقديم إقرارات مناسبة لأعمال أخرى (بما في ذلك المواد التي يتم نسخها نفسها (تكاد تكون حرفية) وتلخيصها و / أو إعادة صياغتها)، وتستخدم علامات الاقتباس (للإشارة إلى الكلمات المأخوذة من مصدر

آخر) للنسخ الحرفي للمواد، والأذونات المضمونة للمواد التي تخضع لحقوق الطبع والنشر.

ملاحظة مهمة: قد تستخدم المجلة برنامجًا على الحاسوب للكشف عن السرقة الادبية.

- يجب على المؤلفين التأكد من حصولهم على أذونات لاستخدام البرمجيات والاستبيانات / المسوحات على الانترنت والمقاييس في دراساتهم (إذا اقتضى الامر ذلك).
- ينبغي علي المؤلفين تجنب التصريحات غير الصحيحة عن الكيان (الذي يمكن ان يكون شخصاً فرديا أو شركة) أو أوصاف سلوكهم أو أفعالهم التي يحتمل ان ينظر اليها علي انها هجمات شخصية أو ادعاءات او مزاعم بشان ذلك الشخص.
- ينبغي ان تكون البحوث التي قد يساء تطبيقها بحيث تشكل تهديداً للصحة العامة أو الأمن القومي محددة بشكل واضح في نسخة البحث (مثل الاستخدام المزدوج للبحث).ومن الأمثلة على ذلك خلق النتائج الضارة للعوامل أو السموم البيولوجية، وتعطيل مناعة اللقاحات، والمخاطر غير العادية في استخدام المواد الكيميائية، و البحوث / التكنولوجيا الخاصة بالتسليح (من بين أمور أخرى).
- يُنصح المؤلفون بشدة بالتأكد من مجموعة المؤلفين، و Corresponding Author المؤلف المعني، وان يكون ترتيب المؤلفين جميعهم صحيحاً عند تقديم ورقة البحث. لا يُسمح عمومًا بإضافة و / أو حذف المؤلفين خلال مراحل مراجعة البحث، ولكن قد يكون هناك ما يبرر ذلك في بعض الحالات حيث ينبغي شرح أسباب التغييرات في التأليف بالتفصيل.

يرجى ملاحظة أنه لا يمكن إجراء تغييرات على التأليف بعد قبول ورقة البحث.

* كل ما سبق اعلاه هو إرشادات و توجيهات ويحتاج المؤلفون إلى التأكد من احترام حقوق الأطراف الثالثة مثل حقوق الطبع والنشر و / أو الحقوق المعنوية.

ينبغي للمؤلفين، بناء علي الطلب، ان يكونوا علي استعداد لإرسال الوثائق أو البيانات ذات الصلة من أجل التحقق من صحة النتائج المقدمة. ويمكن ان يكون ذلك في شكل بيانات أولية أو عينات، او سجلات، وما إلى ذلك ، و يتم استبعاد المعلومات الحساسة في شكل بيانات سرية أو ملكية فكرية خاصة.

إذا كان هناك اشتباه في سوء السلوك أو الاحتيال او الغش المزعوم، فستقوم المجلّة و / أو الناشر بإجراء تحقيق وفقًا لإرشادات COPE. إذا كانت هناك مخاوف فعلية صحيحة بعد التحقيق، فسيتم الاتصال بالمؤلف (المؤلفين) المعنيين تحت عنوان البريد الإلكتروني الخاص بهم و ستتاح لهم الفرصة لمعالجة هذه المسالة.

اعتمادًا على الموقف، قد ينتج عن ذلك تنفيذ التدابير التالية من قبل المجلة و/ أو الناشر، بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- إذا كانت ورقة البحث لا تزال قيد الدراسة ، فقد يتم رفضها وإعادتها إلى المؤلف.
- إذا كانت ورقة البحث قد نشرت بالفعل على الإنترنت ، وهذا يتوقف على طبيعة وشدة الانتهاك او الخرق:

١. قد يتم ذكر وجود خطأ مطبعي / تصحيح مع المادة العلمية.

٢. يمكن وضع عبارة للتعبير عن القلق ازاء هذه المادة العلمية.

٣. أو في الحالات الشديدة قد يحدث سحب للمادة العلمية او التراجع عنها.

سيتم تقديم السبب في حدوث أخطاء المطبعية المنشورة / وتصحيحها أو التعبير عن القلق أو مذكرة التراجع عن المادة العلمية. يرجى ملاحظة أن التراجع عن المادة العلمية يعني أنها ستكون محفوظة على المنصة على الموقع، وسوف توضع عليها علامة مائية «تم التراجع retracted» ويتم تقديم توضيح حول سبب التراجع في ملاحظة مرتبطة بالبحث الذي يحمل علامة مائية.

- قد يتم ابلاغ مؤسسة المؤلف.

ويمكن ادراج اشعار بالانتهاك المشتبه فيه للمعايير الأخلاقية في نظام استعراض النظراء كجزء من سجل المكتبة (السجل البيبلوغرافي) الخاص بالمؤلف و المادة العلمية.

الأخطاء الأساسية:

انّ المؤلفين ملزمون بتصحيح الأخطاء بمجرد اكتشاف خطأ كبير أو عدم دقة في مادتهم المنشورة، حيث يُطلب من المؤلف / المؤلفين الاتصال بالمجلة وتوضيح المعنى الذي يؤثر به الخطأ على المادة المنشورة. يعتمد اتخاذ القرار بشأن كيفية تصحيح المصادر التي اعتمد عليها المؤلف تعتمد على طبيعة الخطأ، فقد يكون هذا تصحيحًا للمادة أو تراجعًا عنها. يجب أن توفر ملاحظة التراجع شفافية كاملة حول معرفة أي من أجزاء المادة العلمية تكون متأثرة بالخطأ.

اقتراح المراجعين او استبعادهم:

ان المؤلفين مدعوون لاقتراح المراجعين المناسبين لمراجعة بحوثهم و/أو طلب استبعاد بعض الافراد المعينين عندما يقدمون اوراق بحوثهم. فعند اقتراح المراجعين ، يجب علي المؤلفين التأكد من ان المراجعين يكونون مستقلين تماما وغير مرتبطين بالعمل بأي شكل من الاشكال. يوصى بشدة باقتراح مزيج من المراجعين من البلدان مختلفة والمؤسسات المختلفة. عند اقتراح المراجعين، يجب على Corresponding Author المؤلف المعني توفير عنوان بريد الكتروني خاص بمؤسسته لكل مراجع مقترح للبحث، أو، إذا لم يكن ذلك ممكنا لتضمين وسائل أخرى للتحقق من الهوية مثل رابط إلى صفحة رئيسية شخصية، رابط إلى سجل المنشور أو الباحث أو تعريف المؤلف في خطاب أو كتاب التقديم. يرجى ملاحظة أن المجلة قد لا تستخدم الاقتراحات، ولكن الاقتراحات موضع ترحيب وقد تساعد في تسهيل عملية مراجعة النظراء.

معنى Corresponding Author هو المؤلف الذي يتم التواصل معه اثناء مرحلة نشر و تحكيم الورقة البحثية، كما يتم الاتصال به في حالة وجود أي شيء يتعلق بالبحث بصفة عامة.

دليل المقيم

اسم المحكم: المرتبة العلمية:

الجامعة: الكلية: القسم:

عنوان المقالة:

تاريخ وصول البحث الى المحكم .. / .. / ٢. ..	تاريخ اعداد التحكيم ../ .. / ٢. ..
مدى تطابق موضوع الورقة مع اختصاص المحكم ☐ عال ☐ متوسط ☐ ضعيف	المنهجية العلمية في استنباط النتائج ☐ ممتاز ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
محتوى الورقة ☐ نظرية جداً ☐ نسبة متزنة من الجانب النظري والتطبيقي ☐ تطبيقية جداً	تقسيم النتائج في الورقة ☐ ذات تطبيقات مهمة ☐ ذات تطبيقات جديرة بالاهتمام ☐ متوسطة الاهمية ☐ ضعيفة بدون تطبيقات واضحة
القيمة المضافة الى قطاع المعرفة ☐ المفاهيم النظرية جديدة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج جديدة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج معروفة ☐ المفاهيم النظرية معروفة، والنتائج غريبة ☐ المفاهيم النظرية غريبة، والنتائج غريبة	منهجية البحث ☐ ممتازة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
هل نُشر البحث مضمون البحث سابقاً ☐ نعم ☐ لا في حالة الإيجاب أين تم النشر؟ ..... نسبة الاستلال ببرنامج (Turnitin) ( )	المستوى اللغوي (الاسلوب والقواعد اللغوية) ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ متوسط ☐ ضعيف

حجم الورقة ☐ عدد الصفحات مناسب دون حشو ☐ عدد الصحفات غير مناسب (ثمة حشو فيها) ☐ غير متأكد	المراجع والإشارة إلى الأعمال السابقة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة
الأهمية الإجمالية من وجهة نظر القارئ ☐ ممتازة ☐ جيدة ☐ متوسطة ☐ ضعيفة	هل ترشح الباحث إلى جائزة أفضل ورقة علمية للعام الحالي ☐ نعم ☐ لا
نوع البحث ☐ بحث علمي اصيل في حال توافر الشروط الاتية: ١- يتناول موضوعه فكرة جديدة. ٢- له قيمة مضافة في حقل الاختصاص او يعالج مشكلة حديثة لم يسبق التطرق لها. ☐ بحث قيم في حال توافر الشروط الاتية: ١- يتوافر فيه شروط البحث العلمي . ٢- يقدم اضافة جديدة في احدى مفرداته	القرار النهائي ☐ غير صالح للنشر : المحتوى غير مناسب للمجلة ☐ صالح للنشر مع التعديل ☐ صالح لنشر دون تعديل

الملاحظات الموجهة إلى الباحث (او الباحثين)

(ملاحظات بناءة تعمل على رفع مستوى الورقة من حيث الشكل والمضمون)

الملاحظات الموجهة إلى هيئة التحرير(لن يراها الباحثون)

(ينبغي ملء الملاحظات مهما كانت نتيجة التحكيم، وهي تسمح لهيئة التحرير بأتخاذ القرار عن الاختلاف)

التوقيع:

البريد الالكتروني:

الهاتف:

الملاحظـــــات

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

للغة أهمية كبرى في حياة الأمم والشعوب ، فهي وعاء الفكر ووسيلة التعبير عن المفاهيم والثقافات والمواقف ، وبها يتحقق الانسجام والتوافق بين الأفراد في مجتمع ما ، ولهذا كله ، اعتنى الإنسان بلغته أيما اعتناء وحافظ عليها بما يملك من وسائل وبما يحفظ لها من اعتزاز وعصبية .

إن اللغة فضلا عن ما تقدّم واسطته لمزاولة دينه واظهار شعائره المقدسة وحفظ معتقداته ومتبنياته ، واللغة الهندية السنسكريتية خير مثال على ما نقول ، إذ كانت على قدر كبير من التنظيم والتقنين لأنها لغة كتاب الهنود المقدس (الفيدا) ، اعتنى الهنود بها في مستوياتها كافة ، الصوتية والمقطعية والصرفية والتركيبية ، كذلك فعل الإغريق بلغتهم ، أمّا العرب ومن اختلط بهم من المسلمين فكانت عنايتهم بالعربية مضرب المثل ، لأنهم كانوا يرمون من وراء ذلك الى حفظ القرآن الكريم وخدمته وفهم أسراره ، وهذا كله لايعرف إلاّ باللغة ، نعني: الفصحى التي حفظت الثقافة العربية الإسلامية ونقلتها جيلا بعد جيل فأدامت التواصل بين الأجيال وعزّزت منه وقوّت عرى الارتباط بين أبناء الأمة الواحدة وبين أبناء الدين الواحد ، الإسلام الحنيف الذي انبثقت منه حضارات متداخلة ومتقاربة ومتشابهة وثقافات يجمعها في إطارها العام فكر واحد هو الفكر الإسلامي بكل ما يحمل من سمو ورقي وسماحة وانفتاح .

لغتنا الفصحى حلقة من حلقات التوحد العربي الإسلامي في مستوى الفكر أو الثقافة أو الأهداف أو الطموحات بل في مستويات السياسة والاقتصاد والتربية ، لأنها الوجه المعبّر عن مبادئ الإسلام وأفكاره التي تتسم بالعالمية والشمول وتتصف بالبعد الإنساني المتكامل .

حريّ بنا نحن أبناءَ هذا العصر أن نُديم النظر في هذه اللغة بما يتناسب وحياتنا الجديدة ، ولا مانع من الافادة من التطورات الحاصلة عند الأمم الأخرى من حولنا ، فالمجتمعات الإنسانية تتواصل فيما بينها وتتعارف وتتثاقف ، فالعالِم السويسري « سوسير « مثلا ، قدّم نظريات ومفاهيم وأفكارا فرضت نفسها على الدرس اللغوي الحديث ، لأنها عامة وكليّة تقوم على مبدأ دراسة اللغة لذاتِها ومن أجل ذاتها ، فأفادت منها المجتمعات بصرف النظر عن الاختلاف في اللسان والتباين في قواعد لغاتهم وطريقة صياغة تراكيبها .

هيأة التحرير

التوزيعُ المتلازمُ للبنية الصَّرفِيَّة
(قراءة في الموروث الأندلسي)

The inherent distribution of the morphological structure
(Reading in the Andalusian heritage)

ا.د. عادل نذير بيري جعفر كاظم عبد
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية
.Dr. Adel Nazir Berry
.Mr. Ja’afer kadhim abed

كلمات مفتاحية: الأندلس / التوزيع المتلازم / الممنوع من الصرف / المخصِّص.

ملخص البحث

عرجَ هذا البحثُ إلى قضية مهمة من قضايا النحو العربي ألا وهي التوزيع المتلازم الذي يعدّ واحدا من أنواع التوزيع اذ يهتمّ بتوزيع الوحدات بشكل متلازم ، ولاسيما الوحدات أو اللواصق المقيدة التي تؤثّر في توجيه البنية الصرفية ومنها لاصقة المصوّت القصير (الجر) التي لا توزَّع إلاّ في نهاية البنية ، ولا تدخل إلاّ على الاسم من دون الفعل ؛ لخفّته ، لكنَّها تستبدل مع الفتحة ريثما ثقل الاسم ؛ لشبهه بالفعل ، وهذه علة عمل عليها جلّ القدماء ، ولا سيما الأوائل ، أمّا الأندلسيون فلا يرون أنَّ هذا تعليل مطرد ؛ لأنَّه راجع إلى المتكلم الذي يوجّه هذه الحركات باختياره ؛ فهو يعدل عنها إلى الفتحة منعًا من حدوث اللبس مع الاسم المضاف ، وهذا ما تنظر إليه التوزيعية على أنه استبدال بين المصوتات القصيرة ومنها لاحقة التنوين توزّع في لام البنية ، ولا فرق بينه وبين النون الأصل من حيث الصفة والمخرج ، وهذا ما أثبته التوزيع ، غير أنَّها طارئة جيء بها لغلق المقطع الصوتي امّا بقية الزوائد التي تلحق المنادى فقد برّرها الأندلسيون بوسيلة التعويض ، ويراها المحدثون وسيلةً للتخلص من الكراهية الصوتية. وعلى الله قصد السبيل

Abstract

This research has dealt with an important issue of Arabic grammar، which is the inherent distribution، which is concerned with the distribution of units in conjunction، especially the restricted units or adhesives that affect the orientation of the morphological structure، including short adhesive tape (traction) is distributed only at the end. Structure، and enter only on the name without the verb; for lightness، but it is replaced with the fatha until the weight of the name; These diacritical marks are his choice; Amend them to the aperture to prevent confusion with the name added، and this is seen distributive as a substitution between short votes، including suffix Alnnoy distributed in Lam structure، and there is no difference between him and the original N in terms of quality and output، and this is proven distribution، but it is emergency The rest of the appendages inflicted by the caller were justified by the Andalusians as a means of compensation.
God is intended.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .

أمَّا بعدُ ...

يحاول هذا البحث التوغل في الدراسات الحديثة ، ومن ثمَّ يسلّط الضوء على التراث العربي ، وذلك من خلال آلية التحليل بالتوزيع ، ذلك المنهج الذي ابتدعته مدرسة (ييل) الأمريكية ، وكانت فكرة التوزيع ولاسيما التوزيع المتلازم تبنى على أنَّ الوحدات المقيّدة تتوزّع بشكلٍ متلازمٍ ؛ فكل واحدةٍ التزمت مكانًا خاصًّا بها – وظيفةً ودلالةً - ولا تتغير إلاّ لأجل تغيير المسار الذي كانت عليه ؛ لِتلبس ثوبًا قشيبًا لا تمتُّ إلى حالتها الأولى بأيَّةِ صلة ، وهذا ما نحاول أن نتريّث معه من خلال هذا البحث الذي جعلته على مقدمة ، وتمهيد وقفت فيه على مفهوم هذا التوزيع ، ومبحث مقسَّمٍ على محاور تتبَّعت فيها مصاديق هذا التوزيع في التراث العربي ، غير أنَّي حاولت تسليط الضوء على التراث الأندلسي ؛ لما وجدته من مادة دسمة في هذا المضمار ، ولقلة توجيه الباحثين أنظارهم إليه ، ثم تلته الخاتمة ؛ فالمصادر ، ومن الله التوفيق .

التَّمهيدُ :

قبل أن نومئَ إلى مصاديق التوزيع المتلازم ، يجدر بنا أن نعرج على المبدأ الذي يندلع منه التوزيع المتلازم .

إنَّ التوزيع المتلازم هو نوع من أنواع التوزيع الذي اتخذته المدرسة الأمريكية وسيلةً للتحليل ؛ لهذا عُرِّفَ بأنَّه (منهج في التحليل اللغوي اتخذته مدرسة (بلومفيلد) ، أو مدرسة ييل yale .. وكان محور اهتمامها توزيع الوحدات اللغوية)[١] ، وهذه الآلية قائمة على فكرة الاستبدال بين الوحدات أو العناصر اللغوية[٢] .

أمّا التوزيع المتلازم ؛ فهو توزيع لهذه الوحدات أو العناصر ، لكن بشكل يمكن أن نصفه بالمقيَّد ، أي : ذلك الارتباط بين العناصر بحيث لا توزّع العلامات الإسمية إلاّ مع الأسماء ، ولا الفعلية إلاّ مع الأفعال[٣] ، ومثال هذا ما أشار إليه (ابن مالك ٦٧٢هـ) في ألفيته[٤] :

بالجر، والتنوين ، والندا ، وال
ومسندٍ للاسم تمييز حصل
بتا فعلتُ ، وأتت ، ويا افعلي
ونون أقبلن ، فعلٌ ينجلي

فهذه الوحدات وزّعها بشكل دقيق ، فكل وحدة قد أخذت موقعها ووظيفتها التي تؤديها والبنية التي تدخل عليها ، فاللاصقة الإسمية خاصة بالدخول على الاسم ، وهذا ما تضمَّنه البيت الأول ، واللاصقة الفعلية خاصة بالفعل ، وهذا ما تضمّنه البيت الثاني ، ويمكن أن نقف عند توزيعه للواصق الإسمية ؛ لِما للأندلسيين من رؤية توجيهيَّة لذلك من خلال المكث مع المصاديق .

ـ مصاديق التوزيع المتلازم :

تمثّلت مصاديق هذا التوزيع المتلازم للبنية الإسمية في البيت الأول بالآتي :

أولًا- الجرّ :

تدخل حروف الجر على الاسم ؛ فتوجب عليه أن لا يقبل من الحركات سوى الكسرة ، غير أنَّ بعض الأسماء يستعيض بالفتحة منها ؛ لأنَّه ممنوع من الصرف ، وعلة منعه وجود طارئٍ خاص بالفعل طرأ على الاسم ، ومنها الثقل ؛ فالذي منع من الصرف صار أثقل من المصروف[٥].

ويبدو أنَّ هذه العلة لا تقوم على أساس منطقي ، وهذا ما جعل (السهيلي ٥٨١هـ) يعترض عليه متسائلًا : ((أثقل حسيٌّ هو أم ثقل عقلي ؟ ، فإنْ

أردتم ثقلًا يدرك بالحس ، إمَّا بحاسة اللسان ، وإمَّا بحاسة السمع ، فلا شكَّ أنَّ فَرَزْدَقًا ، وشَمَرْدَلًا ، ومُسْحَنْكِكًا ، وحلكوكًا ، واشهيبابًا أثقل على الحاستين من زينب ، وسعاد ، وحسناء ، وإن عنيتم ثقلًا عقليًّا يدرك بالقلب ، ويوجد في النفس ؛ فلا شكَّ أنَّ قولك : هَمٌّ ، وغمٌّ ، وسخطٌ ، وبلاءٌ ، وجذامٌ ، وبرصٌ ، أثقل على النفس أن نسمعه من حسناء ،و كحـلاء))[٦] .

وعلته لدى (ابن مضاء٥٩٢هـ) : ((أنَّ الاسم أكثر استعمالًا منه ، والشيء إذا عاوده اللسان خفَّ ، وإذا قلَّ استعماله ثقل))[٧].

وإذا كانت العلة في منع الصرف هي الثقل ؛ فإنَّ المتبصّر في ألفاظ اللغة يجد ((في الأسماء ما هو أشدُّ شبهًا بالأفعال من هذه الأسماء التي لا تنصرف ، وهي منصرفة نحو : أَقَامَ إقامةً وما أشبهه ؛ فإقامة مؤنث ، والفعل مشتق منه ، ودالٌّ على ما يدلُّ عليه من الحدث ، وعامل – على مذهبهم – كالفعل ، وهو مؤكِّد له ، والمؤكِّدُ تابعٌ للمؤكَّد ، كما أنَّ الصفة بعد الموصوف ؛ ففيه التأنيث ، والتأكيد ، والعمل ، ودلالة الاشتقاق ، وإنْ لم تكن فيه التاء نحو : قيام ، ففيه أنَّه لا يثنى ، ولا يجمع كما أنَّ الفعل كذلك))[٨] .

فوصف القدماء للممنوع من الصرف على أنه ثقيل بعيد عن المنطقية والصواب ؛ لأنَّ الكثير من الأسماء قريبة الشبه بالفعل ، وأنها مشتقة منه وثقيلة ، وهي مصروفة لا يوجد أيُّ مانعٍ يمنعها من الصرف ، ومن ثمَّ أنَّ ما يقولون به من مضارعة بين الاسم الممنوع من الصرف ، والفعل : أمر يرفضه التوزيع ؛ فغير مقبول أن يستبدل الاسم من الفعل ، وهذا القيد في منع الاسم قبول التنوين يُزال حالما وجد ((ما يقوم مقامه من ألف ولام ، وإضافة))[٩] ؛ لهذا وضَّح (السهيلي ٥٨١هـ) العلة في منع الصرف من خلال تعليقه على التنوين في أنَّ ((المانع من صرف الأسماء استغناؤها عن التنوين الذي هو علامة للانفصال ، وإشعارًا بأنَّ الاسم غير مضاف إلى ما بعده ، ولا متصل

به ، وليس دخول التنوين في الأسماء علامة للتمكّن كما ظنَّه قوم ؛ فإنَّ العرب لا تريد أن تشعر المخاطب بتمكّن اسم ، ولا أيضًا قِرْطَعْبَة ، وهُدَبِد ، ودُرْدَاقِس ، وهي كلها منصرفة بأكثر تمكنًا في الكلام من أحمرَ ، وأشعرَ))[١٠] .

فالعلة في منع الصرف للدلالة على أنَّ الاسم غير مضافٍ إلى ما بعده ، وهذا ما رشَّحه من المحدثين الأستاذ (إبراهيم مصطفى) في كتابه (إحياء النحو) ذاهبًا إلى أنَّ الفتحة حركة خفيفة أخفُّ من السكون ، وأنَّ الكسرة علم الإضافة ، تدلُّ على أنَّ الاسم متعلق بما بعده ، وإنْ فُتح ؛ فلا ارتباط له بما بعده أي : منفصل[١١].

وعبَّر عن الممنوع من الصرف بقوله : (وبيَّنا أنَّ الفتحة لم تنب عن الكسرة ، وإنّما الذي كان أنَّ هذا الاسم لمَّا حرم التنوين أشبه – في حال الكسر- المضاف إلى ياء المتكلم إذا حذفت ياؤه ، وحذفها كثير جدًا في لغة العرب ؛ فأغفلوا الإعراب بالكسرة ، والتجأوا إلى الفتح مادامت هذه الشبهة ، حتى إذا أمنوها بأي وسيلة عادوا إلى إظهار الكسرة ، وذلك إذا بدئت الكلمة بأل ، أو أُتبعت بالإضافة ، أو أُعيدَ تنوينها لسبب ما ؛ فليس مع واحد من هذه الأشياء الثلاثة شبهة الإضافة إلى ياء المتكلم كما هو واضح)[١٢].

وهذه الآراء الثلاثة تعكس لنا وجهة نظر مقبولة من الجانب المنطقي والتوزيعي للبنية وما يتعلّق بها من مضاف ، ومع هذه الدقّة في هذا التوجيه اعترض بعض المحدثين عليه ، ولاسيما ما ذهب اليه

(السهيلي٥٨١هـ) معتقدًا أنَّ (رأي السهيلي فيه نظر ؛ لأنَّ التنوين بصفته علامة للتنكير ؛ فمن الطبيعي أن يحذف عند الإضافة ؛ لأنَّ الإضافة تعني التعريف ، ووجود التنوين مناقض في حالة الإضافة ...)[١٣].

ويبدو أن صاحب هذا الرأي كان واهمًا في فهمه لكلام (السهيلي٥٨١هـ) ، وكأنَّ إشارته إلى التنوين أنه قسَّمَ الكلام على قسمين : عام ، وخاص ؛ فما كان منونًّا كان مخصصًّا ، ويفيد العموم في غير المنوّن ، وفي حال الإضافة يسقط التنوين ، وهنا تعمل الإضافة عمل التنوين .

ثانيًا - التنوين :

لا يخفى أنَّ((التنوين نون ساكنة زائدة ، تلحق الاسم بعد كماله تفصله عمّا بعده ، وفائدته الدلالة على أنَّ ما هو أصل في نفسه ، باقٍ على أصالته))[١٤] ، وفي هنا تفريق واضح ((بينه وبين نون منطلق ونحوه ؛ لأنَّ هذه أيضًا نون ساكنة زائدة ، ولكنَّها لا تلحق الاسم بعد كماله))[١٥].

فهذه النون ملازمة للاسم ، واشترط فيها أن تأتي بعد لامه دلالةً على كماله ، وهي تفترق افتراقًا تامًّا بينها وبين النون الداخلة في تشكيل البنية ، وموافقة القدماء على رأيهم هذا يلزمنا أن نصف توزيع هذه النون بالتوزيع المتكامل ؛ لأنَّهم لا يقبلون أيَّ استبدال بين كلٍّ من النونين ، وهذا ما ألحُّوا عليه .

وبالرجوع إلى علم الأصوات يثبت الدكتور خالد إسماعيل أنْ لا فرق بين النونين مخرجًا وصفةً في كل كلمة وردتا فيها[١٦]...، ويبدو أن في كلامه شيئًا من المقبولية ، لا من جهة المخرج والصفة ، بل إنَّ النون تحمل من المعنى المغيّر للدلالة ما إن دخلت في تشكيل البنية ، وكذلك نون التنوين ، لها القدرة على تغيير دلالة الاسم ، فإذًا ما الفارق بين الاثنتين ؟ ، أليستا شيئًا واحدًا ؟.

زد على هذا أنَّهم عندما يصفون التنوين بفصل الاسم عمّا بعده ، بعد كماله ، إشارةً إلى اكتمال البنية المقطعية ؛ إذ إنَّ نون التنوين صوت صامت ، جيء به لغلق البنية بصوت صامت قوي ، ولا حجة لهم فيما قالوا : إنها تقلب ألفًا في حال الوقف على المنصوب ؛ لأنَّ هذه النون زائدة ؛ فإذا أسقطناها انتهت البنية بالفتحة ، وهي حركة خفيفة ، وعلى الحق الأستاذ إبراهيم مصطفى أنْ وصفها أخفَّ من السكون ؛ لأنَّ الوقف على المضموم ، أو المكسور يجب أن يستبدل سكونًا ، والمنصوب لا يستبدل ؛ فإذا زيد زمن النطق ولَّد لنا الألف ؛ فقالوا في ضربت زيدًا : زيدا أي : تقلب من (ز ـَ ي/ د ـَ ن) (زـَ ي/ د ـَ) (ز ـَ ي/ د ـً) .

ثم أنهم عندما أسقطوا التنوين انتهت البنية بالفتحة ، وكان بإمكانهم أن يسقطوا هذه الفتحة كما في الضمة والكسرة ، والإسقاط يؤدي إلى حصول اللبس بين المنوّن (المحدد) وغير المنون (العام)؛ فجيء بالألف ؛ لخفتها ، ولوجود القرابة الصوتية بينهما أيضًا ، وهذا ما أفصح عنه (السهيلي ٥٨١هـ) في سبب اختيار النون ((أنَّ الأصل في الدلالة على المعاني الطارئة على الأسماء حروف المد واللين وأبعاضها – وهي الحركات – متى قدر عليها فهي أخفُّ من غيرها ، ومتى لم يمكن كان أشبه الحروف به ، وأقربها إليها أولى بذلك مما هو أبعد منها ، وأواخر الأسماء المعربة قد لحقتها حركات الإعراب ؛ فلا يصح أن يلحقها علامة للانفصال ،إلاّ عبر الحركات ، وغير حروف المد واللين هي أنفس الحركات ، إلا أنَّها مدت وطوِّلَ بها الصوت ...؛ فإذا لم يمكن الحركة ، ولا ما هي بعضها من الحروف ؛ فأشبه الحروف بحروف المد واللين (النون) الساكنة

؛ لخفائها ؛ وسكونها ، وأنها من حروف الزيادة ، وأنهم قد جعلوها من علامات الإعراب في الأمثلة الخمسة ، وأخيرًا علامةً لتمكن الاسم ، وتنبيهًا على انفصاله ، ولذلك لا نجد فعلًا منونًّا أبدًا ؛ لاتصاله بفاعله ، واحتياجه إلى ما بعده))[١٧] .

إذًا لا فرق بين النون الداخلة في تكوين البنية ، وبين التنوين من جهة الدلالة ، والتوزيع على هذا الأساس .

ثالثًا ـ أل :

لازمت أل الاسم في مقدمته ، وكانت الغاية منها نقل الاسم من الشائع إلى الخاص ، أي : نقل الاسم من كونه غير مخصص إلى اعتباره أكثر تخصيصًا[١٨] ؛ فـ (رجل) غير محدّد ، فإذا قلنا : الرجل صار محددًا وخصِّصَ ، وبسبب تأديتها دور التخصيص أطلق عليها المحدثون بـ (المخصِّص) ، ولا تدخل إلاّ على الاسم (الرأس) ؛ ففائدة المخصص هي تخصيص الرأس الإسمي أو الفعلي ، وكان تحليلهم على الشكل الآتي[١٩] :

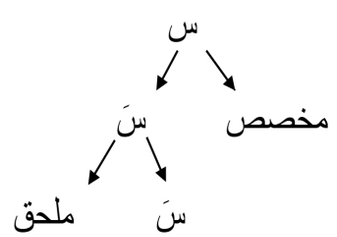

فإذا قلنا : الرجلُ قادمٌ ؛ فـ (قادمٌ) ملحق بـ (رجل) ، ويكون التحليل :

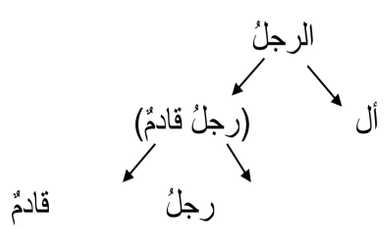

وبالتمعّن في هذا التحليل يمكن أن نفهم منه أنَّهم جعلوا المخصِّصَ سابقًا على الرأس ، ووظيفته تخصيص هذا الرأس ؛ فإذا كان الرأس إسميًّا كانت اللاصقة (أل) أكثر اللواصق تخصيصًا له من بين الأسماء ، حتى صارت ملازمةً للأسماء ، وبما أنَّ هذا المخصِّص يقوم بنفسه لتأدية هذا ، اقتضى الأمر أن يرفض تكراره ؛ فلا يجوز اجتماع (مخصِّص + مخصِّص + رأس إسمي) أي : (أل + أل + رجل) ، وهذا هو السبب الذي جعل النحويين يخطّئون الشعراء الذين أدخلوا (أل) على الفعل المضارع كقول الشاعر[٢٠] :

الحمارُ اليجدَّع

وكقولهم : ((الصَّبيُّ اليُخَدَّعُ))[٢١] ؛ لأنَّ الرأس الفعلي سُبِقَ بمخصِّصين : (أل) + اللاصقة (الياء والتاء) ، فكانت لاصقة واحدة تكفي للتخصيص ، ولكون الفعل مبهمًا لا يحدَّد إلاّ باللواصق الفعلية شُذَّ اعتبار(أل) التعريفية وسيلة لتخصيصه ، فاكتُفيَ بلواصقه الدالة على الفاعل .

رابعًا ـ البنية الندائية :

تختصّ البنية الندائية بدخول وحدات النداء عليها مثل (يا) النداء ؛ إذ قد لازمت مكانًا معيّنًا سابقةً على البنية ، وبما أنَّ الدرس الحديث يؤكد أنَّ (الحدود بين الصوائت والصوامت قد لا تكون واضحةً دائمًا أثناء الكلام ؛ فعندما يمدّ المرء الصوت الصائت ، ويقترب بمقدمة اللسان تدريجيًا نحو الحنك الصلب (الغار) يصبح الاحتكاك الناشئ عن مرور الهواء

مسموعًا ، وبذلك ينتقل المرء من صوتٍ صائت إلى صوت صامت احتكاكي كما هو الحال في (يا) الندائية)[٢٢] .

فنصف المصوت هذا (يـ ـً) تحول بسبب هذا الاحتكاك من مصوت إلى صامت ، كما لا يمكن أن نجعل هذه الأداة نائبةً مناب الفعل (أدعو أو أنادي) ؛ إذ إنَّ الدرس الحديث يرفض هذا النوع من الاستبدال ، وإنْ قالوا في المنادى ((منصوب بفعل مضمر تقديره أدعو أو أنادي ، وهذا إذا أُظهِرَ تغير المعنى ، وصار النداء خبرًا))[٢٣].

وعلى هذا لا يمكن استبدال حرف النداء (يا) بهذا الفعل المحذوف ، وإنّما جعلت مع الاسم بمنزلة شيء واحد ، وهذا ما نبّه عليه بعض المحدثين مثل الدكتور المخزومي الذاهب إلى (أنَّ أُسلوب النداء ينبني على شيئين : أداة نداء ، ومنادى ، ومنها ينشأ مركب لفظي ليس فيه معنى فعل مقدرّ ، وليس فيه إسناد ، ولا يصلح عده في الجمل الفعلية كما قصد النحاة اليه ...؛ فليس في مثل قولهم : يازيدُ ، ويا عبداللهِ ، وياطالعًا جبلًا ، ويارجلًا صالحًا ، شيء من إسناد ، أو تقدير فعل ؛ لأنَّ ذلك كلَّه نداءٌ ، والنداء تنبيه ، ولاشيءَ غيره)[٢٤] .

وسايره على هذا الرأي الدكتور هادي نهر برأيهِ : (ورأينا أنَّ النداء مركب لفظي ، ليس فيه معنى فعل متعدٍّ ، وليس فيه إسناد ، وأنَّ حركة المنادى ليست أثرًا لعامل من العوامل ، ولكنَّها حركات لابدَّ لها من وصل الكلام أو تخفيفه ، وأنَّ من حقِّ المنادى أن يكون منصوبًا ؛ لأنَّه ليس مسندًا اليه ؛ فيرفع ، ولا يضاف ؛ فيجرّ ، وحروف النداء تدلّ على التنبيه أصالةً لا نيابةً ، ولا يجوز اعتبار (يا) نائبةً عن أدعو ؛ لأنَّ النداء إنشاء ، وأدعو وما يليها خبر)[٢٥].

وفي ضوء هذا يمكن أن نؤيّد هذه الرؤية ؛ لأنَّ تركيب النداء تركيب لفظي إسمي تألّف من (مخصّص ، ورأس إسمي) أي : أنَّ التوزيع البنيوي لـ (يازيدُ) يتألّف من :

يا زيدُ (سً)

يا (مخصص) ← زيد (سَ)

ومن ثم لا صحة لِما ذهب إليه المصنفون بأنَّ (يا) تنوب مناب الفعل ، وهذا ما رفضه (ابن مالك٦٧٢هـ) بقوله : ((مَن زعم أنَّ حرف النداء عوض محض ، رُدَّ عليه بجواز حذفه ، والعرب لا تجمع بين حذف العوض ، والمعوض منه ...))[٢٦] .

فأداة النداء لا يجوز أن تستبدل مع الفعل، وهذا الرفض مفهوم من النصوص السابقة ومبدأ التوزيع ، ثم أنَّ المحدثين أنفسهم لا يقبلون بالمشابهة، فـ (محمد الشاوش) يرى أنَّ (النحاة غيرُ مطمئنين إلى اعتبار حرف النداء عوضًا للفعل ، فهو كالعوض، لكنَّه ليس هو تمامًا ، وسبب عدم اعتباره عوضًا : مخالفته لبعض أصول العوض ، ولأصول الحذف الذي يقوم عليه العوض ؛ إذ إنَّ تعويض الشيء لا يكون إلاّ بعد حذفه ...)[٢٧] .

وعلى هذا لا يجوز الاستبدال بين الأداة والفعل ، بيد أنّنا ذكرنا سابقًا أنّه لا يمكن لبنية أن تحلّ محلّ

بنية أخرى خارج صنفها ، وكذلك الأداة ؛ فلكل أداة معناها الخاص ، وهذا ما كان مصيبًا في توجيهه الدكتور المخزومي لهذه الأداة ، وهي عنده أداة تنبيه ، (ويدلّ على كون (يا) مثلًا استعملت هنا دالةً على التنبيه أصالةً لا نيابةً : دخولها على الفعل ، حيث لا يذكر منادى ، ولا يقصد إلى تقدير منادى في مثل قول ذي الرمة[٢٨] :

أَلَا يا اسلمي يا دارَ مَيَّ على البلا

ولا زالَ منهلًّا بجرعَائِكِ القَطْرُ

فالمنادى هنا هو (دارَ ميَّ) ، وقد نوديت بيا الداخلة عليها ، أمَّا (يا) الداخلة على الفعل ؛ فأداة تنبيه لم يرد بعدها منادى ، ولايصحُّ تقديره بعدها ؛ لأنَّ تقدير أيِّ منادى يحيل الكلام إلى ضربٍ من الحشو ، والفضول ، لا يليق بالمتكلّم العادي ، فضلًا عن الأديب ، أو الشاعر ، وقد استعملت (يا) قبل الفعل هنا ؛ لِتعبِّرَ عمّا تعبر عنه (ألا) ؛ لزيادةٍ في التنبيه ، وتوكيدٍ له ...)[٢٩].

إذًا هذه الأداة تدلّ على التنبيه ، إلاّ أنّنا نرى أنَّها ذات توزيع تكاملي؛ فهي ملازمة لموضع واحد لا تستبدل مع أيِّ أداةٍ من أدوات التنبيه ، فهي أقوى من كلِّ أداة ، وهذا ما صرَّح به الدكتور أيضًا : (وأكبر الظن أنَّ هذه الأدوات لا تتعدّى كونها أدوات تنبيه مثل (ألا) التي للتنبيه ، ومثل (ها) التي تدخل على أسماء الإشارة نحو : هذا ، وهذه ، وهؤلاء ، إلاّ أنَّها أقوى تنبيهًا منها ، وأدعى لالتفات المنادى ، وإسماعه الصوتَ...)[٣٠] .

وبما أنَّ التوزيع يرغم هذه الأداة على أن تكون سابقةً ؛ فإنَّها تضيف مطلبًا تعريفيًا للمنادى ، أي : (مخصص + رأس إسمي) ؛ لهذا رفضوا إدخال التنوين على المنادى المفرد المقصود ؛ لاجتماع علامتين للتعريف (مخصصتين) ، وهذا التوزيع الأخير مرفوض ؛ لأنَّ البنية لا يمكنها أن تتحمل هذا ، فـ : يا زيدُ (يـ ـَ / زـَ ي / د ـُ) أخفُّ من : يا زيدٌ (يـ ـَ / زـَ ي / دـُ ن) ؛ فكان إسقاط هذه النون ؛ لتقليل عدد المقاطع ، ثم أنَّ هذه النون تغلق المقطع المفتوح (د ـُ) (د ـُ ن) ؛ لأجل هذا بقيَ مفتوحًا حتى يتسنّى للمتكلم تغيير الدلالة ، وذلك بإبدال المقطع القصير المفتوح (د ـُ) إلى مقطع طويل مفتوح (د ـَ) ، ونقوم باستبدال (يا) بـ (وا) ، وهنا يتحوّل الغرض من النداء إلى الندبة ؛ إذ ((يختصّ المندوب بجواز لحاق الألف في آخره ؛ لمدّ الصوت))[٣١] ، غير أنَّ هذه الألف ليست بلازمة ((إن شئت جعلته كسائر المناديات ، وإن شئت زدت في آخره ألفًا لمدّ الصوت))[٣٢] .

وبما أنَّ البنية يُقصَد بها الندبة كَثُرَ استبدال المقطع القصير بالمقطع الطويل المفتوح ؛ لهذا وجب أن نتبع المندوب في ((آخره ألفًا للمد ، وهاءً بعد الألف للوقف ، وتَبَيُّن الألف ؛ لأنَّها خفيةٌ تقول : وازيداه ، واعمراه ، وإنْ شئت قلت : يازيداه))[٣٣].

وبما أنَّ البنية انتهت بالمقطع الطويل المفتوح والمشهور (ميل العربية إلى إغلاق المقاطع المفتوحة في غير الشعر)[٣٤] ، كان المجيء بهذه الهاء للوقف أي : لاغلاق هذا المقطع دون غلقه بأيِّ صامت آخر ؛ لأنَّ ((الهاء تشبه الألف في الضعف والخفاء

والمخرج))[٣٥] ؛ فكانت مناسبةً للألف ، ثم أنَّ هذه الألف قد تُستَبدل بصوت مد آخر ؛ إذ إنَّ (العرب إنّما تستعمل القلب وما أشبهه إرادة الخفة والتجانس)[٣٦]، وهذا ما أشار إليه (ابن مالك٦٧٢هـ) بقوله [٣٧] :

والشكل حَتْمًا أَوْلِهِ مُجَانِسًا

إنْ يَكُنِ ٱلفَتْحُ بِوَهْمٍ لَابِسًا

وَوَاقِفًا زِدْ هَاءَ سَكْتٍ إنْ تُرِدْ

وإنْ تَشَأْ فَالمَدُّ ، والهاء لَا تَزِدْ

إنَّ البنية المندوبة يجب أن نستبدلَ ألفها إلى حرف مجانس لِمَا قبلها ؛ فتُقلَبَ ياءً إذا لحقها كاف المخاطبة ، وواوًا مع ميم الجمع نقول :

وا غلامَ+كَ+ا+ه .

وا غلامَ+كِ+يـ+ه .

واغلامَكُ+مُ+و+ه.

نلحظ هذا الاستبدال بين هذه المصوتات أنَّه كان واجبًا ؛ إذ ((إنَّ ألف الندبة يُفتَحُ ما قبلها مالم يُخَف لبس ؛ فإنْ خيفَ اللبس كانت تابعةً لِما قبلها من الحركات))[٣٨] ؛ لأنَّ القصد من هذه الألف هو مدّ الصوت ؛ فإن بقيت ألفًا في الحالتين الأخيرتين ،وقع اللبس ، وذهب مدّ الصوت ؛ فلا يمكن الانتقال من كسرة أو ضمة إلى ألف ، وهذا مرفوض في العربية ؛ لأنَّ اللسان لا يطيق هذا الثقل فضلًا على حصول اللبس ، وهذا التوزيع لهذه المصوتات صار لازمًا في هذه المواضع ؛ لتتناسب مع الطبيعة المقطعية .

واذا كانت البنية في هذا الحال تتعرّض لزيادة المقاطع ؛ فإنها قد تتقلّص بإسقاط المقطع الأخير ، والذي يسمّى بـ (الترخيم) ، وهذا مصطلح يخالف (القرطبي ٤٦١هـ) غيره في الاستعمال ، فهو يطلقه على الألف و((التي يعني بها ألف الإمالة))[٣٩] ، وعند الآخرين لا يكون في غير النداء، فهو عند (ابن عصفور٦٦٩هـ) : ((حذف أواخر الأسماء في النداء ، وهذه التسمية التي أوقعوها على هذا المعنى مناسبة للوضع اللغوي ، ألا ترى أنَّ حذف الآخر من الكلمة تسهيل للنطق بها ، وتليين له ، ولا يكون هذا الحذف إلاّ في النداء))[٤٠].

غير أنَّ هذا الحذف يَشترَطُ فيه ((مراعاة النظير في الأسماء ، فإنْ أدَّى ذلك إلى عدم النظير لم يجز إلاّ بقاؤه على ما كان عليه قبل الحذف ، إلاّ أن ترجع بالتغيير إلى ما له نظير ؛ فتغير ، فمن ذلك : ثمود ، إن تركته على ما كان عليه قبل الحذف جاز ؛ لأنَّ المحذوف في تقدير الملفوظ به.

فإن جعلته بمنزلة ما لم يحذف منه شيء لم يكن له نظير ؛ لأنَّه ليس في الأسماء اسم آخره واو قبلها ضمة ، فتغيره بقلب الواو ياءً ، والضمة كسرة))[٤١].

وهنا نلحظ أنَّ النطق العربي يتجنّب نبر الطول ؛ لأنَّ الترخيم تخفيف ، والمقطع الطويل المفتوح الواوي يحتاج إلى كمية صوتية أكثر من المقطع الطويل المفتوح اليائي ؛ فكان التحوّل ؛ للتخلّص من هذه الكراهية .

وقد تلحق المنادى (ياء) الإضافة ، غير أنها تستبدل بـ (التاء) ؛ فقد ((عوضوا التاء من ياء الإضافة في قولهم : ياأبتِ ، ويا أُمَتِ ، فلا يُجمع بينهما ، ولا يستعمل في غير النداء ...، وكذلك (اللهم) ؛ لأنَّ الميم عوض من حرف النداء ، فلا

يجمع بينهما))[٤٢].

ويبدو أنَّ هذا الاستبدال جاء ؛ لأجل التخلّص من المدّ الموجود في المقطع المفتوح في يأبي(يـ ـَ / أـَ / بـ ـِ) ،وكان التخلّص من هذا المقطع الطويل المفتوح باستبداله بصوت صامت ، فكانت التاء أقرب إلى الياء من سواها من الأصوات ؛ فصارت البنية (يـ ـَ / أـَ / بـ ـَ/ ت ـِ) .

وأما (اللهم) فقد جعلوا الميم عوضًا من (يا) النداء ، ولا نرى أيَّ مسوغ لذلك ؛ لأنَّ (يا) الندائية توزَّع في بداية البنية ، ولو كانت عوضًا لحصل الاستبدال في بادئها كما حصل مع (اليا) و (التاء) .

ومع هذا يمكن أن نمضي مع بعض المحدثين الذين وصفوا لنا هذا التغيير من خلال الاستعمال في الأصل السامي الذي يعوِّل على استعمال التاء والميم ، غير أنَّ التطور اللغوي هو الذي أسقط هذا ؛ وأنَّ النحويين القدماء لم يدركوه ، وكان عليهم أن يدركوا هذا ، فليست الميم عوضًا من (يا) النداء ؛ لأنَّ اللغة العبرية تستعمل (اللوهيم) ،(وأنَّ العرب نطقوا لفظة (الوهيم) بما تطاوعهم به ألسنتهم ؛ فقالوا : اللهم ، أو أنَّهم أخذوها من السامية الأم المشتركة ، ولمّا جاء النحاة لم يلحظوا أصلها القديم ؛فقال فريق بالتعويض ، وفريق بالاختصار كما رأينا ، وبقي في المسألة ملحظان ، هما : لماذا التعويض بـ (ال) ، ولماذا (الميم) ؟ .

فأما (ال) فهي للتعظيم على ما ذهب إليه الكوفيون ...، وأمّا الميم فهي في اللغة العبرية علامة للجمع تستعمل للتعظيم كالضمير (نا) ؛ ولأنَّ الله عظيم ؛ فقد جمعت له علامتان هما (ال) و(الميم) ؛ فجاءت لفظة (اللهم) ، وليس كما قال النحاة)[٤٣] .

يمكن أن نفهم من هذا أنَّ بنية النداء بنية تلازمها لواصقها الخاصة بها ، بيدَ أنَّ الكيفية التي توزّع عليها تسمح لنا ؛ لنؤيّد (الدكتور المخزومي) و(الدكتور هادي نهر) باعتبارها من المركبات اللفظية المركونة إلى جانب الاسم ولا الفعل ؛ لأنَّ تقدير الفعلية فيها لا يتنافى مع الخبر والإنشاء ، وإنّما يرفضه الاستبدال ؛ لأنَّهم نزلوا الأداة منزلة الفعل ، وهذا لا يقبل ، بيد أنَّ لهذه الأداة مزية لا تسمح لها لتستبدل مع أداة أخرى ، وهذا ما يجعلنا نقبل كونها من المركبات اللفظية الإسمية .

ـ الخاتمة :

من خلال هذه الوقفة يمكن أن نسجل الآتي :

١. التوزيع المتلازم واحد من أنواع التوزيع ، يهتمّ بتوزيع الوحدات بشكل متلازم ، ولاسيما الوحدات أو اللواصق المقيدة التي تؤثّر في توجيه البنية الصرفية .

٢. لاصقة المصوت القصير (الجر) لا توزَّع إلاّ في نهاية البنية ، ولا تدخل إلاّ على الاسم من دون الفعل ؛ لخفّته ، لكنَّها تستبدل مع الفتحة ريثما ثقل الاسم؛ لشبهه بالفعل ، وهذه علة عمل عليها جلّ القدماء ، ولا سيما الأوائل ، أمّا الأندلسيون فلا يرون أنَّ هذا تعليل مطرد ؛ لأنَّه راجع إلى المتكلم الذي يوجّه هذه الحركات باختياره ؛ فهو يعدل عنها إلى الفتحة منعًا من حدوث اللبس مع الاسم المضاف ، وهذا ما تنظر إليه التوزيعية على أنه استبدال بين المصوتات

القصيرة .

٣- لاحقة التنوين توزّع في لام البنية ، ولا فرق بينه وبين النون الأصل من حيث الصفة والمخرج ، وهذا ما أثبته التوزيع ، غير أنَّها طارئة جيء بها لغلق المقطع الصوتي .

٤- (أل) التعريف وسيلة تخصيصية لازمت الاسم من دون الفعل ، وهذا ما وافق القدماء عليه الدرس الحديث بأنَّ الرأس الإسمي أو الفعلي يجب أن يسبق بمخصص ؛ فلا يقبل الاسم إلَّا مخصصًا واحدًا ، كما لا يسمح له أن يتنازل عن موقعه إلى موقع الفعل .

٥- وزعم الأندلسيون (ي) النداء سابقةً على الاسم ، وهي نائبة عن الفعل– حالهم حال أهل المشرق- إلاّ أنَّ الدرس الحديث بيَّنَ وهمهم في هذا ، وإنمّا هو مركب لفظي من (مخصّص + رأس إسمي) .

٦- الزوائد التي تلحق المنادى ترد لاحقةً له ، بررها الأندلسيون بوسيلة التعويض ، ويراها المحدثون وسيلةً للتخلص من الكراهية الصوتية .

الهوامش

١- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : د. نهاد الموسى : ٣٢ ،والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ماريو نوال : ٢٧ ، ولسانيات النص ، محمد خطابي : ١٩ ، و الأسلوبية والأسلوب د. عبد السلام المسدي : ١٠٩.

٢- ينظر م ن : ٢٤ – ٣٢ ، والمصطلحات المفاتيح في اللسانيات : ٢٧ .

٣- ينظر مقدمة لدراسة علم اللغة ، حلمي خليل : ٩٣ .

٤- ألفية إبن مالك في النحو والصرف ، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي : ٩ .

٥- ينظر النكت في تفسير كتاب سيبويه ، وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري : ١ / ١٩٤ .

٦- أمالي السهيلي في النحو ، واللغة ، والحديث ، والفقه ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله الأندلسي : ٢٢ .

٧- الرد على النحاة ، لإبن مضاء القرطبي : ١٣٦ .

٨- م ن : ١٣٦ – ١٣٧ .

٩- أمثلة الجزولية ، لأبي علي عمر بن محمد بن عمر الشلوبين : ٤٥٤ .

١٠- أمالي السهيلي في النحو ، واللغة ، والحديث ، والفقه : ٢٤ .

١١- ينظر إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى : ٥٠ – ٥١ .

١٢- م ن : ١١٢ .

١٣- التحليل الصوتي للغة عند المستشرقين مايكل بريم نموذجًا ، د. موسى صالح الزعبي : ٢٦٦ .

١٤- المقدمة الجزولية في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي : ٨ .

١٥- أمثلة الجزولية : ١٢١ .

١٦- ينظر التنوين والدلالة ، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة ، د. خالد إسماعيل حسان : ١٧ (بحث) ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، ٢٨ ، ٢٠٠٧م.

١٧- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي : ٧٠ .

١٨- ينظر المقدمة الجزولية في النحو : ٩ .

١٩- ينظر التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن ، د. حمدان رضوان أبو عاصي : ١٤٥ - ١٤٦ (بحث) مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، مجـ ٤ ع ٣ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٢٠- البيت منسوب إلى ذي الخِرَق الطهوي ، شرح جمل الزجاجي (ابن خروف) : ١ / ٢٥٦ .

٢١- شرح جمل الزجاجي (ابن خروف) : ١ / ٢٥٧ .

٢٢- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكيا د. عصام نور الدين : ١٨٩ .

٢٣- الرد على النحاة : ٧٩ – ٨٠ .

٢٤- في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي : ٣٢٨ .

٢٥- التراكيب اللغوية ، د. هادي نهر : ٢٥٥ – ٢٥٦ . ...

٢٦- شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ٣ / ٢٤٢ .

٢٧- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ، تأسيس (نحو النص) ، محمد الشاوش : ٢ / ٦٧٤ .

٢٨- من ديوان ذي الرمة : ١٠٢ .
٢٩- في النحو العربي نقد وتوجيه : ٣٢٨ – ٣٢٩ .
٣٠- م ن : ٣٢٦ – ٣٢٧ .
٣١- المقدمة الجزولية في النحو : ١٩٠ .
٣٢- تلقيح الالباب على فضائل الاعراب ، أبو بكر محمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بإبن السراج الشنتريني : ١٧٧ .
٣٣- كتاب الواضح في علم العربية ، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي : ١٩٦ .
٣٤- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، د. فوزي الشايب : ١٠٣ .
٣٥- شرح الهداية ، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي : ٢١٣ .
٣٦- م ن : ٢١٢ .
٣٧- ألفية إبن مالك في النحو والصرف : ٤٦ .
٣٨- تلقيح الالباب على فضائل الاعراب : ١٧٨ .
٣٩- الموضح في التجويد ، لأبي القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري القرطبي : ٣٤ .
٤٠- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ٢/ ١١٣ .
٤١- تلقيح الألباب على فضائل الاعراب : ١٧٥ – ١٧٦.
٤٢- م ن : ١٧٣ .
٤٣- النحو كما أراه أنا ، د. عائد كريم علوان الحريزي : ٣٠٣ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، د. فوزي الشايب ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث إربد – الأردن ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .إحياء النحو ، إبراهيم مصطفى ، د.ط ، دار الآفاق العربية ، د.ت .

٢- الأسلوبية والأسلوب د. عبد السلام المسدي ، ط ٥ ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت – لبنان ، ٢٠٠٦ م .

٣- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص) ، محمد الشاوش ، ط ١ ، المؤسسة العربية للتوزيع – تونس ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٤- ألفية ابن مالك في النحو والصرف ، محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي ، د . ط ، دار القلم بيروت – لبنان ، د. ت .

٥- أمالي السهيلي في النحو ، واللغة ، والحديث ، والفقه ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسي ، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ، ط١ ، مطبعة السعادة ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .

٦- أمثلة الجزولية ، لأبي علي عمر بن محمد بن عمر الشلوبين ،دراسة وتحقيق : د. تركي بن سهو بن نزال العتيبي ، ط ٢ ، دار صادر – بيروت ،١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٧- التحليل الصوتي للغة عند المستشرقين مايكل بريم نموذجًا ، د. موسى صالح الزعبي ، ط ١ ، عالم الكتب الحديث للنشر والوزيع ، ٢٠١٢م .

٨- التراكيب اللغوية ، د. هادي نهر ، د. ط ، دار اليازوري – عمان ، ٢٠٠٤م .

٩- تلقيح الألباب على فضائل الإعراب ، أبو بكر محمد بن عبد الملك الأندلسي المعروف بإبن السراج الشنتريني (٥٤٩هـ) ، تحقيق : أحمد حسن إسماعيل ، ط ١ ، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦م .

١٠- الرد على النحاة ، ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) ، تحقيق : شوقي ضيف ، د. ط ، دار المعارف ، د. ت.ديوان ذي الرمة ، قدَّم له وشرحه أحمد حسن بسج ، ط. الثانية ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ٢٠١٠م .

١١- شرح التسهيل تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، تأليف : جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي (٦٧٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، طارق فتحي السيد ، ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٢- شرح جمل الزجاجي ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن خروف الإشبيلي (ت٦٠) ، تحقيق ودراسة : د. سلوى محمد عرب ، د.ط ، جامعة أم القرى ، ١٤١٨هـ .

١٣- شرح جمل الزجاجي ، لإبن عصفور الإشبيلي (٥٩٧-٦٦٩هـ) ، تحقيق : د. صاحب أبو جناح ، د.ط ، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٤- شرح الهداية ، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٤٠هـ) ، تحقيق ودراسة : د. حازم سعيد حيدر ، ط ١ ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م .

١٥- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكيا د. عصام نور الدين ، د . ط ، دار الفكر اللبناني ، د . ت .

١٦- في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ، ط ٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ٢٠٠٥م .

١٧- كتاب الواضح في علم العربية ، لأبي بكر محمد

بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ) ، تحقيق : د. أمين علي السيد ، د. ط ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥م .
١٨- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، ط ١ ، المركز الثقافي العراقي ، ١٩٩١م .
١٩- المصطلحات المفاتيح في اللسانيات ، ماري نوال غاري بريور ، ترجمة : عبد القادر فهيم الشيباني ، د.ط ، ٢٠٠٧م .
٢٠- المقدمة الجزولية في النحو ، تصنيف أبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت٦٠٧هـ) ، تحقيق وشرح : د. شعبان عبد الوهاب ، راجعه : د. حامد أحمد نيل ، د. فتحي محمد أحمد جمعة ، د. ط ، د. ت .
٢١- مقدمة لدراسة علم اللغة ، د. حلمي خليل ، د.ط ، دار المعرفة الجامعية ، ٢٠٠٥م .
٢٢- الموضح في التجويد ، تأليف : الشيخ الإمام أبي القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري القرطبي المغربي (٤٦١هـ) ، ضبطه ووضع حواشيه : أحمد فريد المزيدي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
٢٣- نتائج الفكر في النحو ، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ) ، حققه وعلق عليه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد عوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٢٤- النحو كما أراه أنا ، د. عائد كريم علوان الحريزي ، د . ط ، دار السراج المنير للطباعة والنشر ، ٢٠١٥م .
٢٥- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، د. نهاد الموسى ، ط. الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
٢٦- النكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه ، تأليف : أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (٤١٠-٤٧٦هـ) ، دراسة وتحقيق : الأستاذ رشيد بلجيت ، د. ط ، مطبعة فضالة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

البحوث المنشورة

١- التطورات النظرية والمنهجية للنظرية التوليدية في نصف قرن ، د. حمدان رضوان أبو عاصي ، مجلة جامعة الشارقة مجـ ٤ ع ٣ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢- التنوين والدلالة ، دراسة في ضوء اللسانيات العربية المعاصرة ، د. خالد إسماعيل حسان ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، ٢٨ ، ٢٠٠٧م.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

سورةُ الحديدِ - دراسةٌ أسلوبية

Al-Hadid Surat- A stylistic study .

أ . م . د . مرتضى عبد النبي علي الشاوي
كلية التربية القرنة / جامعة البصرة

Dr. Mourtada Abdul Nabi Ali Shawi
College of Education / University of Basra.

كلمات مفتاحية : الجملة المؤكدة / أدوات التأكيد / الأسلوب الإنشائي/ التقديم والتأخير / النداء / القصر / علم المعاني / التصوير الفني / أسلوب الحذف

murtathaalshawi@yahoo.com

ملخص البحث

يسلطُ هذا البحثُ الضوء وبدراسة أسلوبية في سورة الحديد بشكل خاص فقد فتح لنا هذا البحث آفاقاً واسعة في تأمّل آيات البارئ عزّ وجلّ وفهم الأسلوب القرآني المعجز الذي فاق كلّ أسلوب وكان لابد لنا من استخلاص أهم النتائج وكانت كالآتي إنّ الصورة القرآنية تمارس أثراً نفسياً ضاغطاً وفعّالاً على المتلقي ، فالقصد منها توجيهه الوجهة الصحيحة التي أراد الله تعالى له ، فهي وسيلة مهمة وفعّالة من وسائل الإفهام التي سعى الحق تعالى عن طريقها إلى هداية عباده وتقريبهم من الجنة ونعيمها وابعادهم من الجحيم وعذابها ، والله من وراء القصد

Abstract

This research sheds light with a stylistic study in Surat Al-Hadid in particular. This research opened wide prospects in meditation of God's ayat and understanding the Quran prodigy style that overtop each style. It was so necessary to conclude the most important results، and it was that the Quranic image has an active psychological effect which compress the recipient It is an important and effective means of understanding by which the right Almighty sought to guide His slaves and bring them closer to heaven and bless them and remove them from hell and torment.
God is intended.

المقدمة

الحمدُ لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ... فهذا البحثُ الموسوم (سورة الحديد دراسة أسلوبية) ، يحاول أن يسلّط الضوء على أبرز الأساليب التي وردت في هذه السورة ، ومنها : الأسلوب البلاغي ، والأسلوب الحواري ، وغيرها من الأساليب القرآنية .

أمّا بالنسبة لخطة البحث فكانت مقسّمة إلى ثمانية مباحث :

فالمبحث الأول بعنوان : الأسلوب الخبري ، والمبحث الثاني بعنوان : الأسلوب الإنشائي ، والمبحث الثالث بعنوان : أسلوب التقديم والتأخير ، والمبحث الرابع بعنوان : أسلوب القصر ، والمبحث الخامس بعنوان : أسلوب التكرار ، والمبحث السادس بعنوان: أسلوب الحذف ، والمبحث السابع بعنوان : أسلوب التصوير الفني الذي يشتمل على فنون بلاغية وهي (التشبيه والاستعارة والكناية) ، والمبحث الثامن بعنوان : لغة الحوار .

المبحث الأول :ـ الأسلوب الخبري

الخبر: هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وإن شئت فقل : الخبر هو ما يتحقق مدلوله ، في الخارج بدون النطق به ، نحو : العلمُ نافعٌ ، فقد أثبتنا صفة النفع للعلم ، ((وتلك الصفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفظ) ، لأنّ نفع العلم ، أمر حاصل في الحقيقة والواقع ، وإنما أنت تحكي ما اتفق عليه الناس قاطبة ، وقضيت به الشرائع ، وهدت به العقول بدون النظر إلى اثبات جديد . والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع ونفس الأمر ، فالمراد بكذبه عدم مطابقته الواقع)) [١]

أمّا الأغراض التي من أجلها يأتي الخبر فهي :

١- ((إمّا افادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، إذا كان جاهلاً له ، ويسمى ذلك ((فائدة الخبر)) .

٢- وإمّا إفادة المخاطب أنّ المتكلم عالم أيضاً بالحكم الذي يعلمه المخاطب ... ، ويسمّى بذلك الحكم ((لازم الفائدة)))) [٢]

بقي أن نعلم أنّ الجملة تكون مثبتة أو منفية أو مؤكدة، وسنتحدث عن كل منهم بالتفصيل :

أولاً : الجملة المثبتة :

وهي الجملة التي تخلو من أحرف أو أدوات التوكيد ، أو أدوات النفي ، فهي مثبتة ، وتقسم إلى جملة فعلية وجملة اسمية ، فالجملة الخبرية المثبتة بصورة عامة هي الأكثر وروداً في سورة الحديد ، وسنبدأ بالجملة الاسمية المثبتة، فالجملة الاسمية تفيد ـــ بأصل وضعها ـــ ثبوت شيء لشيء ليس غير ، بدون النظر إلى تجدد ولا استمرار .

وقد تخرج الجملة الاسمية عن هذا الأصل وتفيد الدوام والاستمرار بحسب القرائن ، كأن يكون الحديث في مقام المدح ، أو في معرض الذم ، وغيرها من الأساليب [٣] .

وجاءت الجملة الاسمية في سورة الحديد على أنماط مختلفة كما يأتي :

النمط الأول : [المبتدأ معرفة والخبر معرفة] وهو في قوله تعالى : ﴿ هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ ﴾ [الحديد :٣]

ففي الآية المباركة جاء المبتدأ معرفة وهو ضمير الرفع (هو) ، والخبر معرفة ، وهو (الأول) . وقد تنوعت صور المبتدأ في هذا النمط ما بين ضمير، نحو ما ذكرناه : ((هو الأولُ والآخرُ)) ، وكذلك قوله تعالى :

﴿ هي مولاكُم وبئسَ المصير ﴾ [الحديد : ١٥]

وما بين اسم الإشارة ،نحو : ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ [الحديد : ١٢]

﴿ ذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاءُ ﴾ [الحديد : ٢١]

﴿ أولئك هُمُ الصديقون ﴾ [الحديد : ١٩]
﴿ أولئكَ أصحابُ الجحيم ﴾ [الحديد: ١٩]
وهناك أمثلة أخرى كثيرة كما في قوله تعالى :
﴿ مأواكُمُ النارُ هي مأواكم ﴾ [الحديد :١٥]
أمّا النمط الثاني : [المبتدأ معرفة والخبر جملة اسمية] ، وهو في قوله تعالى : ﴿ وهَو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ﴾ [الحديد : ٤]
فالمبتدأ معرفة وهو ضمير الرفع (هو) ، والخبر جملة اسمية تبدأ بالاسم الموصول (الذي) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وهو الذي ينزل على عبدِهِ آياتٍ بيناتٍ ﴾ [الحديد :٩] أمّا النمط الثالث : [المبتدأ نكرة ، والخبر شبه جملة] : وذلك في قوله تعالى :
﴿ ولَهُم أجرٌ كريم ﴾ [الحديد : ١١]
﴿ وفي الآخرةِ عذابٌ شديد ﴾ [الحديد :٢٠]
﴿ فيه بأسٌ شديد ﴾ [الحديد : ٢٥]
ففي جميع الحالات التي تقدّم ذكرها نلاحظ أنّ المبتدأ مؤخر ، وهو نكرة ، والخبر مقدّم ، وهو شبه جملة .
أمّا النمط الرابع : [المبتدأ معرفة والخبر نكرة] : وهو في قوله تعالى : ﴿ بُشراكُمُ اليومَ جناتٌ ﴾ [الحديد :١٢]
حيث جاء المبتدأ معرفة (بُشراكُمُ) ، معرف بالإضافة ، والخبر نكرة (جناتٌ) . وقوله تعالى ﴿ أولئكَ أعظمُ درجةٍ ﴾ [الحديد :٩]
أمّا النمط الأخير : [المبتدأ نكرة والخبر نكرة] : وذلك في قوله تعالى : ﴿ وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾ [الحديد :١٢]
فالمبتدأ (كثيرٌ) ، وهو نكرة ، أمّا الخبر (فاسقون) نكرة أيضاً . ولو تأمّلنا وتدبّرنا السورة الكريمة لوجدنا مواضع أخرى كثيرة للجملة الاسمية ، منها قوله تعالى : ﴿ باطنُهُ فيهِ الرحمةُ ﴾ [الحديد :١٣]
((وظاهرُهُ من قِبلِهِ العذابُ)) [الحديد :١٣]
- أمّا الجملة الفعلية المثبتة ، فعند قراءتنا للسورة المباركة نلاحظ أنّ الأفعال الماضية والمضارعة متقاربة من حيث عدد المرات التي وردت كل منهما فيها ؛ وذلك لأنّ السورة تقرّر أموراً ثابتة ، وحقائق كونية واقعة ، وحقائق أخرى سوف تقع ، فهي تتناول في بدايتها موضوع التسبيح والتمجيد لله سبحانه وتعالى ، وبيان صفاته وقدراته ، وعلمه وصنعه وإحاطته بكل ما في الكون من أمور بشكل عام . ويبدو أن ذكر التسبيح والتمجيد إنّما هو مقدمة للأهداف الأخرى الواردة في السورة وهي : أهمية الإيمان والإنفاق ، والترابط الموجود بينهما ، ثم قضية الأموال والأولاد والزينة ، ثم المهمات الرئيسية التي استهدفها الرسل ، وإنزال الكتب ، فهي تتلخص في دعوة الإنسان إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى إيماناً يصعد به إلى درجة الصديقين والشهداء [٤].
- وقد ابتدأت السورة الشريفة بجملة خبرية مثبتة فعلها ماضٍ ، وهو قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ للهِ ما في السمواتِ والأرضَ وهو العزيز الحكيم ﴾ [الحديد :١]
فهذه هي الحقيقة الكبرى في الدنيا ، وهي أنّ كلَّ من في السموات والأرض يسبّحون لله تعالى ، وتسبيح الله تعالى هو تمجيده وتنزيهه عن أيّ نقص فهو صاحب الكمال كلّه ، وهو خالق الخلق كلّه ، فلا يشبهه أحد من خلقه ، وكلهم يعبدونه ويسبّحونه ليلاً ونهاراً . وهناك آيات أخرى ورد فيها الفعل الماضي المثبت في سورة الحديد الكريمة ، قال تعالى :
﴿ وكُلاً وَعَدَ اللهُ الحُسنى ﴾ [الحديد :١٠]
﴿ قالوا بلى ولكِنكُم فتنتُم أنفسَكُم ﴾ [الحديد :١٤]
﴿ وغَرَّكم باللهِ الغرور ﴾ [الحديد : ١٤]
﴿ هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ﴾ [الحديد :٤]
﴿ فالذينَ آمنوا منكم وأنفقوا ﴾ [الحديد :٧]
﴿ مَن أنفقَ من قبلِ الفتح وقاتلَ ﴾ [الحديد :١٠]
﴿ الذينَ أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ [الحديد :١٠]
﴿ والذين كفروا وكذّبوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ الجحيم ﴾ [الحديد :٩]

ولكلّ منها دلالة ما ، حسب المناسبة التي قيلت فيها أو التي قيلت لأجلها ، فمثلاً في الآية الأولى : ﴿ هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ﴾ . تذكر الآية الشريفة خلق الله السموات والأرض ، بعد أن تقدمّ في الآية التي قبلها أنّ له ملك السموات والأرض: ﴿ له ملكُ السمواتِ والأرضِ ﴾ [الحديد :٢] ولا شك أنّ مبدأ الملك بالنسبة إلى السنوات والأرض هو خلقها ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى بخلقه للسموات والأرض أصبح مالكاً لها ، ثم تطرّق القرآن الكريم إلى موضوع جاء ذكره في ستة مواضع من الكتاب العزيز ، وهو خلق السموات والأرض في ستة أيام .[٥]

وفي مواضع أخرى نلاحظ أنّ بعض الأفعال المضارعة عدل عنها إلى الماضي للدلالة على تحقيق الوقوع نحو قوله تعالى : ﴿ يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ للذينَ آمنوا انظرونا نقتبس من نورِكُم قيلَ ارجعوا وراءكم ... ﴾ [الحديد :١٣] فالفعل (قيل) مبني للمجهول (ماضٍ) ، فهو بالنسبة للمتلقي ماضٍ ، ولكنه واقع لا محالة في المستقبل ، ولهذا جاء بصيغة الماضي ؛ لأنّ ما سيقع لا محالة هو في حكم الواقع فعلاً . وكذا الحال بالنسبة لقوله تعالى : ﴿ فضُرِبَ بينهُم بسورٍ لهُ بابٌ ﴾ [الحديد :١٣] ﴿ ولا يكونوا كالذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلِ ... ﴾ [الحديد :١٦]

﴿ وجنةٌ عَرْضها كعرضِ السماءِ والأرضِ أُعِدَت للذينَ آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ ﴾ [الحديد :٢١]

ففي جميع الأحوال مبنية للمجهول (ضُرِبَ ، أُتوا ، أُعدّتْ) ؛لأنّ لها دلالة الماضي والاستقبال . وهناك أفعال ماضية أخرى وردت في السورة المباركة منها : ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريمَ ﴾ [الحديد : ٢٧] ﴿ وجعلنا في قلوبِ الذين اتبعوهُ رأفةً ورحمة ﴾ [الحديد : ٢٧]

أمّا الفعل المضارع المثبت فهو في قوله تعالى : ﴿يحيي ويُميتُ وهُوَ على كلِّ شيءٍ قدير ﴾[الحديد:٢] ﴿ يولِجُ الليلَ في النهارِ ويولِجُ النهارَ في الليلِ ﴾ [الحديد :٦]

﴿ يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ ﴾ [الحديد :٤]

فالأفعال المضارعة جاءت مثبتة ، غير مؤكدة ، ولا منفية بأيّ أداة من أدوات النفي أو التوكيد .

وقد قال السيد قطب إنّ في قوله تعالى : ﴿ يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ ﴾ : ((وفي كل لحظة يلج في الأرض ما لا عداد له ولا حصر من شتى أنواع الأحياء والأشياء ، ويخرج منه ما لا عداد ولا حصر لها من خلائق لا يعلمها إلاّ الله . وفي كل لحظة ينزل من السماء من الأمطار والأشعة والنيازك والشهب ، والملائكة ، والأقدار ، والأسرار ، ... والنص القصي يشير إلى هذه الحركة الدائمة التي لا تنقطع ، وإلى هذه الأحداث الضخام التي لا تحصى)) [٦]

وهناك آيات أخر ورد فيها الفعل المضارع المثبت في سورة الحديد فذكر منها :

﴿ هو الذي يُنزلُ على عبدِهِ آياتٍ بيناتٍ ﴾[الحديد:٩]

﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمناتِ يسعى نورُهم بين أيديهم ﴾ [الحديد :١٢]

ثانياً : الجملة المنفية : -

يعدّ النفي من أقسام الخبر المهمة ، وفي ذلك يقول السيوطي : ((من أقسام الخبر النفي ، بل هو شطر الكلام كلّه)) [٧] . فقد وصف النفي بـ (شطر الكلام كلّه) ، والشطر في اللغة هو نصف الشيء ، وفي ذلك دلالة على أهمية هذا الأسلوب ، وكثرة وروده في لغة العرب بشكل عام ، وفي القرآن الكريم بشكل خاص . ((فقد ظهر بشكل واسع في النصوص القرآنية ، إذ كان من الأساليب المهيمنة ، وإنّ نظرة فاحصة إلى أدواته المتمظهرة في النصوص القرآنية ، وعددها

لكفيل بأن يؤكد ما نقول ، فقد ظهرت هذه الأدوات حسب كثرتها : (لا) ظهرت بنوعيها المشبهة بـ (ليس) غير العاملة ، و(لا) النافية للجنس ، وهي تفيد التنصيص على نفي الجنس)) [٨]

أمّا الأدوات الأخر فهي : ما ، لم ، ليس ، غير ، إنْ ، لَنْ ، لاتَ ، لمَّا) .

((قامت (لا) بنفي الفعال المضارع أكثر من قيامها بنفي الاسم ، وفي ذلك دلالة على كون الحدث هو القابل للتغيير مع استمرار الزمن ، وقد كثر وجودها في نصوص الترهيب ؛ لبيان عاقبة الكافرين السيئة التي سيلقونها)) [٩]

ومن أمثلة (لا) النافية الداخلة على الفعل المضارع في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ ومالكم لا تؤمِنونَ باللهِ والرسولُ يدعوكُم لِتؤمنوا بربكُم ﴾ [الحديد :٨]

﴿ ومالكم أن لا تنفقوا في سبيلِ اللهِ وللهِ ميراثُ السمواتِ والأرضِ لا يستوي منكم من أنفق منْ قبلِ الفتح وقاتلَ ﴾ [الحديد :١٠]

﴿ فاليومَ لا يُؤخَذُ منكم فديةٌ ولا من الذينَ كفروا ﴾ [الحديد :١٥]

﴿ لكيلا تأسَوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم واللهُ لا يُحِبُّ كلَّ مختالٍ فخور﴾ [الحديد : ٢٣]

﴿ لِئلا يَعلَمَ أهلُ الكتابِ ألا يقدرون على شيءٍ ﴾ [الحديد :٢٩]

ففي الآيات الكريمة نفي بـ (لا) للفعال المضارعة ، ونلاحظ أنّ النفي أفاد الاستقبال ؛ لأنّ الأفعال المضارعة أشارت إلى المستقبل ، فضلاً عن دلالتها على التجدد والحدوث والاستمرار .

ونلاحظ أنّها دخلت في الآية الأولى على جملة فيها معنى الترغيب ﴿ ومالكم لا تؤمنون باللهِ ﴾ [الحديد :٨] إذاً فقد أفادت الترغيب ، ويقصد به ترغيب الكفار للإيمان بالله عزّ وجلّ ، وفي الآية الثانية كذلك ترغيب لهم على الإنفاق في سبيل الله : ((ومالكم أن لا تنفقوا في سبيلِ الله)) ،في حين في النص الآخر جاءت لإفادة معنى الترهيب في قوله تعالى : ﴿ فاليومُ لا يُؤخذُ منكُم فديةٌ ولا من الذينَ كفروا ﴾ ، وفي ذلك خسارة ما بعدها خسارة . من الوظائف المهمة التي قامت بها (لم) النافية هي وظيفة الاحتجاج على الناس عن طريق دخول همزة الاستفهام عليها ، إنّ الخالق أراد أن يحتجّ بقدرته على عباده ؛ علّهم يؤمنون به ، ويشكرون نعمته تعالى ، وقد استخدم في احتجاجه هذا أسلوبي الاستفهام والنفي ؛ ليكون الاحتجاج أشد وقعاً على المتلقي ، وليحقّق هدفه من التأثير فيه من خلال استنهاض مشاعره وأحاسيسه . [١٠]

ونلاحظ ذلك في قوله تعالى : ﴿ ألم يأنِ للذينَ آمنوا أن تخشع قلُوبُهم لذكرِ الله وما نزلَ من الحقِ ولا يكونوا كالذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأمدُ ﴾ [الحديد :١٦] . وهذا شكّل ظاهرة أسلوبية كان هدفها ترغيب المؤمنين وحثهم على الأعمال الصالحة ؛ لكيلا يواجهوا الخوف والحزن يوم الفزع الكبر . كذلك في قوله تعالى : ﴿ يُنادونهم ألم نَكُن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتُم أنفُسَكُم وتربصتُم وارتبتُم وغرَّتكُمُ الأماني حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغرَّكُم باللهِ الغرور ﴾ [الحديد :١٤] حيث فيها تصوير لحالة المنافقين والمنافقات يوم القيامة ((يُنادونهم ألم نكن معكم)) فالخطاب الذي يستخدمه المنافقون في الدار الآخرة كانوا يستخدمونه في دار الدنيا عندما توجد منافع ومصالح وفتوحات للمسلمين . [١١] أمّا بالنسبة للأداة (ما) فقد كان لها دور في تصوير الأحداث أيضاً ، وأهم هذه الأحداث هو تصوير الماضي ، أو دخولها على الفعل الماضي كما في قوله تعالى :

﴿ ما أصابَ مِن مصيبةٌ في الأرضِ ولا في أنفُسِكم إلاّ في كتابٍ مِن قبلِ أن نَبرأها ﴾ [الحديد :٢٢]

﴿ ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاءَ رضوانِ اللهِ فما رعوها

حقَّ رعايتِها ﴾ [الحديد :٢٧] فقد دخلت على الأفعال الماضية (أصابَ ، كتبناها ، رعوها) ولكنها تحمل معنى المستقبل أيضاً . وأمّا دخولها على الجملة الاسمية فقد جاءت في موضع واحد وهو قوله تعالى : ﴿ وما الحياةُ الدنيا إلّا متاع الغرور ﴾ [الحديد :٢٠] وهذا هو الموضع الوحيد للجملة الاسمية المنفية في سورة الحديد .

ثالثاً : الجملة المؤكدة :ـــ

الجملة المؤكدة : هي الجملة التي تأتي بأداة من أدوات التوكيد ، عندما يكون المخاطَب منكراً أو شاكاً ، حيث ذكر الدكتور فضل حسن عباس ((إذا كان الذي تخاطبه خالي الذهن ، لاتعرف منه إنكاراً ، ولا تجد في نفسه شكاً أو تردّداً فيما تلقيه إليه ، فينبغي أن تلقي إليه الخبر خالياً من التأكيد ، فتقول مثلاً : الدينُ المعاملة . أمّا إذا كنت تدرك من الذي تخاطبه شكاً ، فيحسن أن تؤكد له الخبر ؛ لتزيل ما بنفسه من شكّ ، فتقول له مثلاً : نتائج الامتحان ظهرت . أمّا إذا كنت تعرف أنّه منكر ، فيجب أن تؤكد له اللام على قدر ما تعرف من إنكاره .)) [١٢]

أمّا أدوات التوكيد فهي : إنّ ، ولام الابتداء ، وضمير الفصل ، والقسم ، وإمّا الشرطية ، وحرفا التنبيه (ألا وأما) ، والحروف الزائدة : (إن ، وأن ، وما ، ومن ، والباء ، وقد للتحقيق ، والسين وسوف الداخلتان على فعل دالّ على وعد أو وعيد) ، وتكرير النفي ، وإنّما ، ونونا التوكيد [١٣] .

١- إنَّ :هي الأصل في التوكيد ، ولها معاني يستفاد منها غير التوكيد ، وكثيراً ما استعملت في كتاب الله تعالى فبالنسبة لسورة الحديد فقد وردت في قوله تعالى :

﴿ إنَّ المصدقينَ والمصدِقاتِ وأقرضوا اللهَ قرضاً حسنا ﴾ [الحديد :١٨]

﴿ إنَّ ذلكَ على اللهِ يسير ﴾ [الحديد :٢٢]

﴿ فإنَّ اللهَ هو الغنيُ الحميد ﴾ [الحديد :٢٤]

﴿ إنَّ اللهَ قويٌ عزيز ﴾ [الحديد :٢٥]

وكثيراً ما تذكر معها لام الابتداء والقسم ، من مثل قوله تعالى : ﴿ وإنَّ الله بكم لرؤوفٌ رحيم ﴾ [الحديد:٩] ففي الآية الكريمة مؤكدان وهما (إنّ) واللام (للابتداء) وكان قصد الخالق تعالى من وجود مؤكدين في الآية هو لزيادة التأكيد ، حيث تتضمن الآية بيان رحمة الله ورأفته ، فهي تبيّن أنّ الله تعالى من صفاته الرأفة والرحمة ، وهنا قرنت الرأفة والرحمة تأكيداً على كون الهدف القرآني هدفاً فيه منفعة الناس ومصلحتهم . [١٤]

ومن الآيات التي أكدت بضمير الفصل (هو) قوله تعالى :

﴿ وهو على كلِّ شيءٍ قدير ﴾ [الحديد :٢]

﴿ وهو عليمٌ بذات الصدور ﴾ [الحديد :٦]

﴿ هُو الذي يُنزلُ على عبدِهِ آياتٍ بيناتٍ ﴾[الحديد :٩]

﴿ ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [الحديد:١٢]

﴿ فإنَّ اللهَ هُو الغنيُ الحميد ﴾ [الحديد :٢٤]

ومن الآيات التي تكرّر بها ضمير الفصل (هو) قوله تعالى: ﴿هوَ الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطِنُ وهُو بُكلِ شيءٍ عليم ﴾ [الحديد :٣]

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثمَّ استوى على العرشِ يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يَخرُجُ منها وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يعرجُ فيها وهو معكم أينما كُنتم ﴾ [الحديد :٤]

((فقد تكرّر الضمير (هو) مرتين في كلتا الآيتين ، وبذلك حمل جانباً دلالياً متنوعاً ، وتوكيداً متكرراً ، كان المقصود منه زيادة التوكيد)) [١٥] .

المبحث الثاني : الأسلوب الإنشائي

الأسلوب الإنشائي :هو مالا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته ، فلا ينقل المتحدث به خبراً ، وإنما ينشئ به شيئاً معيناً غير حاصل وقت التكلم ، ولذلك لا يصح

أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب ، وقد عرّفها الدكتور حلمي علي مرزوق في كتابه (في فلسفة البلاغة العربية) : ((إمّا الإنشائية فلا تخبر عن شيء ولا تنسب شيئاً إلى أحد ، فطبيعي - إذاً - أن يسقط عنها الصدق والكذب ، فلا يقال فيها : صادقة أو كاذبة ، لأنّك لا تخبر وإنما تطلب شيئاً ، أو تطلب عمل شيء ، كالأمر أو النهي أو الاستفهام ، فأنت تأمر أو تنهى أو تسأل ، ولذلك سميت جملة إنشائية)) [١٦] وهي نوعان : إنشائية طلبية ، وأخرى غير طلبية . فالإنشائية الطلبية : هي التي تطالبك أن تنشئ شيئاً بالأمر أو النهي أو الاستفهام فليس واحد من ذلك إلاّ وأنت مطالب معه أن تفعل شيئاً ، فإن أمرتك بالجلوس جلست ، أو نهيتك عنه انتهيت أو سألتك عن الساعة أجبت ، من أجل ذلك سمّي بالإنشاء الطلبي[١٧] . وقد عرّف القزويني الإنشاء الطلبي بقوله : ((والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب)) [١٨]

وهو على أنواع هي :

١- أسلوب الأمر :وهو طلب الفعل على جهة الاستعلاء وله أربع صيغ :-

١- فعل الأمر : ﴿ وأقيموا الصلاةَ ﴾ [البقرة :١١٠]

٢- المصدر النائب عن الفعل : كقول النبي (صلى الله عليه وآله) : صبراً آل ياسر ، فموعدكم الجنة .

٣- المضارع المقترن بلام الأمر : مثل قوله تعالى : ﴿ لِيُنفِق ذو سعة من سَعَتِهِ ﴾

٤- اسم فعل الأمر : مثل : مه ! ، لا تقولنَ إحداكنَ فعلتُ كذا وكذا . [١٩]

ولم نتناول كلَّ هذه الأنواع ، وإنّما عرضنا لصيغ الأمر الواردة في سورة الحديد ، ولم نجد في السورة إلا صيغة واحدة وهي صيغة (فعل الأمر) ، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى : ﴿ آمنوا باللهِ ورسولِهِ وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيهِ فالذينَ آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير ﴾ [الحديد :٧]

الأمر في الآية في الفعلين (آمنوا وأنفقوا) ،(((آمنوا) في الآية التي هي للأمر معناها (صدقوا أنَ اللهَ واحدٌ وأنَ محمداً رسوله) . والأمر الآخر المتمثل في قوله تعالى : (وأنفقوا) ، (تصدّقوا) أو المراد الزكاة المفروضة ، ويبدو أنّ الأمر في آمنوا وأنفقوا إن كان يراد به المسلمون ، فهو يفيد الاستمرار والاستدامة على ما هم عليه وعليهم بالإنفاق وأمّا إذا كان لغير المسلمين فهي دعوتهم لدخول هذا الدين)) [٢٠] ومن صيغ الأمر أيضاً قوله تعالى : ﴿ انظرونا نقتبس من نوركم قيلَ ارجعوا وراءكُم فالتمسوا نوراً فضُرِبَ بينهم بسورٍ لهُ بابٌ باطنُهُ فيِ الرحمة وظاهرُهُ فيه العذاب ﴾ [الحديد :١٣]

فالأمر في الآية تمّثل في الأفعال (انظرونا ، وارجعوا ، والتمسوا) ، قال الزمخشري : ((أي ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نوراً ، بتحصيل سببه ، وهو الإيمان أو ارجعوا تائبين وتنحّوا عنا فالتمسوا نوراً آخر ، فلا سبيل لكم إلى هذا النور)) [٢١]. ويلحظ على أن الآية اشتملت على أمرين بهذه الدلالة ، فقد عطف الثاني منهما على الأول بالفاء ، يدلّ على ذينك الفعلين بلا فاصل ، ويشعر الثاني منهما بالخيبة التامة ، إذ لا نور حين الرجوع إلى الوراء[٢٢]. .

٢ـ أسلوب النهي :

النهي: هو طلب الكف عن شيء، وأداته واحدة ،هي (لا الطلبية) وتسمى (لا الناهية) إن كان صادراً من أعلى إلى أدنى ، فإن كان من أدنى إلى أعلى سميت (لا الدعائية) وإن كان مساوياً لنظيره سميت (لا للالتماس) فتسميتها (لا الطلبية) أولى ، لأنّ طلب الكف يشمل حالاتها الثلاث[٢٣] . .

قال تعالى : ﴿ ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشعَ قلوبُهُم لذِكرِ اللهِ وما نزلَ من الحقِ ولا يكونوا كالذين أوُتوا الكتابَ مِن قبلُ فطال عليهمُ الأمد فقَستْ قلوبُهُم وكثيرٌ

منهم فاسقون ﴾ [الحديد :١٦]
النهي في الآية يتمثّل في قوله تعالى : (ولا يكونوا) ، ويبدو أن النهي في الآية قد خرج عن معناه الظاهر إلى معنى آخر وهو التهديد بأن (لا يكونوا) كأهل الكتاب الذين لم يلتزموا بالتوراة والإنجيل[٢٤]
قال الحكيم (قدس سره) : إنّ في قوله تعالى :((﴿ ولا يكونوا كالذينَ أُوتوا الكتابَ ﴾ ، تشير إلى أوضاع أهل الكتاب ، وما أصابهم من قسوة القلب . فتذكر أنّ أهل الكتاب بالرغم من مجيء الأنبياء لهم ، ونزول الكتب والرسالات عليهم ، حتى أطلق عليهم أهل الكتاب ، حصلت عندهم قسوة القلب ، وتعلّل الآية الشريفة ذلك بطول الأمد)) [٢٥]
٣- أسلوب الاستفهام :
الاستفهام : هو طلب الفهم ((وهو استخبارك عن الشيء الذي لم يتقدّم لك علم به ، وبعضهم يفرّق بين الاستفهام والاستخبار ، وليس ذلك عناء في علم البلاغة ، أدواته إحدى عشرة أداة : حرفان : هما : (الهمزة) ، و(هل) ، وتسعة أسماء وهي : مَنْ ، ما ، متى ، أينَ ، إيانَ ، أنّى ، كيف ، كم ، وأي)) [٢٦]
والاستفهام في كلام العرب يستعمل للاستفهام عن أمر يجهله السائل وهو في التعريف طلب خبر ما ليس عندك ، أو هو طلب الفهم ، هذا من حيث الأصل ، أمّا من حيث المجاز فيكون لمعنى يقصده السائل كقول الوالد لولده : كم مرة قلت لك : لا تفعل هذا الفعل ؟ فالسؤال هنا لإيراد منه حقيقة الاستفهام بل يراد منه تقريع الولد وتوبيخه على معاودته الفعل المنهي عنه[٢٧]
فإذا انتقلنا إلى القرآن الكريم ' فإنّ الذي ينبغي أن يقال في هذا الصدد : أنّه سبحانه وتعالى لا يستفهم خلقه في شيء ، وإنما يستفهمهم ليذكّرهم أنّهم قد علموا حق ذلك الشيء ، وهذا أسلوب بديع انفرد به الخطاب القرآني.

وفي سورة الحديد مجموعة من الاستفهامات منها قوله تعالى :
﴿ ومالكم لا تؤمنونَ باللهِ والرسول يدعوكُم لتؤمنوا بربكُم وقد أخذَ ميثاقكم إن كُنتم مؤمنين ﴾ [الحديد :٨] الاستفهام في قوله تعالى : (ومالكم) ، استفهام إنكاري تعجبي ، بمعنى أي شيء استقرّ لكم من الثواب في الآخرة إذا لم تؤمنوا بالله وقد أخذ ميثاقكم؟[٢٨] . وقد ذهب ابن عاشور إلى ((أنّ هذا الاستفهام مستعمل في (التوبيخ والتعجب) ، وكان مستعملاً في الطلب (لا) في الدوام)) [٢٩]
وهذا الاستفهام يفيد الإعراض عن الإيمان ، وفي الوقت نفسه هو تعريض وتوبيخ وتعجّب كما ذهب ابن عاشور . ومن أمثلة الاستفهام الواردة قوله تعالى : ﴿ ومالكم ألا تنفقوا في سبيلِ اللهِ وللهِ ميراثُ السمواتِ والأرضِ ﴾ [الحديد :١٠]
(ومالكم) استفهام توبيخي أستعمل في التأنيب لعدم الإنفاق في سبيل الله ، ويقول النحاس عن هذا الاستفهام : ((وأي عذر لكم في أن لا تنفقوا في سبيل الله فحضّهم بهذا على الإنفاق)) [٣٠].
والاستفهام الوارد في الآية مقصود به التوبيخ على شيئين ، وهما : على ترك الإنفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من الأعذار ، والمعنى وأي شيء لكم في أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى[٣١] ومن الأمثلة قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرضُ اللهَ قرضاً حسناً فيضاعفهُ لهُ ولهُ أجرٌ كريم ﴾ [الحديد :١١]
فالاستفهام في كلمة (من ذا) مستعمل في معنى التحريض والحث على إقراض الله سبحانه وتعالى قرضاً حسناً . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ يُنادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتُم أنفُسَكُم وارتبتُم وغرَّتكم الأماني حتى جاء أمرُ اللهِ وغرَّكم باللهِ الغرور ﴾ [الحديد :١٤]

والاستفهام التقريري في (ألم نكُن معكم) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ ألم يأنِ للذينَ آمنوا أن تخشَعَ قلوبُهُم لذِكرِ اللهِ وما نَزَلَ من الحق ولا يكونوا كالذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلُ فطال عليهم الأمد فقستْ قلوبُهُم وكثيرٌ منهم فاسقون ﴾ [الحديد :١٦] فالاستفهام في الآيتين يتمثّل في (ألم نكن معكم) و (ألم يأنِ للذين آمنوا)، بيد أنّ كلاً منهما جاء يخاطب أقواما ،فالأول استفهام جاء تقرير لقول المنافقين والمنافقات حينما يخاطب المؤمنين (ألم نكن معكم) ، بأسلوب الإنكار والتقرير والتوبيخ لهم حيث لا ينفع شيء بعد فولت الأوان . والاستفهام الآخر في (ألم يأنِ) للعصاة المؤمنين جاء بصورة الاستفهام التقريري ، ويبدو أنّ هذا الاستفهام خرج لمعنى الحث والتحضيض على الخشوع والعودة إلى ماأنزل الله (والله أعلم).

وذكر السيد الحكيم (قدس سره) : أنّه جاء بصيغة العتب على المؤمنين لقساوة قلوبهم، حيث يبدو أنّهم في عصر الرسالة - من الناحية القلبية والنفسية والوجدانية - في معرض الخطر ، وأصبح حالهم حال أهل الكتاب الذين طال عليهم الأمد، فقست قلوبهم ، وإذ تدعو المؤمنين بلسان الاستفهام الاستنكاري التأنيبي العتابي ؛ لتحقيق حالة خشوع القلب ، حيث إنّ كلمة(يأنِ) مأخوذة من أنّى . وتأتي بمعنى مجيء الوقت واقترابه ، و(ألم يأنِ للذين آمنوا) أي ألم يأت الوقت الذي تخشع فيه قلوب المؤمنين[٣٢]

٤- أسلوب النداء :

النداء : هو طلب إقبال المخاطب ، وإن شئت فقل دعوة المخاطب بحرف من أحرف النداء[٣٣] . ، وحروفه ثمانية ، للبعيد : (يا ، وأي ، وآ ،أيا ، وهيا)،

وللقريب : الهمزة ، نحو : (أزيدُ أقبلَ) [٣٤]

وهو طريقة من طرائق الخطاب بين المخاطِب والمخاطَب للتواصل والتقارب والتفاهم ، وقد اعتمده القرآن في توصيل رسالته للعالمين ، وتوضيح مقاصده التي ضمنها أحكامه وتشريعاته .أكثر ما ورد في القرآن للذين آمنوا ، حيث ورد النداء في تسعة وثمانين موضعاً كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذيَ آمنوا استعينوا بالصبرِ والصلاة ﴾ [البقرة :١٥٣]، ويأتي في الدرجة الثانية النداء لعموم الناس وذلك في عشرين موضعاً ، ثم النداء للرسول (صلى الله عليه وآله) ، ثم النداء للإنسان . وجاء النداء للكفار في موضع واحد وهو قوله تعالى : ﴿ يأيها الذينَ كفروا لا تعتذروا اليومَ ﴾ [التحريم :٧].

والغرض الرئيس من أسلوب النداء هو التنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب ؛ لأنّ النداء يسترعي إسماع المنادين. وقد ورد النداء في سورة الحديد في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وآمنوا برُسولِهِ يؤتكِمُ كِفلَينِ من رحمَتِهِ ويجعل لكُم نوراً تَمشونَ بهِ ويغفر لكم واللهُ غفورٌ رحيم ﴾ [الحديد :٢٨] النداء يتمثل في (يا أيها) وهو خطاب يكون قد نزل بالمدينة ؛ لأنّه جاء بصيغة (يا أيها الذينَ آمنوا) ، وما كان بـ (يا أيها الناس)، فهو مكي ومدني وأكثره مكي[٣٥] . والخطاب موجّه للمؤمنين كما هو ظاهر قوله تعالى : ((يأيها الذينَ آمنوا)) ، وهذا التركيب عادة ما يستخدم في خطاب خصوص المسلمين من أتباع النبي المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله) ، وقد جاء على لسان بعض المفسرين : إنّ الخطاب لأهل الكتاب بدعوى إنّ مقتضى السياق هو ذاك ، وإنّ الذين آمنوا هم الذين آمنوا من أهل الكتاب ، وهذا الاحتمال هو بعيد عن ظاهر الآية الشريفة ؛ لأنّ الأسلوب القرآني عند الحديث عن المسلمين وخطابهم استخدم مصطلح : ((يا أيها الذينَ آمنوا)) ، وكلما جاء الخطاب القرآني بهذا الشكل مطلقا دون قيد فهو موجّه للمؤمنين الذين آمنوا بالله سبحانه وتعالى[٣٦] .. وهنا أقبل لقوله

تعالى : ﴿ فآتينا الذينَ آمنوا منهم أجرهم ﴾ [الحديد :٢٧] أي من الذين اتبعوا عيسى (عليه السلام) .

المبحث الثالث :ـ أسلوب التقديم والتأخير

التقديم والتأخير :فن دقيق ورفيع ، لا يعرفه إلاّ أهل البصر بالتعبير ، والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وأسرار تراكيبه ، ((فهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة ، وقد قال فيه عبد القاهر الجرجاني : (هو باب كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفه)) [٣٧]

وللتقديم والتأخير مقاصد كثيرة تحدّث عنها العلماء ، ومن هذه المقاصد : العناية ، والاهتمام ، والاختصاص ، وإفادة القصر ، والافتخار ، والتفاؤل ، والتشاؤم ، ولتعجيل المسرة والمساءة ، وإظهار التعظيم ، والتحقير ، وتقوية الحكم وتوكيده ، والمناسبة والسببية ، وغيرها من المقاصد التي يذكرها العلماء في كتبهم[٣٨]

ورد التقديم في النصوص القرآنية بعدة صيغ ، وقد ظهرت هذه الصيغ حسب كثرتها كالآتي :

١- تقديم الخبر على المبتدأ .
٢- تقديم المفعول به .
٣- تقديم الجار والمجرور
٤- تقديم خبر إنّ على اسمها .
٥- تقديم الفاعل على الفعل .
٦- تقديم الحال والتمييز.
٧- تقديم خبر كان .

من البيانات الأسلوبية المهيمنة على النصوص التي ظهر فيها تقديم الخبر: بنية تقديم الخبر على المبتدأ والتي ظهرت كثيراً في نصوص وصف قدرة الله وآياته في الكون ، فقد كان القصد من هذه البيانات الأسلوبية هو تخصيص الملك والقدرة وغيرها من الأمور الأخرى بالله سبحانه وتعالى ، وفي ذلك بيان لقدرته وسيطرته على الكون بأرضه وسماواته ، قال تعالى : ﴿ له ملكُ السمواتِ والأرض يُحيي ويميت وهو على كلِّ شيءٍ قدير ﴾ [الحديد :٢] فقد قدّم الجار والمجرور في الآية (لهُ ملك السمواتِ) ؛ لأنه يصف قدرة الله تعالى ، وأنّ الملك له ، ((تبيّن الآية الشريفة أنّ الملكية المطلقة لله سبحانه وتعالى بالنسبة للسموات والأرض، وهي ملكية حقيقية ، حيث بيده السماوات والأرض بكل خصوصياتها ، وشؤونها[٣٩]

ومن أمثلة التقديم والتأخير في السورة قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في سِتةِ أيامٍ ثُم استوى على العرش يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ مِنَ السماءِ وما يعرُجُ فيها وهو معكم أينما كُنتم واللهُ بما تعملونَ بصير ﴾ [الحديد : ٤] فقدّم (بما تعملون) على (بصير) ، ذلك لأنّها وردت بعد قوله (وهو معكم أينما كنتم) ، فقدّم ما يتعلق بهم وهو عملهم .

ومن أمثلة التقديم والتأخير قوله تعالى : ﴿ ومالكم ألاّ تنفقوا في سبيلِ اللهِ وللهِ ميراثُ السمواتِ والأرضِ لا يستوي مِنكُم مَن أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ أولئكَ أعظمُ درجَةً من الذينَ أنفقوا من بعدُ وقاتلوا وكلاً وعدَ اللهُ الحسنى واللهُ بما تعملونَ خبير ﴾ [الحديد :١٠] ففي هذه الآية الكريمة تقديم وتأخير في موضعين ، الموضع الأول قدّم الخبر (ولله) على المبتدأ (ميراثُ) ، وهذا التقديم له دلالة مفادها أن الملك كله لله ، والذي يرث هذا الوجود خالقه ، وخالقه هو الله ، فقدّم ماحقّه التقديم ، وهو لفظ الجلالة على كلمة ميراث ، ويبدو أن هذا التقديم لتخصيص ، وتوضيح أنّ الملك وارثه هو الله . وفي الموضع الثاني قدّم (وكلاً) وهي مفعول به أول للفعل (وعدَ) والمفعول الثاني كلمة (الحسنى) ، فهذا التقديم يفيد لفت الأنظار إلى أهمية الإنفاق سواء أكان قبل الفتح

أم بعده، ويعمّم أنّ الإنفاق ضروري ويستحق من الله الحسنى ، والحسنى هي الوعد من الله بالجنة . ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى : ﴿ والذينَ آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ أُولئكَ هُمُ الصديقون والشُهداءُ عند ربِّهِم لهُم أجرُهُمْ ونورُهُم والذينَ كفروا وكذّبوا بآياتِنا أولئكَ أصحابُ الجحيم ﴾ الحديد :١٩] (لهم) :خبر مقدّم والمبتدأ (أجرُهم) ، والفائدة في التقديم - والله أعلم - هو التخصيص ، أي تخصيص الأجر لهم ، لكن بشرط أن يؤمنوا بالله ورسله . حيث إنّ هؤلاء ملحقون بهم حكماً في الأجر والثواب وفي ما يترتب على هذا المقام من آثار ونتائج لأنّهم هم الصديقون والشهداء حقاً[٤٠]

ومن أمثلة التقديم قوله تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياةُ الدُنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثُر في الأموالِ والأولادِ كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكُفارُ نباتَهُ ثم يهيجُ فتراهُ مصفراً ثمَ يكونُ حُطاماً وفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من اللهِ ورضوانٌ وما الحياة الدُنيا إلاّ متاعُ الغرور ﴾ [الحديد :٢٠] فالخبر المقدّم (وفي الآخرة) ، والمبتدأ (عذابٌ) والتقديم لفائدة وعلة ، وهي أنّ الآخرة قد ينكرها المنكرون ، ويجحدها الجاحدون ، فجاءت للفت الأنظار إلى أهميتها والاستعداد لها ، وهناك وعيد بالعذاب الشديد للجاحدين . ومن الأمثلة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيناتِ وأنزلنا معهم الكتابَ والميزانَ ليقومَ الناسُ بالقسطِ وأنزلنا الحديدَ فيهِ باسٌ شديدٌ ومنافع للناس وليعْلَمَ اللهُ من يَنصُرُهُ ورُسُوله بالغيبِ إنّ اللهَ قويٌ عزيز ﴾ [الحديد :٢٥] فقدّم الخبر وهو شبه الجملة (فيه) على المبتدأ (بأس) قدّم كلمة (فيه)على البأس لما في الحديد من أهمية، وخاصية تأثيرها في الصناعة ، فالحديد يدخل في صناعة بعض المواد أو يدخل في صنع الآلات ، وجاء التقديم ملفتاً إلى خصوصية الحديد في السلم والحرب[٤١] ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيمَ وجعلنا في ذريتهما النبوةَ والكتابَ فمنهم مُهتدٍ وكثيرٌ منهُم فاسقون ﴾ [الحديد :٢٦]

(فمنهم) الخبر مقدّم على المبتدأ (مهتدٍ) ، وهذا التقديم لفائدة ، حيث قدّم المهتدين على الفاسقين ، وهذا لشرف لمن هو على طريق الهداية[٤٢] وكذلك في قوله تعالى : ﴿ لا يستوي منكم من أنفقَ مِن قبلِ الفتح وقاتلَ أولئك أعظمُ درجةً من الذينَ أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ [الحديد :١٠] ففي الآية بيان لتفاوت المنفقين باختلاف أحوالهم من السبق وقوة اليقين ، وفي تقديم التمييز(درجةً) على المفضل عليه (الذين أنفقوا من بعد) توكيد لأحقية المفضّل وتمكنّه في الفضل ، فالتعجيل بذكر التمييز ووصله بأفعل التفضيل تقوّيه للخبر بأنَّ المنفقين قبل الفتح والمقاتلين أرجح في التفاضل ، ولكلٍ الجنة بدليل قوله تعالى : ((وكُلاً وعدَ اللهُ الحُسنى)) [٤٣] .

المبحث الرابع : - أسلوبُ القَصْرِ

القصر: أحد الأساليب البلاغية التي يقتضيها المقام ، ويدعو إليها حال المخاطب ، وسنقوم بتعريفه لغة واصطلاحاً :

تعريفه في اللغة: القصر هو الحبس ، والقرآن الكريم هو المرجع اليقيني الذي تطمئن إليه القلوب ثقةً وصحةً ، فقد جاء في الكتاب الكريم : ﴿ وعندهُم قاصراتُ الطرفِ عِين ﴾ [الصافات :٤٨] ، وفي السورة التي تليها : ﴿ وعندهُم قاصراتُ الطرفِ أتراب ﴾ [ص :٥٢] ، وفي سورة الرحمن : ﴿ فيهُنَّ قاصراتُ الطرفِ لم يطمثهُنَّ إنسٌ ولا جان ﴾[الرحمن :٥٦]، ففي هذه الآيات الثلاث وصف لنساء أهل الجنة بأنّهن يقصرنَ الطرف على أزواجهنَ ، فلا تتعدى نظراتهنَ غير أولئك الأزواج[٤٤] ((والقصر معناه الحبس والقيد ، وقصرت نفسي إلى أمر إذ لم أطمع إلى غيره

)) [٤٥] وقد عقد عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) باباً سماه في (دلائل الإعجاز) : باب القصر والاختصاص (٤٦)..

- وهذا المعنى اللغوي أصل وأساس المعنى الاصطلاحي الذي استقرّ عليه علماء البلاغة فيما بعد ، فلقد رأينا أنّ القصر لغة هو الحبس ، والنصوص القرآنية نستشف منها معنى التخصيص ، وهذا المعنى يرشدنا إلى المعنى الاصطلاحي - كما قلنا - فقد عرّف علماء البلاغة القصر: بأنّه تخصيص أمر بأمر ، بطريق مخصوص . وأيضاً القصر هو الحصر[٤٧] .

ومن أمثلة القصر في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ سبّحَ للهِ ما في السماوات والأرضَ وهو العزيزُ الحكيم ﴾ [الحديد :١] ، فالقصر في الآية في موضعين بين كلمتي (العزيز) و(الحكيم) ، فالعزيز الحق هو الله ، والحكيم بصدق هو جلّ وعلا ، فلا عزيز ولا حكيم إلاّ هو ، وغيره ليس بعزيز ولا بحكيم[٤٨] .

ومن الأمثلة الأخرى في السورة : ﴿ هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكُلِّ شيءٍ عليم ﴾ [الحديد :٣] ، ففي الآية قصر وحصر أنّ الله هو الأول وإنّه هو الآخِر ، ولا أول قبله ولا آخِر بعده ، فهي صفات مقصورة لله سبحانه وتعالى ، لا ينازعه فيها أحد . وورد القصر في قوله : ﴿ والذينَ آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ أولئكَ هُمُ الصديقون والشهداءُ عند ربِّهم لهُم أجرُهم ونورُهم ﴾ [الحديد :١٩] فالقصر في الآية (أولئك هُمُ الصديقون) فقصر الصدق وحصره في الصديقين لأنّهم آمنوا بالله ورسوله ، أي هم الصديقون ، لأنّ الذين كفروا كذبوا الرسل[٤٩] .

وقد أوضحت الآية صنفاً من الناس ضمن عنوانين رئيسين هما :عنوان الصديقين وعنوان الشهداء ، ((والذينَ آمنوا باللهِ ورسُلِهِ أولئكَ هُمُ الصديقون والشهداء عند ربِّهِم)) فعند افتراض أنّ الذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وأولئك هم الشهداء ، لابد من القول حينئذٍ : إنّ المراد من الإيمان المقرون بالعمل والمتطابق مع سلوك الإنسان وتصرفاته ، لا مجرد الالتزام القلبي الموجود في النفس الإنسانية من الاعتقاد بالله سبحانه وتعالى [٥٠]. . ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى : ﴿ اعلموا إنما الحياةُ الدُنيا لعِبٌ ولَهوٌ وزينةٌ وتفاخُرَ بينكُم وتكاثُرَ في الأموالِ والأولاد كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفارَ نباتُهُ ثمَ يهيجُ فتراهُ مُصفراً ثُمَّ يكونُ حُطاماً وفي الآخرةِ عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من اللهِ ورضوانٌ وما الحياةُ الدُنيا إلاّ متاعُ الغرور ﴾ [الحديد :٢٠]

وفي الآية موضعان للقصر هما : أولاً : في كلمة (إنّما) فقد قصرت هذه الكلمة مجموعة أمور منها الحياة الدنيا بأنّها زينة ولعب وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد .فالقصر هنا قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً ، فقد قصر الحياة بأنّها لعب ولهو . أمّا الموضع الثاني للقصر في الآية الشريفة فهو في قوله تعالى : ((وما الحياةُ الدُنيا إلا متاعُ الغرور)) ، وهذا القصر هو تخصيص المبتدأ بالخبر بطريقة النفي ، فهو قصد موصوف على صفةٍ قصراً إضافياً[٥١]

ومن الأمثلة الأخرى قوله تعالى : ﴿ ما أَصابَ من مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفُسِكُم إلاّ في كتابٍ من قبلِ أن نبرأَها إنّ ذلكَ على اللهِ يسير ﴾ [الحديد :٢٢] فالقصر في الآية يلحظ في قوله تعالى : ((ولا في أنفسكم إلاّ في كتابٍ)) ، وهذا القصر حقيقي، فقد قصر المصيبة التي تصيب الإنسان أنّها في كتابٍ ' فالمقصور ((ولا في أنفسِكم)) والمقصور (إلاّ في كتابٍ) ، وهذا القصر قد ورد بطريقة النفي والاستثناء . ((إنّ كلّ مصيبة يراها الإنسان في حياته ، سواء أكانت في الأرض أم في نفسه ، فهي

مدوّنة ومسجّلة ومكتوبة في كتاب عند الله تبارك وتعالى ، وهي قضية قائمة وثابتة في حياة الإنسان لا يمكنه تغافلها)) [٥٢] ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : ﴿ الذينَ يبخلونَ ويأمرونَ الناسَ بالبُخلِ ومَنْ يتولَّ فإنَّ الله هُو الغنيُ الحميد ﴾ [الحديد : ٢٤]

وقال تعالى : ((هو الغنيُ)) ، ولم يقل (غني) : لأنّه لاغني على الحقيقة سواه ، فعرّف الوصف ب(أل) ، وجاء بضمير الفصل للدلالة على الحصر ، وهذا الحصر إنّما هو قصر حقيقي ، فإنّ الغني على وجه الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى ، فإنما غنى البشر هو غنى وقتي ، أو مجازي يوشك أن يفارق المال بالموت أو بسبب آخر[٥٣]

المبحث الخامس :ـ أسلوب التكرار

التكرار :هو من مباحث علم المعاني ، كما عده ابن القيم في كتابه (الفوائد المشوق) ، وجعله القسم الحادي عشر ، ثم قال : والكلام فيه من الوجوه ما يأتي :

الأول فحقيقة التكرار أنّ التكرار أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أم المختلف ، أو يأتي بمعنى ثم يعيده[٥٤]

والتكرار قد ورد في سورة الحديد ، ولكن هذا التكرار ليس تزييناً أو تجميلاً ، ولكن لتوكيد أمر أو تأسيس معنى ، لأنّ كلام الله معجز بلفظه ومعناه[٥٥]

ومن أمثلة التكرار التي وردت في السورة : تكرار الضمير (هو) ، فقد ورد في الآية الأولى والثانية الضمير (هو) مرة واحدة ، وفي الآية الثالثة والرابعة مرتين ، وفي الآيات السادسة والتاسعة والثانية عشرة والرابعة والعشرين تكرار الضمير (هو) مرة واحدة ، أي ذكر الضمير (هو) في السورة عشر مرات ، وفي كل مرة له دلالة خاصة ، وكذلك لإيصال معنى محدّد خاص بالصورة .

وكذلك من الألفاظ التي تكررت في سورة الحديد مفردة (النور) فقد وردت في السورة في خمس مواضع :

١- ﴿ هو الذي يُنزلُ على عبدهِ آياتٍ بيّناتٍ ليُخرِجَكُم منَ الظلماتِ إلى النور وإنَّ اللهَ بكُم لرؤوفٌ رحيم ﴾ [الحديد :٩]

٢- ﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمناتِ يسعى نورُهم بينَ أيديهم وبأيمانِهم بُشراكُمُ اليومَ جناتٌ تجري من تحتها الأنهار ﴾ [الحديد :١٢]

٣ ﴿ يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ للذينَ آمنوا انظرونا نقتبس من نورِكُم ﴾ [الحديد :١٣]

٤ ﴿ والذينَ آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ أولئكَ هُمُ الصديقون والشهداءُ عندَربهم لهُم أجرُهُم ونورُهُم ﴾ [الحديد:١٩]

٥- ﴿ يا أيّها الذينَ آمنوا اتقوا اللهَ وآمنوا برسولِهِ يُؤتِكُم كِفلَينِ من رحمَتِهِ ويجعلْ لكُم نوراً تمشونَ بهِ ﴾ [الحديد :٢٨]

وكذلك من الألفاظ التي تكررت : لفظتا (الظاهر - الباطن) :

١- ﴿ هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطِنُ ﴾ [الحديد :٣]

٢- ﴿ باطِنُهُ فيهِ الرحمة وظاهِرُهُ من قِبلِهِ العذاب ﴾ [الحديد :١٣]

ومن الألفاظ الأخرى التي تكررت لفظتا (السموات والأرض)، وذلك في قوله تعالى :

١- ﴿ سبحَ للهِ ما في السمواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم ﴾ [الحديد :١]

٢- ﴿ لهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ يُحيي ويُميت ﴾ [الحديد :٢]

٣- ﴿ هو الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ﴾ [الحديد :٤]

٤- ﴿ لهُ مُلكُ السمواتِ والأرضَ وإلى اللهِ تُرجَعُ الأمور)) [الحديد :٥]

٥- ﴿ ومالَكُم ألّا تنفقوا في سبيلِ اللهِ ولله ميراثُ

السمواتِ والأرض ﴾ [الحديد :١٠]

٦- ﴿ اعلموا أنّ اللهَ يحيي الأرضَ بعد موتِها قد بيّنا لكُمُ الآياتِ لعلكُم تعقلون ﴾ [الحديد :١٧]

٧- ﴿ سابِقوا إلى مغفرةٍ من ربِكُم وجنةٍ عَرْضُها كعرضِ السماءِ والأرضِ أُعدتْ للذين آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ ذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ من يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم ﴾ [الحديد:٢١] وقد تكررت مفردة (يوم) في ثلاث آيات في السورة المباركة :

١ــ ﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمناتِ يسعى نورُهُم بينَ أيديهم وبأيمانِهم بُشراكُمُ اليومَ جناتٌ ﴾ [الحيد١٢]

٢ــ ﴿ يومَ يقولُ المنافقونَ والمنافقاتُ للذينَ آمنوا انظرونا نقتبسْ مِنْ نورِكُم ... ﴾ [الحديد :١٣]

٣ــ ﴿ فاليومَ لا يُؤخَذُ مِنكُم فِديةٌ ولا منَ الذينَ كفروا ﴾ [الحديد:١٥]

ففي الآية الأولى جاءت مرتين ، مرة مع النور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، وهو مشهد فرح لحسن العاقبة ، ثم تأتي كلمة يوم مقترنة بالبشرى ، وكلمة (يوم) جاءت من غير لام التعريف في المرة الأولى ، وفي المرة الثانية جاءت معرفة لأنّ ذلك اليوم له بعد نفسي ومعنوي ، فجاءت مؤكدة لذلك اليوم[٥٦]

أمّا في الآيتين الثانية والثالثة فقد جاءت لتصوير حالة المنافقين في يوم القيامة ، ونلاحظ أنها قد جاءت غير معرفة في الآية الأولى ﴿ يومَ يقولُ ﴾ ، وجاءت معرفة في الآية الثانية ﴿ فاليومُ لا يُؤخَذُ ... ﴾ وذلك لتأكيد الحالة كما قلنا .

وعند قراءتنا للسورة المباركة نلاحظ أنّ هناك تكراراً لفظياً لكثير من المفردات ونرى أنّ كلّ مفردة إنّما جاء تكرارها لإيصال معنى محدد خاص بالسورة ، وقد توجد هذه الألفاظ في سور أخرى مشابهة ، إلاّ أنها تحتفظ بخواصها ودلالاتها في هذه السورة تحديداً لأنّ القرآن الكريم في ألفاظه يختلف عن الكلام العادي لناطقي العربية حيث يستطيع أي شخص حتى لو لم يكن يحفظ القرآن أن يفرّق بين القرآن وغيره من الكلام اللفظي لتكون كل سورة نسيجا خاصا بها حتى لو تشابهت مع بعض السور الأخرى في قليل أو كثير من المواضع ، وهذه قصة أخرى ومعجزة أخرى لإيصال معاني أخرى .

المبحث السادس : ـ أسلوبُ الحذفِ

الحذفُ :هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ، وأمّا قول النحويين : الحذف لغير دليل ويسمّى اقتصاراً . ((وما ذكره القزويني في تلخيصه لـ (مفتاح السكاكي) قال: أمّا حذفه ، فالاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر ، أو تخييل العدول على أقوى الدليلين من العقل واللفظ ، كقوله : قال لي : كيف أنت ؟ قلتُ : عليلُ ، أو اختبار تنبيه السامع عند القرينة ، أو مقدار تنبهه ، أو إيهام صوته عن لسانك ، أو عكسه ، أو تأتي للإنكار لدى الحاجة ، أو تعينه ، أو ادعاء التعين ، أو نحو ذلك)) [٥٧] .

وقد ورد الحذف في سورة الحديد في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ آمنوا باللهِ ورسُلِهِ وأنفقوا مّما جعلكم مُستخلَفينَ فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجرٌ كبير ﴾ [الحديد :٧]

فقد قال تعالى : ﴿ وأنفَقُوا ﴾ بالفعل الماضي ولم يصرّح ما هو المُنفَق ، قد يكون من المال أو المواشي أو الزروع ، فحذفت هذه الأشياء ، وصرّح بالإنفاق فقد حذف مفعول أنفقوا للمبالغة في الحث على الإنفاق ، وعدم البخل بالمال[٥٨]

وقد ذكر السيد الحكيم (قدس سره) : أنَّ القرآن المجيد يؤكد على أنَّ الذي يؤمن بالله تعالى وينفق في سبيله يستحق الأجر بل الأجر الكبير كما عبّرت عنه الآية الكريمة ، وأنَّ هذا الأجر يكون مختصاً بهذا الصنف من الناس ، والقرآن في هذه الآية بفقراتها

الثلاث يريد إيضاح فكرة أنّ الإيمان بالله سبحانه وتعالى مطلوب بدرجة عالية تتجسد من خلال الإنفاق في سبيل الله ـــ إنفاق المال الذي استخلف فيه الإنسان من قبل الله سبحانه وتعالى ـــ والمؤمن المحقق لهذه الدرجة العالية من الإيمان له عند الله سبحانه وتعالى أجرٌ كبير[٥٩] ومن أمثلة الحذف قوله تعالى : ﴿ ومالكم ألّا تنفقوا في سبيلِ اللهِ ولله ميراثُ السمواتِ والأرضِ لا يستوي منكم من أنفقَ من قبلِ الفتحِ وقاتلَ ﴾ [الحديد :١٠]

في هذه الآية حذفان : الأول: في قوله تعالى : ﴿ تنفقوا في سبيلِ الله ﴾ ، أي : أي شيء لكم في ألّا تنفقوا ما هو قربة إلى الله تعالى .

والثاني :حذف ثاني الاستواء ، لأنّ الاستواء لا يتم إلّا بعد شيئين ، فلابد من حذف مضاف تقديره : لا يستوي منكم من أنفق قبل فتح مكة وقوة الإسلام[٦٠]

وكذلك ورد الحذف في قوله تعالى : ﴿ إنّ المصدقين والمصدقاتِ وأقرضوا اللهَ قرضاً حسناً يُضاعَفُ لهم ولهم أجرٌ كريم ﴾ [الحديد :١٨]

فقد حذف نائب الفاعل للفعل (يُضاعَفُ) ، والتقدير هو : يضاعف لهم الأجر ، فحذف الأجر ؛ وذلك لتبيّنه في تكملة الآية ، حيث قال تعالى : ((ولهم أجرٌ كريم)) .

المبحث السابع : ـ التصويرُ الفني

أولا: التشبيه: ـــ

التشبيه: أحد مباحث علم البيان ، ومعناه كما جاء في لسان العرب (أنّ شبَّه والشَّبه والتشبيه : المثل والجمع أشباه ، وأشبهَ الشيء الشيء : ماثَلَهُ ، وأشبهتُ فلاناً وشابهتُهُ وأشبهَ عليّ وتشابه الشيئان واشتبها : أشبهَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبهُ ، وشبههُ إياه وشبههُ بهِ : مثلهُ ، والتشبيه : التمثيل)) [٦١]

كما قال الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة : ((إنّ الشيئين إذا شُبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين :

أحدهما : أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأويل . والآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل)) [٦٢]

وأركان التشبيه هي : المشبه ، والمشبّه به ، وأداة التشبيه .

وقد ورد التشبيه في سورة الحديد في قوله تعالى : ﴿ اعلموا إنّما الحياةُ الدُنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثُرَ في الأموال والأولاد كمثلِ غيثٍ أعجبَ الكفارَ نباتُهُ فتراهُ مُصفراً ... ﴾ [الحديد :٢٠]

شبّه الحياة الدنيا بغيث أعجب الكفار نباته ، والكفار هم الكافرون بالله ، الجاحدون لنعمه ، والكفار هم الزراع ، ويجوز أن يكونوا بأعيانهم ، لأنّ الدنيا للكفار أشد إعجاباً . ومعنى الآية أنّ الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرته بكثرة الأمطار ثم لا يلبث أن يصير هشيماً كأن لم يكن ، وإذا أعجب الزراع فهو في غاية الحسن[٦٣] وكذلك من أمثلة التشبيه في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ سابقوا إلى مغفرةٍ من ربِّكُم وجَنّةٍ عرْضُها كعرضِ السماءِ والأرضِ أُعدتْ للذينَ آمنوا باللهِ ورُسُلِهِ ذلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يشاء واللهُ ذو الفضلِ العظيم ﴾ [الحديد :٢١] فالمشبه : عرض الجنة ، والمشبّه به :عرض السماوات والأرض ، ووجه الشبه : الاتساع الكبير، وذكر العرض دون الطول ؛ لأنّ العرض أقل من الطول ، فإذا كان هذا عرضها ، فعُرِف أنّ طولها أبسط وأمدّ ، فليتخيل العقل سعة الجنة ، ويتبيّن من هذه السورة المشوّقة للجنة ، والصورة التي سبقتها محقّرة للدنيا تأكيد الصورة للمعنى وتجليته وتوضيحه في النفس[٦٤]

ثانياً: الاستعارة : ـــ

الاستعارة: فنُ من فنون علم البيان ، وقد ذكرت هذه الكلمة عند القدماء ، فقد أوردها الجاحظ حينما قال

: ((الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقام غيره)) (٦٥) وجاء في لسان العرب : ((الاستعارة مأخوذة من العارية : أي نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح من خصائص المعار إليه)) (٦٦) وعرّفها الجرجاني : ((أمّا الاستعارة فهي ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل ، والتشبيه قياس ، والقياس يجري فيما تعيه القلوب ، وتدركه العقول ، وتستفتي فيه الأفهام والأذهان ، لا الأسماع والآذان)) (٦٧)

ومن أمثلتها في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ هو الذي يُنَزِلَ على عبدِهِ آياتٍ بيناتٍ ليُخرجُكم منَ الظلماتِ إلى النور وإنَّ اللهَ بكُم لرؤوفٌ رحيم ﴾[الحديد :٩] فالظلمات تعني : الشرك ، والنور للإيمان والهداية ، فاستعار لفظ الظلمات للكفر والضلال ، والنور للإيمان والهداية . ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يُقرضُ اللهَ قرضاً حَسَناً فيُضاعِفُهُ لهُ ولهُ أجرٌ كريم ﴾ [الحديد :١١] فقد شبّه الإنفاق في سبيل الله بإقراضه ثم حذف المشبّه به ، والجامع بينهما ، إعطاء الشيء بعوض ، ومعنى كونه حسناً خالصاً من شوائب الرياء ، ويبدو أنّ الاستعارة في الآية تصريحية تمثيلية ؛ لأنّ المشبّه به موجود ، وهو القرض ، وهو في نفس الوقت تمثيل لصورة الإنفاق على سبيل الاستعارة(٦٨) ومن أمثلة الاستعارة التصريحية قوله تعالى : ﴿ يومَ ترى المؤمنين والمؤمناتِ يسعى نورُهُم بينَ أيديهِم ﴾ [الحديد :١٢] فالاستعارة في الآية المباركة جاءت على سبيل الاستعارة التصريحية ، إذ صرّح بلفظ المشبّه به وهو نورهم الذي يسعى بين أيديهم ، وهذا حال السعداء ، وهو المستعار منه ، وقال سبحانه : ﴿ بين أيديهم ﴾ .

ثالثاً :الكناية : ــ

الكناية :نوع من أنواع علم البيان ، جاء في لسان العرب : ((وكنَّ أمرهُ عنهُ كناً : أخفاه ، واستَكَنَ الشيء : استتر)) (٦٩)

عرّف قدامة بن جعفر الكناية في كتابه نقد الشعر : ((وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني ، فلا يأتي باللفظ الدالّ على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدلّ على معنى هو رَدْفَهُ وتابع له ، فإذا دلّ على التابع أبانَ عن المتبوع)) (٧٠) ومن أمثلة الكناية في سورة الحديد قوله تعالى : ﴿ هُوَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثُمَ استوى على العرشِ يعلمُ ما يَلِجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرجُ فيها وهو معكم أينما كنتُم واللهُ بما تعملون بصير﴾ [الحديد :٤] من البنيات الكنائية الأسلوبية التي ظهرت في الآية :وصف قدرة الله تعالى وآياته ، بالكناية بالاستواء على العرش عن ملك الله وعظمته وجلاله وسيطرته على الكون بأجمعه . فلما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك ، ممّا يردف الملك فجعلوه كناية عن الملك ، فقالوا : استوى فلان على العرش ، يريدون : مَلَكَ ، وإن لم يقعد على السرير البتة . ومن أمثلة الكناية أيضاً قوله تعالى : ﴿ يُنادونهم ألم نكُن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتُم أنفُسكم وتربصتم وارتبتُم وغرَّتكُم الأماني حتى جاء أمرُ اللهِ وغرَّكم باللهِ الغرور ﴾ [الحديد :١٤] ((ألم نكن معكم)) استفهام تقريري استعمل كناية عن طلب المنافقين اللحاق بالمؤمنين ، والانضمام إليهم كما كانوا معهم في الدنيا يعملون أعمال المسلمين في الظاهر ، لكنهم يضمرون الكفر ، فالمعنى الذي يفهم من هذا الاستفهام طلب المنافقين للحاق بالمؤمنين في نيل ثوابهم ، وفي ((غرّتكُم الأماني)) كناية عن طول الأمل في الحياة ، وامتداد العمر حتى جاءهم الموت(٧١)

المبحث الثامن : ــ لُغةُ الحوار

أولاً : ــ الحوار لغةً واصطلاحاً : ــ

ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع : ــ

١ــ قوله تعالى : ﴿ قالَ لهُ صاحِبُهُ وهو يُحاورُهُ ﴾ [الكهف :٣٧]

٢ــ قوله تعالى : ﴿ وكانَ لهُ ثمرٌ فقالَ لِصَاحِبِهِ وهو يُحاورُهُ أنا أكثرُ منكَ مالاً وأعزُ نفرا ﴾ [الكهف :٣٤]

٣ــ قوله تعالى : ﴿ واللهُ يسمعُ تحاوركما ﴾ [المجادلة :١]

((والحوار في اللغة : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حارَ إلى شيء وعنهُ حواراً ، ومحاراً ، ومحارةً وحُؤوراً : رجع عنه وإليه ، والحَور : الرجوع ، يُقال : حار بعد ماكار ، والحَور هو الرجوع من حال إلى حال)) [٧٢]

وجاء في المفردات : ((الحَوْر : التردد إمّا بالذات ، وإمّا بالفكر ، والمُحاورة : المراد من الكلام ، ومنه التحاور)) [٧٣]

أمّا الحوار في الاصطلاح كما عرّفه بعض الباحثين : فهو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر ، حول موضوع معين محدّد بصورة متكافئة ، ويغلب عليه الهدوء في الوصول إلى الحق ، والبعد عن التعصب والخصومة . [٧٤]

وأركان الحوار هي :

١ــ طرفا الحوار

٢ــ القضية أو الذي تدور حوله مراجعة الكلام

٣ــ الهدف من الحوار

ثانياً : أهمية الحوار في وصف المشهد القرآني : ــ

الحوار في المشهد القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه ، كما هو الشأن في العمال الأدبية ، بل إنّ الحوار وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي يستعملها لتحقيق أهدافه الأصيلة ، والهدف الأسمى هو إبلاغ الدعوة وتثبيتها ، مع أنّ القرآن الكريم بإعجازه جمع بين الغرض الديني والغرض الفني في آن واحد ، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني .

ثالثاً : بعض مشاهد الحوار في سورة الحديد وأطرافه : ــ

تعددت الحوارات في القرآن الكريم ، وكثرت مواضعها ومضامينها ، وسنعرض نموذجاً من نماذج الحوار فيما يتعلق بمشاهد يوم القيامة ،وللدلالة على أهمية الحوار في القرآن الكريم في إبراز الأغراض الدينية المختلفة التي يرمي إليها تثبيتها .فمن آيات خطاب الله تعالى لأهل الجنة في سورة الحديد المباركة قوله تعالى : ﴿ بشراكُمُ اليومَ جناتٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها ذلك هو الفوزُ العظيم ﴾ [الحديد :١٢] ولم يورد القرآن الكريم جواباً أو رداً لهذه البشرى من أهل الجنة ، ويتبين من هذه الآية ــــ في حوار الله مع أهل الجنة ــــ أنّ حوار الله تعالى معهم ثابت في الكتاب والسُنة ، وهو من النعيم المعنوي الذي أعدّه الله لهم فيكلمهم الله ويبشّرهم الله ، ويناديهم منها ، ويسلّم عليهم ، أمّا أهل النار فهم يتمنون الخروج منها ،ويطلبون من الله الرجعة إلى الدنيا ليتداركوا أخطاءهم ، وذلك بالاعتذار والتضرّع ، ويحتمل أن تكون البشرى من الله من الله تعالى بشكل مباشر ، أو من الملائكة أو من الناس الذين وظّفوا لتبشير المؤمنين والمؤمنات ، أي أنّه لم يحدّد الشخصية التي يقوم بتبشيرهم ، ولكن لا يبعد أن تكون البشرى من المكلفين بالقيام بمثل هذه الأعمال[٧٥]

ومن مشاهد الحوار أيضاً قوله تعالى :

﴿ يومَ يقولُ المنافقون والمنافقاتُ للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نورِكُم قيلَ ارجعوا وراءكم

فالتمسوا نوراً فضُرِبَ بينهم بسورٍ لهُ بابٌ باطِنُهُ فيه الرحمة وظاهِرُهُ من قِبَلِهِ العذابَ ﴾ [الحديد :١٣]

تقدّم الآية الشريفة مشهداً آخر وصورة أخرى وهي : صورة المنافقين والمنافقات حيث أنّ هؤلاء لهم حالة وهيئة ومشهد معين في ذلك اليوم ، ويشتمل المشهد على عدة عناصر يمكن تلخيصها بثلاثة وهي :

١- حالة الظلمة التي يعيشها المنافقون والمنافقات ، وتفهم تلك الحالة من طلب المنافقين والمنافقات النور من المؤمنين ، حيث يطلبون منهم انتظارهم ليقتبسوا مقداراً من نورهم .

٢- أنّ المنافقين طلبوا من المؤمنين اقتباس النور منهم ، وبالتالي حاولوا معالجة الظلمة التي يعيشونها بهذه الطريقة الاستجدائية ، الذليلة ، المعبّرة عن حالة الذل والحاجة التي يشعر بها الإنسان يوم القيامة.

٣- العنصر الثالث يرتبط بموقف المؤمنين من هذا الطلب ((قيل ارجعوا وراءكم)) ، اختلف المفسرون في القائل ، فكان هناك عدة أراء :

أولهما: يرى أنّ الملائكة الموظفين للقيام بهذه المهمات .

ثانيهما: أنّ القائل هم جماعة من المؤمنين (الأعراف).

ثالثهما : هم المؤمنون الذين طلب منهم المنافقون ، واستدلّ القائل بهذا القول أنّ السياق يقتضي ذلك[٧٦]

وقد استعمل مفردة (يوم) للدلالة الزمنية على يوم القيامة .

ومن مشاهد الحوار أيضاً : ((يُنادونهم ألم نكُن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتُم أنفُسَكم وتربصتُم وارتبتم وغرّتكُم الأماني حتى جاءَ أمرُ اللهِ وغرَكُم باللهِ الغرور)) [الحديد :١٤]وفي هذه الحالة ينتقل المنافقون إلى دار الدنيا ، حيث يخاطبون المؤمنين : ((ألم نكُن معكم)) فهم يتصورون أنفسهم جزءاً من الجماعة الإسلامية ؛ لأنّهم عاشوا وسطها ، ضمن مجتمع المؤمنين ، لهم مالهم ، وعليهم ماعليهم ، ولذا يتصورون أنّ طبيعة العلاقات التي كانت تحكمهم ستستمر إلى الدار الآخرة[٧٧]

فهنا المخاطِب هم المؤمنون ، والمخاطَب هم الكافرون ، وكان الهدف من الحوار هو تحقير الجماعة الكافرة ، وتصوير حالة الذل التي هم عليها .

الخاتمة :

بعد أن أنعم الله علينا وتفضّل بجميل فضله وسوابغ آلائه بإتمام كتابة هذا البحث ، وبعد هذه الصحبة الشيقة ، والتأمّل المستمر ، والتدبر المتأني في كتاب الله العزيز ، نحمد الله عزّ ذكره ، وتقدست أسماؤه حمداً كثيراً لا انقطاع له على تيسير سبل البحث في القرآن الكريم وفي سورة الحديد بشكل خاص . فقد فتح لنا هذا البحث آفاقاً واسعة في تأمّل آيات الباري عزّ وجلّ وفهم الأسلوب القرآني المعجز الذي فاق كلّ أسلوب وكان لابد لنا من استخلاص أهم النتائج وهي كالآتي :

- إنّ الصورة القرآنية تمارس أثراً نفسياً ضاغطاً وفعّالاً على المتلقي ، فالقصد منها توجيهه الوجهة الصحيحة التي أراد الله تعالى له ، فهي وسيلة مهمة وفعّالة من وسائل الإفهام التي سعى الحق تعالى عن طريقها إلى هداية عباده وتقريبهم من الجنة ونعيمها وإبعادهم من الجحيم وعذابها .

- على المستوى الدلالي كان للصورة القرآنية في نصوص السرد الوصفي القرآني حضورها المتميز عبر التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز .

الهوامش

١ - جواهر البلاغة : أحمد بن إبراهيم الهاشمي : ٤٠
٢ - المصدر نفسه : ٤١
٣ - ينظر : جواهر البلاغة :٥٠
٤ - ينظر : في ظلال القرآن : ٣٤٤٣
٥ - ينظر : تفسير سورة الحديد : ٤٦
٦ - في ظلال القرآن : ٣٤٤٦ ــ ٣٤٤٧
٧ - معترك الأقران : السيوطي : ١/ ٤٢٥ .
٨ - مستويات السرد الوصفي القرآني : طلال خليفة : ٢٠٣
٩ - المصدر نفسه : ٢٠٤.
١٠ - ينظر : مستويات السرد الوصفي القرآني :٢١٠ .
١١ - ينظر : تفسير سورة الحديد :١٠٥.
١٢ - البلاغة فنونها وأفنانها : فضل حسن عباس : ١٢ /١١٥
١٣ - المصدر نفسه :١١٧ .
١٤ - ينظر : تفسير سورة الحديد : ٨٥ ــ ٨٦
١٥ - مستويات السرد الوصفي القرآني :١٨٩ .
١٦ - في فلسفة البلاغة العربية : حلمي علي مرزوق :٢٥١
١٧ - ينظر : المصدر نفسه :٢٥٢.
١٨ - الإيضاح في علوم البلاغة : القزويني : ٢٢٧
١٩ - ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها :١٥٣ .
٢٠ - سورة الحديد دراسة بلاغية : قاسم فتحي سليمان : ٢٩.
٢١ - الكشاف : الزمخشري : ٤/ ٦٤ .
٢٢ - ينظر : سورة الحديد دراسة بلاغية : ١٦٧.
٢٣ - النحو الوافي : عباس حسن : ٤ /٣٦٧ .
٢٤ - ينظر : سورة الحديد دراسة بلاغية :١٦٨ .
٢٥ - تفسير سورة الحديد :١٣٤ .
٢٦ - البلاغة فنونها وأفنانها : ١٧٣ .
٢٧ - ينظر : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم : عبد الكريم محمود :١٤٧ .
٢٨ - ينظر : سورة الحديد دراسة بلاغية : ١٦٩.
٢٩ - التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور : ٣٧ /٣٧٠ .
٣٠ - إعراب القرآن : أبو جعفر النحاس : ٣٥٢/٣
٣١ - إعراب القرآن : أبو جعفر النحاس : ٣٥٢/٣
٣٢ - ينظر : تفسير سورة الحديد :١٣١ ــ ١٣٢
٣٣ - ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها : ١٦٧
٣٤ - ينظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : محمد محيي الدين :١١٥/٣
٣٥ - ينظر : علم القرآن الكريم : غانم قدوري الحمد :٨٣.

٣٦ - تفسير سورة الحديد :١٩٣ ــ١٩٤ .
٣٧ - مستويات السرد الوصفي / دراسة أسلوبية :٢٣١.
٣٨ - ينظر : المصدر نفسه :٢٣٢
٣٩ - تفسير سورة الحديد : ٤٥
٤٠ - المصدر نفسه : ١٤٣
٤١ - ينظر : سورة الحديد دراسة بلاغية :١٧٥ .
٤٢ - ينظر : المصدر نفسه :١٧٦
٤٣ - ينظر : ينظر : بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم : علي أبو القاسم عون :٢ /٧٢٧.
٤٤ - ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها :٣٧١
٤٥ - أساس البلاغة : الزمخشري :٣٦٧.
٤٦ - دلائل الإعجاز : الجرجاني :٢٥٢
٤٧ - ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها :٣٧١
٤٨ - ينظر : سورة الحديد دراسة بلاغية : ١٧٧
٤٩ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :
٥٠ - ينظر: تفسير سورة الحديد :١٤٢ ــ ١٤٣
٥١ - ينظر: تفسير سورة الحديد :١٤٢ ــ ١٤٣
٥٢ - ينظر: تفسير سورة الحديد :١٦٢
٥٣ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٨
٥٤ - ينظر : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ، ابن عقيم :١٦٣
٥٥ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٢
٥٦ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٣
٥٧ - البلاغة ــ فنونها وأفنانها :١٦٧
٥٨ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٦
٥٩ - ينظر : تفسير سورة الحديد :٢٧ ــ ٧٣
٦٠ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية : ١٧٦
٦١ - لسان العرب : ٥/ ٢٢
٦٢ - أسرار البلاغة ، الجرجاني : ٩٠
٦٣ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٠
٦٤ - ينظر : المسبحات في القرآن الكريم ــ دراسة دلالية بيانية ، مريم محمود الشوبكي : ١٤٥
٦٥ - البيان والتبيين ، الجاحظ : ١/ ١٥٣
٦٦ - لسان العرب : ١/ ٤١٧
٦٧ - أسرار البلاغة :٢٠
٦٨ - ينظر : سورة الحديد ــ دراسة بلاغية :١٧٩
٦٩ - لسان العرب : ٧/ ٧٤٦
٧٠ - نقد الشعر ، قدامة بن جعفر :١٥٥ ــ ١٥٦

٧١ - ينظر : المسبحات في القرآن الكريم : ١٧٨
٧٢ - لسان العرب : ٣٣٠
٧٣ - مفردات ألفاظ القرآن ، الأصفهاني : ٢٦٢
٧٤ - ينظر : الحوار ـــ آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ، يحيى بن محمد : ٦
٧٥ - ينظر : تفسير سورة الحديد : ٩٦
٧٦ - ينظر : المصدر نفسه :١٠٠
٧٧ - ينظر : المصدر نفسه : ١٠٤

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١ ـ أساس البلاغة ،جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت٥٣هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط :١ ،[١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م] .

٢ ـ أسرار البلاغة ، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، ط : ١ ، [١٤١٢هـ - ١٩٩١م] .

٣ - أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم - غرضه وإعرابه ، عبد الكريم محمود يوسف ، ط:١ ، [١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م] ، مطبعة الشام ، توزيع مكتبة الغزالي - دمشق شارع خالد بن الوليد

٤ - إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس ، [ج٣ /٣٥٢] ، د.ط ، د.ت .

٥ - بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، د. علي أبو القاسم عون ، ط:١ ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي - ليبيا ، ٢٠٠٦م .

٦ - البلاغة فنونها وأفنانها ، أ.د . فضل حسن عباس ، د.ط ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، [١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م]

٧ - البيان والتبيين ، أبو عثمان الجاحظ (ت٢٥٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد ، القاهرة ، د. ت ، [١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م].

٨ - التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، د.ط ، دار سحنون للنشر - تونس ، د.ت .

٩ - التفسير الهادي للقرآن الكريم ، فضل السور وخواصها وأسباب النزول وتفسير المفردات ، الشيخ خليل رزق ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط: ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

١٠ - تفسير سورة الحديد ، شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم (قدس سره) ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم (قدس سره) المطبعة العترة الطاهرة ، ط: ١، النجف الأشرف ، ٢٠١٦م .

١١ - جواهر البلاغة ـــ في أدبيات وإنشاء لغة العرب ، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري المصري (ت١٩٤٣م) ، الجزء الأول ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـــ لبنان ، ط:١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

١٢ - الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسُنة ، دار التربية والتراث ـــ مكة المكرمة ـــ رمادي للنشر ـــ الدمام . د.ط ، د.ت .

١٣ - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، دار المعرفة ـــ بيروت، د.ط ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

١٤ - سورة الحديد ـــ دراسة بلاغية ، د. قاسم فتحي سليمان ، قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة الموصل ، د.ط ، (٢٠٠٨م ـــ م٢٠٠٩) ، مجلة التربية والعلم ـــ المجلد . ستة (٢٠١٠م)

١٥ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري ، تأليف محمد محيي الدين ، القاهرة ، دار الطلائع ، د.ط ، ٢٠٠٩م .

١٦ - علم القرآن الكريم ، د. غانم قدوري ، ط: ٤، مطبعة الميناء ـــ بغداد ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

١٧ - الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت٧٠١هـ)، د.ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م .

١٨ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط: ٦ ، المؤسسة القرآنية المتخصصة ـــ القاهرة ، ١٤٣٣هـ

/ ٢٠٠٣م .
١٩ - في فلسفة البلاغة العربية - علم المعاني ، د.حلمي مزوق ، د. ط ، كلية الآداب / جامعة طنطا ،١٩٩٩م.
٢٠ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل :أبو القاسم جار الله محمد بن عمرو الزمخشري (ت٥٣٨هـ) ، د. ط ، د. ت ، دار الفكر .
٢١ - لسان العرب ، للعلامة ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ) ، د.ط ، د.ت ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٢ - مختار الصحاح ، للشيخ الإمام محمد بن أبي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، د.ط ، دائرة المعاجم في مكتبة لبنان ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت - لبنان ، طبعة جديدة ١٩٩٥م .
٢٣ - المسبحات في القرآن الكريم - دراسة دلالية بيانية ، إعداد الطالبة مريم محمود مصطفى الشوبكي ، كلية الآداب والعلوم / جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١٠ - ٢٠١١م .
٢٤ - مستويات السرد الوصفي القرآني - دراسة أسلوبية ، طلال خليفة سليمان ، الرافد للمطبوعات - بغداد ، ط:١، د. ت.
٢٥ - معترك الأقران في إعجاز القرآن ، حافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : علي محمد ، دار الفكر العربي ، (د.ط) ، (د. ت).
٢٦ - مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت٤٢٥هـ) ،ط:٢ ، دار طليعة النور ، د. ت .
٢٧ - النحو الوافي ،عباس حسن ، ط:٣ ، دار المعارف ، مصر - القاهرة ، د.ت .
٢٨ - نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ) ، مكتبة الخانجي - القاهرة ، ط: ٣ ، د.ت .
٢٩ - الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، د .ط ، د.ت ، صيدا - بيروت

الميزان الصرفي عند المحدثين

Morphological balance in the modernizers.

أ.م.د. حسن غازي السعدي
كلية الدراسات القرآنية / جامعة بابل

Prof. Hassan Ghazi Al-Saadi
College of Islamic Sciences - University of Babylon.

كلمات مفتاحية : المنهج الصوتي/ الميزانُ الصرفيُّ/ علم الصرف/ الأصول والزوائد/ الأصول والزوائد/ الميزان المقطعي

hasansaady@ymail.com

ملخص البحث

ممّا سبقَ يتبيّن أنّ المحدثين اختلفوا مع القدماء في وزنهم لخمس حالات ؛ هي: ١-الادغام ٢- الاعلال بالقلب٣- الاعلال بالنقل ٤-الاعلال بالتسكين ٥-الابدال ، فهم يزنوها بحسب الصورة الحالية و القدماء بحسب الصورة الأصلية ، و لو دقّقنا النظر لاكتشفنا عدم الخلاف في معظم ذلك لأنّ المحدثين يُفسِّرون هذه الحالات- باستثناء ما تعرَّض للابدال من دون ادغام- على أنّه من باب اسقاط حركة أو مزدوج صوتي أو حرف؛ أي أنهم يرون ذلك من باب الحذف،و بذلك فإنّهم لا يختلفون عن القدماء لأنهم أيضًا يزنون ما تعرّض للحذف بحسب الصورة الحالية إلاّ أنّ الاختلاف نتج عن تفسير الظواهر ، ففي جميع تلك الحالات لم ير المحدثون أن ذلك حصل إلاّ من قبيل الحذف وسموه (الإسقاط).

المُلاحظ أن وزن المحدثين فيه سهولة و عدم الحاجة إلى تَخَيُّل الأصل و اعطاء الوزن ، إلّا أنّ ذلك سوف يوقعنا في لَبس في العديد من المواطن و لا غِنى لنا عن الرجوع إلى القول بالوزن على الأصل الذي تتحقّق فيه فوائد ؛ منها :

١- معرفة الباب الذي ينتمي إليه الفعل لاسيما الفعل الأجوف من الباب الرابع ، كما في (خافَ) بزنة فَعِلَ. بينما لا نعرف الباب إذا قلنا إنَّ الوزن فَالَ كما ذهب المحدثون. و كذلك الفعل(طالَ) إذا وزنّاه بحسب رأي القدماء: فَعُل علمنا أنّه من الباب الخامس ، أمّا إذا قلنا أنّه بزنة : فالَ لالتبس بـ قال ، و باعَ ، و لم يُعرف من أي باب هو. و ممّا يوقع في اللبس أيضًا الفعل الثلاثي المضعّف من الباب الرابع ؛ مثل: عَضَّ ، و ظَلَّ و وزنهما : فَعِلَ ، لأنّ الأصل : عَضِضَ ، و ظَلِلَ ، بينما لا نعرف الباب إذا قلنا إنَّ الوزن فَعْلَ كما ذهب المحدثون، لأنه يلتبس مع مدَّ من الباب الأول ، و خفّ من الباب الثاني.

٢- الماضي و الأمر من الفعل الثلاثي المضعّف من الباب الرابع ؛ فمثلًا : عَضَّ ، و ظَلَّ ، يحتملان أن يكونا ماضيَين بِزنة فَعِل ،و أن يكونا أمرين بزنة اِفْعَل،و هذا ما لا يتبيَّن في وزن المحدثين ، لأنَّ وزن كليهما عندهم : فَعْلَ .

٣- الفعل المبني للمجهول من فعل الأمر في الفعل الثلاثي المضعّف ؛ فمثلًا : رُدَّ ،و عُدَّ ، و غُضَّ ..؛تحتمل وزنين(اُفْعُلْ) و (فُعِلَ) فالأول هو فعل الأمر من الفعل الثلاثي المضعّف ، و الآخر هو المبني للمجهول منه ، و هذا ما لا يتبيَّن في وزن المحدثين ، لأنَّ وزن كليهما عندهم : فُعْلَ .

٤- اسم الفاعل و اسم المفعول المأخوذ من الثلاثي المضعّف ؛ فمثلًا : مُعْتَدَّ تحتمل أن تكون مُفْتَعِل و مُفْتَعَل ، أمّا المحدثون فيزنونها : مُفْتَعْلٌ ، و في ما كان مأخوذًا من فعل أجوف كما في مُخْتار فإنّه يحتمل النوعين و هذا يُعرف بالوزن الصرفي مُفْتَعِل (اسم فاعل) ، و مُفْتَعَل (اسم مفعول) ، أمّا إذا قلنا إنّ وزنه مُفْتال فلا يمكن التفريق بينهما.

٥- تحديد الأوزان فالقول بإن زِنة اِنتَصَرَ ، و اِضْطَرَبَ ، اِزدَهرَ ، و اِتَّصلَ : اِفْتَعلَ ، خير من أن يقال إنّ وزنها هو: اِنتَصَرَ : اِفْتَعلَ ، و اِضْطَرَبَ: اِفْطَعلَ ، اِزدَهرَ : اِفْدَعلَ ، و اِتَّصلَ : اِدَّعلَ . كما يُجنّبا أوزان فَعَاء ، و اِفَّعَل ، يَفَّعَّلُ ، و غيرها.

Abstract

From the above it turns out that the modernists differed with the ancients in their weight for five cases; are:

1- diphtheria 2-The cause by opposition 3-cause by convert 4- cause by vowelless 5-Substitution، they weigh it according to the current image and the ancients according to the original image، and if we look closer to the discovery Most of the disagreement is because modernists interpret these cases - except for being replaced without being forced - as a projection of a movement، a double phonetic or a letter; that is، they see it as a deletion، so they are no different from the ancients because they also weigh what has been exposed. To delete according to the current picture، however، the difference resulted from the interpretation of phenomena In all these cases، the modernists did not believe that this was done except through deletion and its name (projection). It is noticeable that the weight of the modern is easy and does not need to imagine the origin and give weight، but this will cause us to wear in many citizens and it is indispensable to refer to saying weight on the asset in which benefits are achieved;

1 - know the door to which the verb belongs، especially the hollow verb of the fourth section، as in (fear) In weigh of did. While we do not know the door if we say that the weight fell as the modernists went. As well as the verb (reached) if weighed according to the opinion of the ancients: He did teach us that it is from the fifth door، but if we say that it is adultery: Valtalb confused by said، and sold، and is not known from which door is. The confused triple verb of Chapter four is also confused، such as: bite ، misled and weight: he did، because the origin: bite، misled ، while we do not know the door if we say that the weight did as the modernists went، because it is confused with the tide of The first door، and slipped from the second door.

2 - the past and the command of the triple weakened of the fourth section; for example: biting، and misled ، likely to be past deed already، and to be two things adultery do، and this is not shown in the weight of the modern، because the weight of both of them: he did.

3- The passive voice verb of command in the doubled triple verb; For example: response، counting، and .. ..; tolerate weighing (do) and (done) The first act is the command of the triple doubled verb، and the other is built from the unknown، This is not reflected in the weight of the modernists، because the weight of both of them: done.

4 - The name of the actor and the name of the action taken from the weakened trio; for example: a probable to be activated and activated، while the updater Vznhaha: activated، and in what was taken from a hollow act as in the chosen، it is known as the two types An actor، and a verb، but if we say that his weight is phytotoxic، it cannot be distinguished.

5 - Determine the weights and say that the adultery triumphed، and was disturbed، flourished، and contacted: do، do better than to say that her weight is: victorious: do، and be troubled: do. They also avoid the weights of the do ، do، does،and so on.

المقدمة

لم يُولِ المحدثونَ الميزانَ الصرفيَّ الأهميةَ التي أولاها الصرفيونَ القُدماء ، و قد اِهتَمَّ بها من المحدثين د.عبد الصبور شاهين و عالجها كثيرًا في كتابه (المنهج الصوتي للبنية العربية _ رؤية جديدة في علم الصرف العربي) ، لذا اعتمدتُ عليه كثيرًا في اثبات رأي المحدثين ، لاسيما أنّه من أعلام المحدثين و له مؤلفات كثيرة في اللغويات و القرآن الكريم[١]

و قد رأى الصرفيون القدماء أنَّ الكلمات بحسب ما يعترضها من تغييرات هي على نوعين ؛نوع يوزن بحسب الصورة الأصلية ، و نوع يوزن بحسب الصورة الحالية ، لذا قُسِّم البحث إلى مبحثين يسبقهما تمهيد ؛ تضمَّن حديثًا عن الوزن الصرفي و الوزن المقطعي عند القدماء و المحدثين ،و تناول المبحث الأول الوزن بحسب الصورة الأصلية .أمّا المبحث الثاني فعالج الوزنَ بحسب الصورة الحالية .

التمهيدُ

الميزان الصرفي : مقياس جاء به العلماء لمعرفة أحوال أبنية الكلمة؛ يبيّن لنا حركات الكلمة و سكناتها ، والأصول منها و الزوائد ، و تقديم حروفها و تأخيرها ، و ما ذُكِر من تلك الحروف و ما حُذِف، و يبيّن صحتها و اعلالها[٢] .

ويسمّى الميزان الصرفي أيضًا: التمثيل» (لمماثلة حروف الميزان لحروف الموزون من تعداد الحروف، وهيئاتها) [٣] .

وفائدة الوزن بيان أحوال أبنية الكلم في ثمانية أمور: الحركات والسكنات ، و الأصول والزوائد ، و التقديم والتأخير، والحذف وعدمه[٤] .

((و ليس المراد أن هذه المعرفة موقوفة على الميزان ،فإنّه لا يستعمل إلّا بعد معرفة الأصلي و الزائد ، و ما إليهما بطريق القواعد التصريفية ، فلو توقّفت تلك المعرفة على الميزان لزِم الدَّورُ ، بل القصد أنّ الوزن يبيّنُ حال الكلمة و ما طرأ عليها بأخصر عبارة ، تسهيلًا على المتعلّم)) [٥] . فإذا قيل له إن وزن منطلق منفعل، كان أخصر من أن يقال الميم والنون زائدتان، وكذا إذا قيل له أن ناء فلع كان أخصر من أن يقال له إن اللام مقدّمة على العين، وهكذا[٦]

و قد اختار الصرفيُّون كلمة(فعل) لتكون ميزاناً صرفياً، و سبب اختياره هذا يعود لأمور:

أ - الذي يطرد فيه التغيير ويكثر إنَّما هو الفعل والأسماء المتصلة به (الأسماء المشتقة).

ب - مادة (ف ع ل) أشمل المواد وأعمها فكل حدث يسمى فعلاً.

ج -مخارج الحروف ثلاثة: الحلق، واللسان، والشفتان.فأخذوا من كل مخرج حرفاً: الفاء من الشفة، والعين من الحلق، واللام من اللسان[٧] «.

وزن الكلمات المجردة و المزيدة

١- لما كان أكثرُ كلماتِ اللغة العربية ثُلاثيًّا، عدَّ علماءُ الصرفِ أنَّ أصولَ الكلماتِ ثلاثةُ أحرف، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام، مصوَّرة بصورةِ الموزون، فيقولون في وزن قَمَر مَثَلًا: فَعَل، بالتحريك، وفي حِمْل: فِعْل، بكسر الفاء وسكون العين، وفى كَرُمَ: فَعُل، بفتح الفاء وضم العين، وهَلُمَّ جَرًّا، ويُسمُّون الحرف الأوَّل فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة.

٢- فإذا زادت الكلمة على ثلاثة أحرف: فإن كانت زيادتُها ناشئة من أصل وَضْعِ الكلمة على أربعة أحرف أو خمسة، زدتَ في الميزان لامًا أَو لامين على أحرف، (ف ع ل)، فتقول في وزن دَحْرَجَ مثلاً:

فَعْلَلَ، وفي وزن جَحْمَرِش فَعْلَلِل[٨] .

وإن كانت ناشئة من تكرير حرف من أصول الكلمة، كرَّرْتَ ما يقابله في الميزان، فتقول في وزن قدَّم مثَلًا، بتشديد العين: فعَّلَ، وفي وزن جَلْبَبَ: فعْلل؛ ويقال له مضعَّف العين أو اللام.

وإن كانت الزيادة ناشئة من زيادة حرف أو أكثر من حروف سألتمونيها، التي هي حروف الزيادة، قابلتَ الأصول بالأصول، وعبّرْتَ عن الزائد بلفظه، فتقول في وزن قائم مثَلاً: فاعِل، وفي وزن تقدَّمَ: تَفَعَّلَ، وفي وزن استخرج: استفعل، وفي وزن مجتهد: مُفْتَعِل، وهكذا[٩] .

و يرى المحدثون أن الكلمة يجب أن توزن على ما هي عليه فعلًا لا على ما كانت عليه أصلًا بغضّ النظر عن التغيير الذي أصابها. يقول عبد الصبور شاهين : ((... بقيَ أن نعرف أنّ رأينا أن نزن الكلمة على ما هي عليه فعلًا لا على ما كانت عليه أصلًا – هذا الرأي ليس بدعة غير مسبوقة، فقد سبق برأيي في هذا الاتجاه الإمام عبدالقاهر الجرجاني ،حيث أجاز الوزن على البدل فيقال في (قالَ) :فالَ، و في (رَمى) :فَعا. و لكن ينبغي أن يلاحظ الفرق بين رأيه و رأينا فهو يرى أنّ الألف في (قالَ) بدل من الواو في الأصل (قَوَلَ)، و لذلك رأى جواز الوزن على الأصل، و على البدل مع أنَّ البدل و المبدل منه كالشيء الواحد، على ما رأى القدماء)) [١٠] .

إلاّ أنّ شاهين خالفَ الجرجانيَّ بجوازِ الوزنين ، و لم يُجوِّز إلاّ الوجهَ الثانيَ ؛ إذ يقول: ((و نحن لا نرى صحةَ هذا الأساس الذي بنى عليه الجوازَ، فلا إبدالَ في الكلمة ، و لكنه في الواقع سقوطُ عينِها أصلًا ، فيجب أن تُوزن على ما تبقّى من عناصرها)) [١١] .

و قد نقل الرضي: ((و قال عبد القاهر في المبدل عن الحرف الأصلي: يجوز أن يعبّر عنه بالبدل، فيقال في قال: إنه على وزن فال)) [١٢] ،و اعتمد على ذلك كثير من المحدثين في إثبات وجود هذا الوزن عند القدماء[١٣]

و الذي ذكره الجرجاني: ((وفي البدَلِ مِنَ الأصْلِ جَازَ فِيْهِ المِثَالاَنِ، فَمِثْلُ كِسَاءٍ: «فِعَالٌ أوْ فِعَاءٌ)) [١٤] .

فالجرجاني جوّز في كِساء وزن فِعاء ، لم يُجوِّز وزن في قالَ وزن فالَ ، لأن هناك اختلافًا بين الصيغتين فكِساء تعرَّضت للإبدال ، أمَّا قال فتعرَّضت للإعلال بالقلب ، و هذا يعني أنّه جوّز لما حصل فيه إبدال الوزن على الحرف المبدل ، و لا أراه يعني جواز الوزنين فيما حصل فيه إعلال بالقلب كما ذهب إلى ذلك الرضيّ.

و قد أوجب قسم من المحدثين استبدال الميزان المقطعي بالميزان الصرفي و يرون ان الميزان المقطعي أشمل للغة و أجدر بالاعتماد ، بل يُخَطِّئون الميزان الصرفي و يعدّونه غير كامل و يعتمد على الأصل المفترض ، و لا يُراعي المنطوق بل يراعي الجانب المكتوب.

يقول بعضهم: ((فالوزن الصرفي إذن لا يشمل كل كلمات اللغة . و إنّما يتعامل مع الكلمات التي قبلتها الدراسة الصرفية ، فإذا أعطينا الدارس الصرفي كلمتي (كاتِب) و (ضَرَبَ) وزنهما لكون الأولى اسمًا متمكنًا معربًا ، و الأخرى فعلًا متصرّفًا. بيد أنّنا لو أعطيناه حرف جر مثل (مِن) أو فعلًا جامدًا لم يستطع وزنهما لجهله أساسًا بأصلهما.

أمّا الميزان المقطعي الذي لا تشغله فكرة الأصول فهو يسير مع فكرة علماء اللغة المحدثين من أن كل كلمة صالحة للدرس الصرفي دون استثناء؛ و من هنا فبإمكان هذا الميزان أن يزن كل كلمة واردة

في اللغة العربية قبلت الدرس الصرفي أو لا ، لأنه حاسب للمقاطع و مقابل لها بما يماثلها و يوازيها)) [١٥] .

أقول: حينما نتكلم عن جهود السابقين في الصرف ، فإنّنا نتكلم عن جهود آلاف العلماء لألف و مائتي سنة على أقل تقدير ، و ليس من السهل القول بأنَّ جهودَهم كانت مبنيةً على الخطأ أو أنها جانبت الصواب ، و غير ذلك من الأوصاف التي يصفها بعض المحدثين.

و الميزان الصرفي الذي يعنينا موضوعٌ متكاملٌ فيه فوائدُ كثيرةٌ مُثبّتةٌ في مظانّها ، و التشكيك بعدم جدواه ، أو بعدم شموليته ، أو بعدم أهليته ينمّ عن عدم إدراك له ، و هذا الأمر ينطبق على جميع الموضوعات العلمية ، فعدم إدراك المرء لها كاملة يدفعه إلى أن يَسِمها بالغموض أو عدم الكفاية أو بخطئها.

الميزان الصرفي لأنه يرتبط بعلم الصرف ، فإنّه يزن الكلمات التي يدرسها علم الصرف ؛ و هي: الأفعال المتصرفة و الأسماء المتمكنة ، و لا يشمل المبنيات من الأسماء و لا الأفعال الجامدة و لا الحروف .

و تجدر الإشارة إلى أنّ هناك أوزانًا أخرى وضعها العلماء السابقون ؛ منها : الوزن العروضي و هو يزن جميع الكلمات بما في ذلك المبنيات من الأسماء و الأفعال غير المتصرفة و الحروف. و هناك أيضًا الوزن التصغيري (فُعَيل ، و فُعَيْعِل، و فُعَيْعِيْل) ، و تخضع له كل الأسماء المصغَّرة بِغضّ النظر عن وزنها الصرفي ، و هناك ميزان صيغ منتهى الجموع ، أو ما يُسمّى : شِبه فَعَالِل و فَعَالِيْل، و تدخل فيه أوزان صرفية كثيرة ؛ مثل: أفاعِل ، و مَفاعِل ، و تَفاعِل ، و يَفاعِل ، و فَعائِل، و غيرها مع ممدوداتها.

و إذا أراد بعض العلماء المحدثين إيجاد ميزان يشمل كل الكلمات كما في الميزان العروضي ، فلا بأس في ذلك، و لا داعي لتخطئة القدماء من الصرفيين في ميزانهم الصرفي ، مع العلم أن الميزان العروضي ميزان كامل و فيه جميع التقسيمات ؛ من حركة ، و حرف ، و سبب ، و وتد ، و فاصلة كبرى و صغرى ، و يمكن الإفادة منه كثيرًا في هذا الجانب ، و تجدر الإشارة إلى أن من اكثر المحدثين الذين تحدّثوا عن الميزان الصرفي و الميزان المقطعي هو د.عبد الصبور شاهين في كتابه (المنهج الصوتي للبنية العربية) و لم يذكر الوزن العروضي إطلاقًا ، مع الشبه الكبير بين الوزن العروضي و الوزن المقطعي.

المبحث الأول/ الوزن بحسب الصورة الأصلية

أولًا / الإدغام

رأى الصرفيون أن الكلمة التي فيها إدغام توزن بحسب الصورة الأصلية فيرون مثلًا أنَّ وزن الأفعال الثلاثية المضعَّفة ، مثل: مدَّ ، و شَدَّ توزن على: فَعَلَ لأنّ أصلها مَدَدَ ، و شَدَدَ ، لمّا تماثلت عين الفعل مع لامه أدغمتا و سُكّن أولهما[١٦] ، ((لأنه لمّا كانا من موضع واحد ثقُل عليهم أن يرفعوا ألسنتهم من موضعٍ ثم يعيدوها إلى ذلك الموضعِ للحرف الآخَر، فلما ثقُل عليهم ذلك أرادوا أن يرفعوا رفعةً واحدة)) [١٧] . و هكذا في كل كلمة فيها إدغام ؛ مثل : ضالّة : فاعِلَة و انْهَدَّ،.. و هكذا.

أمّا المحدثون فإنّهم يرون أنَّ الكلمةَ يجب أن تُوزنَ على ما هي عليه فعلًا لا على ما كانت عليه أصلًا أي أنَّ الوزن يكون بحسب صورتها الحالية ((لأنّا ننطِقه شَدْدَ بإسكان العين ، كما لو أنّا أسكنّا فعلًا مثل (عَلِمَ) فقلنا عَلْمَ كان وزنه فَعْلَ ، لأنّ مَهمّة الوزن تقدير عناصر الكلمة على ما هي عليه فعلًا في

الواقع النطقي ، و تصوير تغيير في أصواتها أو في مواقعها)) [١٨] . و هكذا في كل كلمة فيها إدغام ؛ مثل : ضالّة وزنها: فاعْلَة ،.. و هكذا.

و تجدر الإشارة إلى أنَّ بعض الألفاظ تحتمل أكثر من وزن صرفي ، و لا يتبيّن ذلك إلاّ بالرجوع إلى وزن القدماء ؛ من ذلك :

١- عَضَّ ، و ظَلَّ و أمثالهما من الفعل الثلاثي المضعف من الباب الرابع ، و وزنهما : فَعِلَ ، لأنّ الأصل : عَضِضَ ، و ظَلِلَ ثُمّ أُدغم الحرفان المتماثلان فهما من الباب الرابع، على حين لا نعرف الباب إذا قلنا إنَّ الوزن فَعْلَ كما ذهب المحدثون، لأنه يلتبس مع مدَّ من الباب الأول ، و خفّ من الباب الثاني. كما أنّ في هذه الأفعال إشكالًا آخر إذا ما تجاهلنا وزن القدماء ؛ و هو أنّ الماضي و الأمر منها بصيغة واحدة ، فـ: عَضَّ ، و ظلَّ يحتملان أن يكونا ماضيَين بِزنة فَعِل ، و أن يكونا أمرين بزنة اِفْعَل ، الأصل في الماضي عَضِضَ ، و ظَلِلَ ، و أدغم الحرفان المتماثلانِ ، و الأصل في الأمر: اِعْضَضْ و اِظْلَلْ أُدْغم الحرفان المتماثلان و نُقِلَت الفتحة من العين إلى الفاء و لمّا تحرَّكت الفاء بحركة العين انتفت الحاجة إلى همزة الوصل لأنَّ همزة الوصل يُؤتى بها للبدء بالساكن أمَّا و قد تحركت الفاء فليست بنا حاجة لها ، و حُرِّكت لام الفعل بالفتحة لأنها حركة خفيفة دفعًا لالتقاء الساكنين. أمّا معرفة الصيغة المرادة فيتبيّن ذلك من سياق الجملة ، فمثال الماضي : عضَّ النادِمُ على يديه ، و مثال الأمر : عضَّ يا زيدُ على يديك ندمًا من أفعالِك.

و هذا ما لا يتبيَّن في وزن المحدثين ، لأنَّ وزن كليهما عندهم : فَعْلَ .

٢- رُدَّ ،و عُدَّ ، و غُضَّ و أمثالها تحتمل أن تكون أفعال أمر و أن تكون من المبني للمجهول و الوزن(أُفْعُلْ) و (فُعِلَ) فالأول هو فعل الأمر من الفعل الثلاثي المضعّف ، و الآخر هو المبني للمجهول منه ، مثال الأمر في قوله تعالى:(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [١٩] ، و مثال المبني للمجهول في قوله تعالى : (كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا) [٢٠] ، و وزن الفعل في الآيتين مختلف ففي الآية الأولى وزنه (أُفْعُلْ) و في الثانية (فُعِلَ) ، و الأصل في (رُدَّ) فعل الأمر: أُرْدُدْ ،مثل أُكْتُبْ ،و أُدْرُسْ، أُدغمت الدال في الدال لأنهما حرفان متماثلان و نُقلت ضَمّة الدال إلى الراء قبلها و حُذفت همزة الوصل لانتفاء الحاجة إليها إذ لم يعُد هناك ساكن يُتُوصل بها للنطق به، و حُرِّكت الدال الثانية بالفتحة للتخفيف فصارت رُدَّ.

و الأصل في (رُدَّ) المبني للمجهول: رُدِدَ ، مثل كُتِبَ ،و دُرِسَ ،أُدغمت الدال في الدال لأنهما حرفان متماثلان فصارت رُدَّ ،و مثلها عُدَّ ، و غُضَّ ، و مُلَّ ، فهي تحتمل أن تكون أفعال أمر وتحتمل أن تكون من مبنية للمجهول ، و يعرف ذلك من سياق الجملة ، و وزنها (أُفْعُلْ) إذا كانت للأمر و(فُعِلَ) إذا كانت مبنية للمجهول[٢١] .

و هذا ما لا يتبيَّن في وزن المحدثين ، لأنَّ وزن كليهما عندهم : فُعْلَ .

٣- مُعْتَدَّ ، و أمثاله؛ يحتمل أن يكون اسم فاعل و أن يكون اسم مفعول مأخوذين من الثلاثي المضعّف؛ فمثلًا : تحتمل أن تكون مُفْتَعِل و مُفْتَعل،أمّا المحدثون فيزنونه : مُفْتَعْلٌ ،و قد ذكر ابن جني قسماً من هذه الألفاظ في الخصائص فقال في باب القول على الاطراد و الشذوذ: ((من ذلك اسم الفاعل والمفعول في افتعل ممّا عينه معتلة أو ما فيه تضعيف...، وأمّا

المدغم فنحو قولك أنا معتَدٌّ لك بكذا وكذا ،و هذا أمر مُعْتَدٌّ به،فأصل الفاعل معتَدِد كمُقتَطِع،و أصل المفعول مُعْتَدَد كمقتطَع ،و مثله هذا فرس مستَنّ ، لنشاطه وهذا مكان مستَنّ فيه ؛إذا استنت فيه الخيل ،و منه قولهم: اسْتَنَّت الفصالُ حتى القرعى ، و كذلك افْعَلّ وافْعالّ من المضاعف أيضا نحو: هذا بسرٌ مُحْمَرٌ ومُحمارّ ، و هذا وقت مُحْمَرٌّ فيه ومحمارٌّ فيه ؛ فأصل الفاعل محمرِرٌ ومحمارِرٌ مكسور العين وأصل المفعول محمرَر فيه ومحمارَر فيه ،مفتوحها) [٢٢] .

و فيما يأتي جدولٌ يُبَيِّنُ بعضَ هذهِ الكلماتِ و اختلافِ الوزنِ بين الفريقين

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
مَدَّ	فَعْلَ	فَعَلَ	مَدَدَ
ضالّة	فاعْلة	فاعِلة	ضالِلة
انْهَدَّ	انْفَعَلَ	انْفَعَلَ	انْهَدَدَ
يَسْتَقِلُّ	يسْتَفِعْلُ	يسْتَفْعِل	يَسْتَقْلِلُ
عَضَّ	فَعْلَ	فَعِلَ اِفْعَلْ	عَضِضَ (فعل ماضٍ) اِعْضَضْ(فعل أمر)
عُدَّ	فُعْلَ	أُفْعُلْ فُعِلَ	أُعْدُدْ(فعل أمر) عُدِدَ(للمجهول)
مُعْتَزّ	مُفْتَعْل	مُفْتَعِل مُفْتَعَل	مُعْتَزِز (اسم فاعل) مُعْتَزَز (اسم مفعول)

ثانيًا / الإبدال

و المقصود به ما كان أحد طرفيه أو كلاهما من الحروف الصحيحة ؛ من ذلك الإبدال في سماء ، و بناء فوزنها : فَعَال ، و فِعال بحسب القدماء لأنَّ الأصلَ فيهما : سَماو ، و بِناي ، و وزنهما: فَعَاء ، و فِعاء بحسب المحدثين . و من مواضع الإبدال ما يحصل في تاء افتعل ، فتبدّل تاء الافتعال في حالتين :

أ ـ إذا وليت أحرف الأطباق (ص،ض ،ط ،ظ) فيجب إبدال التاء طاء في جميع التصاريف .

صبَرَ - اصْتَبَرَ - اصْطَبَرَ - يصطبِرُ - اصْطِبار

ضرَب - اضْتَرَب - اضْطَرَب يضْطَرِبُ اضْطِراب

لأنَّ التاء منفتحةٌ مُنسفلةٌ، وهذه الحروف مُطبَقةٌ مُستعلِيةٌ. فأبدلوا من التاء أُختَها في المخرج، وأختَ هذه الحروف في الاستعلاء والإطباق وهي الطاء[٢٣].

القدماء يزنونها : اِفْتَعَل ، و المحدثون: اِفْطَعَلَ.

ب ـ و إذا كانت فاؤه دالا أو ذالا أو زايا ، أبدلت تاؤه دالا

زَهَرَ ازْتَهَرَ ازْدَهَرَ ازْدهار

والسبب في ذلك الإبدال عند القدماء أنَّ الزاي مجهورةٌ والتاء مهموسة، والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء، فقرَّبوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما، فأبدلوا الدال من التاء؛ لأنها أخت التاء في المخرج [والشِّدَّة] ، وأختُ الزاي في الجَهر. [٢٤]

القدماء يزنونها : اِفْتَعَل ، و المحدثون: اِفْدَعَلَ.

و إذا كانت الفاء ذالا جاز فيها ثلاثة أوجه.

ذَكَرَ اذْتَكَرَ اذْدَكَرَ اذْدِكار

أو اذّكَرَ اذّكار

أو ادّكَرَ ادّكار

القدماء يزنونها:اِفْتَعَل ،و المحدثون: اِفْدَعَلَ، و اِفّعَلَ ، و اِدَّعَل ، على التوالي[٢٥] .

و من ذلك: ادَّارَأَ أصله: "تَدارَأَ، فقلبت التاء في دالًا؛ ثمّ أدغمت الدالانِ فاحتجنا إلى همزة الوصل لاستحالة الابتداء بساكن. و مثله اطَّيَّرَ ، و اثَّاقَلَ ، و كذلك يَطَّرَّقُ ؛أصله يَتَطَرَّقُ ، و الوزن: اِدّارَعَ : تَفَاعَلَ ، و اطَّيَّرَ : تَفَعَّلَ، و اثَّاقَلَ :تَفَاعَلَ، و يَطَّرَّقُ : يَتَفَعَّلُ ، وادَّكَرَ: اِفْتَعَلَ.. و هكذا[٢٦] .

و يتّفق د. عبد الصبور شاهين مع القدماء في وزنهم لما تعرّض للإبدال و يعلّل ذلك بقوله: ((لأنّ تحوّلها طاءً ليس مطلقًا ، بل هو عارض ، و الطاء ليست من حروف الزيادة)) [٢٧] ، و رأى بعض المحدثين أنّ وزنها: اِدّارَأَ : اِفَّاعَلَ، و اطَّيَّرَ : اِفَّعَّلَ، و اثَّاقَلَ :اِفَّاعَلَ، يَطَّرَّقُ : يَفَّعَّلُ ، وادَّكَرَ: اِدَّعَلَ ،.. و هكذا[٢٨].

و المحدثون يختلفون مع القدماء في تعليل الإبدال في هذه الصيغ .

و من ذلك اتَّصلَ ، و اِتَّعَدَ ، و اِتَّزَنَ ؛ الأصل: اِوْتَصَلَ ، و اِوْتَعَدَ ، و اِوْتَزَنَ ، ذهب القدماء إلى أنَّ الواو قلبت تاءً ، والسبب في قلب الواو في ذلك تاءً أنهم لو لم يفعلوا ذلك لوجب أن يقلبوها ياءً، إذا انكسر ما قبلها، فيقولوا: اِيْتَصَلَ و اِيْتَعدَ واِيْتَزنَ ، وإذا انضمَّ ما قبلها رُدَّت للواو فيقولون: مُوتَصِل ومُوتَعِدٌ ومُوتَزِنٌ ... فأبدلوا منها التاء؛ لأنها حرف جلدٌ لا يَتغيَّرُ لِما قبله، وهي مع ذلك قريبةُ المخرجِ من الواو؛ لأنَّها من

أصول الثنايا والواو من الشفة[٢٩] .

يقول عبد الصبور شاهين: ((يقول الصرفيون إنَّ الواو أدغمت في التاء بعدها ، فصارتا تاءين: اِتَّصَلَ، و ذلك دون أن يناقشوا العلاقة الصوتية بين الواو و التاء ، و نحن نقرّر أنّ بين الصوتين تباعدا لا يسمح بتأثير أحدهما في الآخر ، فلا مماثلة بينهما و لا إدغام. و الذي نراه في رأينا : هو أنّ الواو وقعت بعد كسرة ، و هو تتابع تكرهه العربية، لأنه تتابع بين الحركة الأمامية الضيقة (الكسرة) و الخلفية الضيقة (الضمّة)، فكان لا بدَّ من التخلّص منه ، و لذلك تصرَّف الناطق بهذه الطريقة التي توحي بأنّه أسقط الواو، و حافظَ على إيقاع الكلمة بتضعيف التاء: اتَّصَلَ ، تعويضًا موقعيًا)) [٣٠] .

و فيما يأتي جدول يبيّن بعضًا من هذه الكلمات التي طرأ عليها الإبدال

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
سَماء	فَعاء[٣١]	فَعال	سَماو
اصْطَبَرَ	اِفْطَعَلَ [٣٢]	افْتَعَلَ	اصْتَبَرَ
اضْطَرَبَ	اِفْطَعَلَ	افْتَعَلَ	اضترَب
ازدان	اِفْدَعَلَ	افتَعَلَ	ازتان
اِدَّكَرَ	اِدَّعَلَ	اِفْتَعَلَ	اِذْتَكَرَ
ادَّارَءَ	اِفَّاعَلَ	تفاعَلَ	تدارَأَ
اِطَّيَّرَ	اِفَّعَّلَ	تفَعَّلَ	تَطَيَّرَ
يَطَّرَّقُ	يفَّعَّلُ	يتفَعَّلُ	يَتَطَرَّقُ
اِتَّصَلَ	اِتَّعَلَ	افْتَعَلَ	اِوْتَصَلَ

إنّ في الرجوع إلى الميزان الصرفي القديم فائدة تتحقّق في تحديد الأوزان؛ فالقول بأن زِنة اِنتَصَرَ ، و اِضْطَرَبَ ، اِزدَهرَ ، و اِتَّصلَ : اِفْتَعلَ ، خير من أن يقال إنّ الوزن لـ: اِنتَصَرَ : اِفْتَعلَ ، و اِضْطَرَبَ: اِفْطَعلَ ، اِزدَهرَ : اِفْدَعلَ ، و اِتَّصلَ : اِدَّعلَ . كما يُجنّبا أوزان فَعَاء ، و اِفَّعَل ، يَفَّعَّلُ ، و غيرها.

ثالثًا / الإعلال بالقلب

١-الأجوف ؛ومن أمثلته: قامَ ، باعَ ، طالَ ،خافَ ؛ الأصل : قَوَم ، و بَيَعَ ، و طَوُلَ ،و خَوِفَ ، و كَيِدَ، تحرَّكت الواو أو الياء و انفتح ما قبلها فقُلبت ألفًا[٣٣] ، و العلّة استثقال الضَّمَّةِ في الواو، والكسرةِ في الواو والياء في (طَوُلَ ،و خَوِفَ ، و كَيِدَ) ، فقُلِبت الواو والياء إلى أخفَّ حروف العلَّة وهو الألف، ولتكون العَينات من جنس حركة الفاء وتابعةً لها ، و أمّا (قَوَمَ ، و بَيَعَ) ، فقُلِبت الواو والياء فيهما ألفًا لاستثقال حرف العلَّة، مع استثقال اجتماع المِثلَينِ - فتحةَ الفاء وفتحةَ العين- فقالوا فيهما: قامَ وباعَ، فقلبوا الواو والياء ألفًا لخفَّة الألف، ولتكون العين حرفًا من جنس حركة الفاء). [٣٤] ، فوزن (قامَ و باعَ): فَعَلَ ،و (طالَ) فَعُلَ و(خافَ ،و كادَ) : فَعِلَ ـ.

أمّا المحدثون فيرون أنَّ المقطعَ الأوسطَ مكونٌ من حركات مزدوجة على النحو الآتي:

qa/ua/la

ba/ia/a

ha/ui/fa

و هو أمر ترفضه اللغة ، و لذلك كان الحل هو إسقاط العنصر الذي يسبّب الازدواج و هو الضمة (الواو) في الأول و الكسرة(الياء) في الثاني (قَوَم، و بَيَعَ) فتبقى الفتحتان اللتان هما أنفسهما الألف الموجودة فيصبحان (قامَ و باعَ) و وزنهما هو : فالَ ، لأنّهم يزنونها بحسب الصورة الحالية .

أمّا (خَوِفَ) فتسقط فيه الضمّة و الكسرة معًا (الواو المكسورة) ثمَّ تُطَوَّل الفتحة الأولى حملًا على (قامَ و باعَ) ، و وزنها أيضًا: فالَ[٣٥] .

و من الجدير بالذكر أنّ القدماء لم يُجَوّزوا القول بحذف – ما يطلق عليه المحدثون الإسقاط - الواو أو الياء و إحلال الألف محلّهما ، يقول ابن عصفور الأشبيلي (٦٦٩ هـ): (وأمّا "قام" وأمثاله فيقدر أنه كان في الأصل "قَوَمَ"، ثم استحالت الواو ألفًا، لا أنَّها حُذِفت و جُعل مكانَها الألفُ) [٣٦] .

و من ذلك أيضًا القول في وزن اسم الفاعل و اسم المفعول من الأجوف ؛ مثل: مُعْتاد ، و مُختار؛ و الأصل فيهما: (مُعْتَوِد ،و مُعْتَوَد)، و (مُختَيِر ،و مُخْتَيَر) ، ثم قُلبت الواو أو الياء ألفًا لتحرّكها و انفتاح ما قبلها.

أمّا المحدثون فيرون أنّ ما حدث فيهما هو ما حدث نفسه في (قَوَلَ ، و خَوِفَ) [٣٧] .

تجدر الإشارة إلى أنّ الوزن بحسب الصورة الأصلية يمكن منه معرفة الآتي:

١- معرفة الباب الذي ينتمي إليه الفعل الأجوف ، كما في (خافَ) بزنة فَعِلَ من الباب الرابع ، و كذلك الفعل(طالَ) بزنة: فَعُل من الباب الخامس ، أمّا إذا قلنا إنّهما بزنة : فالَ كما ذهب المحدثون لالتبسا بـ قال ، و باعَ ، و لم يُعرفا من أي باب هما.

٢- معرفة اسم الفاعل و اسم المفعول ممّا كان مأخوذًا من فعل أجوف كما في مُخْتار فإنّه يحتمل النوعين و هذا يُعرف بالوزن الصرفي مُفْتَعِل(اسم فاعل) ، و مُفْتَعَل (اسم مفعول) ، أمّا إذا قلنا إنّ وزنه مُفْتال فلا يمكن التفريق بينهما.

٢- الناقص ؛ مثل: غَزا ، و رَمى ، و سَعى ؛ الأصل: غَزَوَ ، و رَمَيَ ، و سَعَيَ، و يسري عليها ما سرى على (قامَ و باعَ) فوزنها : فَعَلَ بحسب رأي القدماء ، و فَعا بحسب المحدثين إذ يرون أن التقسيم المقطعي:

ga/za/u-a

ra/ma/i-a

و هذا التقسيم يثبت أنّ المقطع الأخير غريب عن نسيج اللغة فهو مؤلف من حركات فقط، و لذلك أسقطت اللغة العنصر الأصلي في الازدواج و هو الضمة (u) – أو الكسرة (i) ، و هو الذي يَنشأ عنه الانزلاق ، أي لام الكلمة، فاتصلت الفتحتان القصيرتان لتصبحا فتحةً طويلةً [٣٨] .

و مثلها يسعى ، و أصلها يَسعَيُ تحرّكت الواو و قبلها فتحة فقُلبت ألفًا ، و الوزن: يَفْعَلُ ، بحسب صورتها الأصلية ، أمّا المحدثون فيرون أنَّ الكسرة و الضمة (الياء المضمومة) سقطتا و طُوِّلت الفتحة فصارت يَسْعى بزنة يَفْعى .

و مثله مُوْقِن أصله "مُيْقِنٌ"؛ لأنه من اليقين، فقُلبتْ واوًا لسكونها وانضمام ما قبلها[٣٩] .و أمَّا المحدثون فيرون أنَّ الياء سقطت و طُوِّلت ضمة الميم[٤٠] .

و وزنها : مُفْعِل بحسب القدماء ، و موعِل بحسب المحدثين.

و فيما يأتي جدول يتضمّن بعض أمثلة الإعلال بالقلب مع الوزن الصرفي

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
قامَ	فالَ	فَعَلَ	قَوَمَ
طال	فالَ	فَعُلَ	طَوُلَ
خافَ	فالَ	فَعِلَ	خَوِفَ
رُماة	فُعاة	فُعَلَة	رُمَيَة
قادة	فالَة	فَعَلَة	قَوَدَة
دعا	فَعا	فَعَل	دَعَوَ
سَعَى	فَعا	فَعَلَ	سَعَيَ
يَسْعَى	يَفْعَى	يَفْعَلُ	يَسْعَيُ
مُوْقِن	موعِل	مُفْعِل	مُيْقِن
مُخْتار	مُفْتال	مُفْتَعِل	مُخْتَيِر
		مُفْتَعَل	مُخْتَيَر
مُعْتاد	مُفْتال	مُفْتَعِل	مُعْتَوِد
		مُفْتَعَل	مُعْتَوَد

رابعًا ـ الإعلال بالنقل:

- يَقُوْلُ ، و يَطُوْلُ ، و يَبِيْعُ" و"يَكِيْدُ ؛ الأصل "يَقْوُمُ و"يَطْوُلُ" و"يَبْيِعُ" و"يَكْيَدُ" و"يَخْوَفُ" ، نقلوا حركة العين في "يَقْوُلُ" و"يَطْوُلُ" فصارا: يَقُوْلُ ويطُوْلُ ، و الوزن يَفْعُلُ. ولمَّا نقلوا في "يَبْيِعُ" صار: يَبِيعُ. ، و الوزن: يَفْعِلُ ولمَّا نقلوا في "يَكْيَدُ" و"يَخْوَفُ" صارا "يَكَيْدُ" و"يَخَوْفُ". ثمَّ قلبوا الواو والياء ألفًا، لتحرّكهما في الأصل قبل النقل، وانفتاحِ ما قبلَهما في اللفظ ، و الوزن يَفْعَلُ. [٤١]

أمّا المحدثون فيقولون: الأصل: يَقْوُمُ ، و يَبْيِعُ سقط الانزلاق (الواو أو الياء) لوجود الازدواج مع الحركة و بقيت الضمة أو الكسرة فطُوِّلت لتعويض موقع الواو الساقطة أو الياء، و الوزن: يَفولُ و يَفيلُ [٤٢] ، أمّا يخافُ؛ فيرون سقوطَ الواو من يَخْوَفُ و طوِّلت الفتحة و الوزن: يَفالُ[٤٣]

و هذا الأمر ينطبق على اسم الفاعل و اسم المفعول و اسم المكان من الفعل الرباعي الأجوف، مثل: أقامَ .

و فيما يأتي جدول يتضمن بعض أمثلة الإعلال بالنقل مع الوزن الصرفي

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
يَقُوْمُ	يَفولُ	يَفْعُلُ	يَهْوُنُ
يَبِيْعُ	يَفيلُ	يَفْعِلُ	يَصْيِحُ
يَخاف	يَفالُ	يَفْعَلُ	يَخْوَفُ
مُقيم	مُفيل	مُفْعِل	مُقْوِم

خامسًا / الإعلال بالتسكين

غالبًا ما يوضع هذا الإعلال في كتب الصرف مع الإعلال بالنقل لأنّ الإعلال بالنقل يصحبه تسكين في الكلمة .

من ذلك : يَدْعُو ؛ الأصل: يَدْعُوُ ، و قد سُكِّنت الواو تخفيفًا و تجنّبًا للثقل و الوزن يَفْعُلُ بحسب الأصل ، و يَهْدي ، و القاضي ؛ الأصل: يَهْدِيُ ،و القاضِيُ ، و قد سُكِّنت الياء تخفيفًا و تجنّبًا للثقل و الوزن يَفْعِلُ ، و الفاعِلُ بحسب الأصل[٤٤] .

و المحدثون يرون أنّ الواو مع الضمة في يَدْعُوُ أسقطتا تخفيفًا و طُوِّلت ضمّة العين، فالوزن يَفْعو.أمّا في نحو:

يَهْدي ، و القاضي فأنّ الياء أسقطت مع الضمة تخفيفًا ، و طوّلت كسرة العين فالوزن يَفْعي ، و الفاعِي(٤٥) .

- و في حالة نصب المضارع: لنْ يَدعوَ و لن يَهْدِيَ فيرى المحدثون أنّ حركة الإعراب (الفتحة) قد جاءت بعد حركة العين (الواو أو الياء) فنشأ ازدواج حركي فتحولت حركة العين إلى حرف (انزلاق) ليحمل حركة الإعراب الذي سرعانما يختفي في حالة الجزم ففي سقوط الحركة يختفي الازدواج و يزول معه وجود الواو أو الياء الطارئتين[٤٦] .

أي أنّ لام الفعل الواو أو الياء اللتين تسقطان دائمًا من الفعل ترجعان في حالة النصب لحمل الفتحة و الوزن في هذه الحالة وزن القدماء نفسه.

- و فيما يأتي جدول يتضمن بعض أمثلة الإعلال بالتسكين مع الوزن الصرفي

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
يَدْعُو	يَفْعو	يَفْعُلُ	يَدْعُوُ
يَهْدِي	يَفْعي	يَفْعِلُ	يَهْدِيُ
القاضِي	الفاعي	الفاعِلُ	القاضِيُ
يَدْعُوَ	يَفْعُلَ	يَفْعُلَ	يَدْعُوَ

المبحث الثاني : الوزن بحسب الصورة الحالية

أولًا/ الحذف ، و قاعدته عند الصرفيين القدماء تقول : (إن حصل حذف في الموزون حُذِف ما يقابله في الميزان)

من أمثلة الحذف : حذف الواو من الثلاثي المثال في المضارع و الأمر و و المصدر ؛ وَعَدَ يَعِدُ عِدْ و عِدَةً ،وإنَّما حُذفتِ الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرة، وهما ثقيلتان. فلمَّا انضاف ذلك إلى ثِقَل الواو وَجب الحذف. وحَذفوا مع الهمزة والنون والتاء، فقالوا: تَعِدُ وأَعِدُ ونَعِدُ، حملًا على الياء[٤٧] .

و لم يختلف المحدثون عن القدماء في الوزن الصرفي.

و من أمثلة الحذف : قُلْ ؛ الأصل فيها: أُقْوُل ، مثل: أُدْرُسْ نُقلت ضمة الواو إلى القاف ثمّ حُذفت همزة الوصل لانتفاء الحاجة إليها فصارت: قُوْلْ ، ثمّ حُذفت الواو للالتقاء الساكنين ، و الوزن: فُلْ.

و مثلها بِعْ ؛ الأصل:اِبْيِع ـ بِيْع ـ بِعْ ، بزنة فِلْ

و مثلها خَفْ ؛ الأصل:اِخْوَف ـ خَوْف ـ خافْ ـ خَفْ ، بزنة فَلْ[٤٨]

و المحدثون يرون أنّ المقطع المديد في: قولْ ، و بيعْ ، و خافْ مقطع غير مقبول في الكلام لذا اختُصِر إلى الطويل المغلق (قُلْ ، و بِعْ ، و خَفْ) ، و لم يختلفوا مع القدماء في الوزن[٤٩] .

أمّا: لم يَدْعُ ، و يَهْدِ ، و يَسْعَ ، الأصل: يَدْعُو ، و يَهْدِي ، و يَسْعَى ، فحُذفت اللام بالجزم ، و يرى المحدثون أنَّ الصائت الطويل(الواو أو الياء أو الألف) الذي هو حركة عين الفعل بسبب الجزم أُخْتُصِر إلى صائت قصير ، فكما تُحذف ضمة (يَكْتُبُ) في الجزم فإنّنا نحذف ضمةً من يدعو فتُصبح يَدْعُ بزنة يَفْعُ بعد أن كان وزنها يَفْعُو قبل الجزم ، و كذلك يَهْدي، و يسعى يُحذف صائت قصير منها و يبقى صائتا لأنها تنتهي بصائت طويل (صائتين قصيرين) [٥٠] .

أمّا في نحو: (مَقُوم ، و مَبيع) فالأصل: مَقْوُوْم نُقلِت حركة الواو الأولى الضمة إلى القاف فصارت مقُوْوْم ،ثم حذفت الواو الثانية (واو مفعول) ، لأنها الزائدة ، و هي قريبة من الطرف، فصارت مقُوْم و وزنه مَفْعُل .و في مبْيُوْع نقلِت حركة الياء إلى الباء مبُيْوْع ثم تحذف واو المفعول فتصير مبُيْع ، ثم تقلب الضمة كسرة لتجانس الياء مبِيْع و وزنه مَفْعِل[٥١] .

و يرى الأخفش أنّ المحذوف (عين الاسم)و هو الواو الأولى من مقُوْوْم،و الياء من مبُيْوْع ، لأنّ الأصل في التقاء الساكنين أن يُحذف الأول، فالوزن عنده : مَفُول ، و مَفيل[٥٢] .

و المحدثون يوافقون الأخفش و يرون أن المحذوف هو عين الاسم و ليس واو مفعول[٥٣] ؛ يقول د. عبد الصبور شاهين: ((...كان لنا أن نُخالفهم في هذا التقدير ، لأن هذه الواو المحذوفة هي واو صيغة (مفعول)، و بسقوطها لا تؤدي الصيغة وظيفتها ، و لذلك نرى أنّ المحذوف هو عين الكلمة، الواو الأولى في مقوول، و الياء في مبيوع ، ثم تبقى (مَقول) كما هي، دالّة على المفعولين، و تقلب الضمة الطويلة في (مبوع) كسرة طويلة تحقيقًا للمغايرة بين واويّ الأصل و يائيّه، فيقال: مَبيع)) [٥٤] .

و مثل مَقول ، و مَبيع: إقامة ، و اِسْتِقامة ، و نحوهما ، كما يأتي:

مصدر أقامَ: إقوام ثمّ بالإعلال بالنقل إقْوام ثمّ بالإعلال بالقلب إقَام ثمّ بالإعلال بالحذف إقَالة(بحذف الألف الأولى و تعويضها بتاء)،ومثله:إقالة،و إدارة

مصدر اِسْتَقامَ: اِسْتِقْوَام ثمّ بالإعلال بالنقل اِسْتِقْوَام ثمّ بالإعلال بالقلب اِسْتِقَام ثمّ بالإعلال بالحذف (بحذف الألف الأولى و تعويضها بتاء) اِسْتِقَامة ، و مثله: اِسْتِقالة ، و اِسْتِدارة.

و المحدثون يرون أنّ الواو أسقطت بسبب وجود المزدوج الحركي ، و عُوِّض عنها بالتاء(٥٥) . و فيما يأتي جدول يتضمّن بعض أمثلة الحذف مع الوزن الصرفي

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
يَعِدُ	يَعِلُ	يَعِلُ	يَوْعِدُ
عِدَة	عِلَة	عِلَة	وَعْد
قُلْ	قُلْ	قُلْ	قُوْل
بِعْ	فِلْ	فِلْ	بِيْع
خَفْ	فَلْ	فَلْ	اخْوَفْ . خافْ
اسْعَ	افْعَ	افْعَ	اسْعَى
ادْعُ	افْعُ	افْعُ	ادْعُو
صِلَة	عِلَة	عِلَة	وَصْل
يَرَى	يَفَى	يَفَلُ	يَرْأى
عُدْتُ	فُلْتُ	فُلْتُ	عُودْتُ
مَقُوْل	مَفول	مَفْعُل	مَقْوُوْل
مَبِيْع	مَفيل	مَفْعِل	مَبْيُوْع
إقامَة	إفالَة	إفْعَلَة	إقْوام
اسْتِقامة	اسْتِفالة	اسْتِفْعَلة	اسْتِقْوام

ثانيًا / القلب المكانيّ

و قاعدته عند القدماء تقول:(إن حصل قلب في الموزون حصل أيضاً في الميزان) ، و لا يختلف المحدثون عن القدماء بالقول إنّ الوزن بحسب الصورة الحالية ، إلّا أنّهم يختلفون عنهم في زنة الكلمات التي فيها أصوات المدّ ،فهم يرون أنّ ما طرأ عليه قلب مكانيّ حدث فيه اسقاط لحروف المدّ و تطويل للحركات و ليس قلبًا مكانيًا ، فـ ((ناءَ عند التحليل أصلها نَأَيَ بوزن فَعَلَ ، و لكن الانزلاق سقط (و هو الياء) نظرًا للصعوبة المقطعية ففقدت الكلمة بذلك لامها ، و صارت بوزن (فَعا) كما رأينا)) [٥٦] .

- و فيما يأتي جدول يتضمّن بعض أمثلة القلب المكاني مع الوزن الصرفي

الكلمة	وزن المحدثين	وزن القدماء	(الأصل)
ناءَ	فَاعَ	فَلَعَ	نَأَى
جاه	عَال	عَفَل	وَجْه
آراء	آفال	أعفال	أرآء
حادي	عالي	عالِف	واحِد

الهوامش

١ - منها: ١- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي.٢- في التطور اللغوي. ٣ -عربية القرآن. ٤-تاريخ القرآن. و له ترجمات لبعض الكتب اللغوية للمستشرقين ، وغيرها .

٢ - ينظر: المهذب في علم التصريف:د.هاشم طه شلاش و آخرانِ ٤٧ ، و الصرف الوافي:د.هادي نهر :٢٨

٣ - شرح التصريح على التوضيح:خالد لأزهري: ٦٦٥/٢.

٤ - المصدر نفسه:٦٦٥/٢، و الصرف الواضح:عبد الجبار النايلة:٣٢.

٥ - تصريف الأفعال و مقدمة الصرف: عبدالحميد عنتر: /٣٩.

٦ - هامش شرح الرضي على الشافية : ١٢/١ .

٧ - ينظر: المفتاح في الصرف :عبدالقاهر الجرجاني: ٢٧ ، و المهذب في علم التصريف: ٤٧.

٨ - تجدر الإشارة إلى أنّ الكوفيين ذَهَبُوا إِلَى أَن نِهَايَة أصل الْكَلِمَة ثَلَاثَة و لا يوجد ما هو مجرد على أكثر من ثلاثة احرف ،فَمَا زَاد على الثَّلَاثَة حكمُوا بِزِيَادَتِهِ فيزنون مَا كَانَ ثلاثيا بِلَفْظ الْفِعْل وَأمّا مَا زَاد نَحْو جَعْفَر وسفرجل فَاخْتَلَفُوا فِيهِ فَمنهمْ من قَالَ لَا نزن شَيْئا من ذَلِك وَإِذا سُئِلَ عَن وَزنه قَالَ لَا أَدْرِي وَمِنْهُم من يزن وَاخْتلف هَؤُلَاءِ فَمنهمْ من ينْطق بِلَفْظ مَا زَاد عَن الثَّالِث فَيَقُول وزن جَعْفَر فَعْلَر وَوزن سفرجل فَعَلْجل وَمِنْهُم من يزن ذَلِك كوزن البصريين فَيَقُول فَعْلَل و فَعَلَّل مَعَ اعْتِقَاد زِيَادَة مَا زَاد على الثَّلَاثَة. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري: ٦٥٤/٢،و ارتشاف الضَّرْب من لِسَان الْعَرَب لأبي حيّان الأندلسيّ:٢٨/١. ، و همع الهوامع للسيوطي: ٤٥٢/٣.

٩ - شذا العرف في فن الصرف:الحملاوي: /١٤، و ينظر: شافية ابن الحاجب : /٦٠، و إيجاز التعريف في التصريف:ابن مالك: /٨٤، ٨٥.

١٠ - المنهج الصوتي للبنية العربية: ٤٨.

١١ - المصدر نفسه:/ ٤٨.

١٢ - شرح الشافية :١٧/١.

١٣ - منهم د. عبد الصبور شاهين في كتابه :المنهج الصوتي:/٤٨.

١٤ - المفتاح في الصرف:/ ٢٨.

١٥ - من وظائف الصوت اللغوي: أحمد كشك:/٢٨.

١٦ - ينظر:كتاب سيبويه: ٥٣٠/٣، و الممتع الكبير في التصريف:ابن عصفور:/٤٠٣.

١٧ - الكتاب: ٥٣٠/٣.

١٨ - المنهج الصوتي: ٤٧.

١٩ - سورة النساء الآية ٨٦.

٢٠ - سورة النساء الآية ٩١.

٢١ - ينظر: دلالة الاحتمال الصرفي: حسن غازي:٢٩.

٢٢- الخصائص:. ج٢/ص١٠٣-١٠٤، و ينظر: دلالة الاحتمال الصرفي:٣١.

٢٣ - ينظر: شرح المفصل لابن يعيش:٤٠٦/٥، و الممتع الكبير: ٢٣٨/١،و شرح ديكنقوز على مراح الأرواح: / ٩٤..

٢٤ - الممتع الكبير: ٢٣٨/١.

٢٥ - ينظر: الصرف وعلم الأصوات:ديزيره سقال:/٢٠٣.

٢٦ - ينظر: المقتضب للمبرد: ٢٤٣/١ ، و شرح المفصل لابن يعيش: ٥٥٨/٥.

٢٧ - المنهج الصوتي: /٦٨.

٢٨ - ينظر: الصرف وعلم الأصوات:/٢٠٣.

٢٩ - الممتع الكبير:/٢٥٦، و ينظر:الفلاح شرح المراح لابن كمال باشا: /١٥٠.

٣٠ - المنهج الصوتي: ٧١، و ينظر:الصرف وعلم الأصوات:/٢٠٣.

٣١ - جوّز هذا الوزن من القدماء عبدالقاهر الجرجاني في : المفتاح في الصرف: ٢٨

٣٢ - قال بهذا الوزن من القدماء الرضي الأسترابادي في: شرح الشافية: ١٨/١.ذ

٣٣ - التصريف الملوكي: ابن جني:١٧-١٨.

٣٤ - الممتع الكبير:/ ٢٨٧.

٣٥ - المنهج الصوتي:/ ٨٣، و الصرف وعلم الأصوات:/٢٠٣، و اللغة العربية معناها و مبناها: تمام حسان:/١٤٥،و من وظائف الصوت اللغوي: د.أحمد كشك:/٢٦.

٣٦ - الممتع الكبير: / ٣٤.

٣٧ - ينظر: التشكيل الصوتي للمشتقات:/٩٥.

٣٨ - المنهج الصوتي:/ ٨٦.

٣٩ - الأصول في النحو:ابن السراج:٢٦٦/٣، و شرح التصريف للثمانيني:/٣١٩، و الممتع الكبير: /٢٨٦.

٤٠ - المنهج الصوتي:/ ١٩١، والتشكيل الصوتي للمشتقات:/١٠٧.

٤١ - ينظر:الأصول في النحو:٢٧٨/٣، و المنصف :ابن جني:/٢٤٧، و الممتع الكبير:/ ٢٩٣.

٤٢ - المنهج الصوتي:/ ١٩٨.

٤٣ - المنهج الصوتي:/ ٨٦ .

٤٤ - ينظر:الممتع الكبير:/٣٥١، و جامع الدروس العربية: ١١٤/٢.

٤٥ - ينظر: المنهج الصوتي: / ٨٣.

٤٦ - ينظر: المنهج الصوتي: / ١٩.

٤٧ - ينظر:المقتضب:١٢٩/٢، و الأصول في النحو:٣٠٧/٣ ، والمنصف لابن جني:/١٨٤، و الممتع الكبير: /٢٨٠.

٤٨ - ينظر:الممتع الكبير:/ ٢٩٤، و شرح الشافية لركن الدين:١٩٦/١،و ضياء السالك إلى أوضح المسالك: محمد عبد العزيز النجار: ٣٣٢/٤.

٤٩ - المنهج الصوتي:/٨٥.

٥٠ - ينظر: المصدر نفسه:/١٧.

٥١ - ينظر: الأصول في النحو: ٣/ ٢٨٣، و شرح التصريف للثمانيني: /٣٩٢، و المفتاح في الصرف:/٨٣.

٥٢ - ينظر: شرح التصريف للثمانيني: /٣٩٢، و شرح المفصل لابن يعيش:٤٣٥/٥.

٥٣ - ينظر: المنهج الصوتي:/ ٢٠٠، و التشكيل الصوتي للمشتقات:أ.د.عبدالقادر مرعي: / ٩٢.

٥٤ - المنهج الصوتي:/ ٢٠٠.

٥٥ - ينظر: المنهج الصوتي: /١٩٩.

٥٦ - المنهج الصوتي: ٤٨.

المصادر والمراجع

أولًا : القرآن الكريم .

ثانيًا : الكتب

١ - ارتشاف الضَّرب من لِسَان الْعَرَب :أبو حيّان الأندلسيّ (ت: ٧٤٥ هـ)، تَحْقِيق ودراسة رَجَب عُثْمَان مُحَمَّد، ط١، ١٤١٨هـ، مكتبة الخانجي، الْقَاهِرَة.

٢ - الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦هـ) ،المحقق: عبد الحسين الفتلي ،الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٣ - الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ) ،الناشر: المكتبة العصرية ،الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

٤ - إيجاز التعريف في علم التصريف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢هـ) ،المحقق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٥ - تصريف الأفعال و مقدمة الصرف: عبدالحميد عنتر، ط ٢ – ١٤٠٩هـ ، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

٦ - التصريف الملوكي:صنعة أبي الفتح عثمان بن عبدالله ان جني (ت: ٣٩٢هـ)، عني بتصحيحه: محمد سعيد بن مصطفى النعسان ،مطبعة شركة التمدّن الصناعية- مصر، ط ١ ،

٧ - جامع الدروس العربية: مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت: ١٣٦٤هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

٨ - الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني (ت: ٣٩٢هـ) ، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، تحقيق: محمد علي النجار ، بلا ت.

٩ - الشافية في علمي التصريف والخط: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦هـ) ،المحقق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ،الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ،الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

١٠ - شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١هـ) ،المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله ،الناشر: مكتبة الرشد الرياض.

١١ - شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: ٩٠٥هـ) ،الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ،الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م

١٢ - شرح التصريف: أبو القاسم عمر بن ثابت الثمانيني (ت: ٤٤٢هـ)، المحقق: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، الناشر: مكتبة الرشد، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

١٣ - شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت١٠٩٣هـ): محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت: ٦٨٦هـ) ،حققهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمهما:محمد نور الحسن ،و آخران ،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان: ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٤ - شرح شافية ابن الحاجب: حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ركن الدين (ت: ٧١٥هـ) ،المحقق: د. عبد المقصود محمد عبد المقصود (رسالة الدكتوراه) ،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية ،الطبعة: الأولى ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م.

١٥ - شرح مراح الأرواح: شمس الدين أحمد المعروف بديكنقوز أو دنقوز (ت: ٨٥٥هـ)؛ طبع ضمن كتاب:شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف ،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة: الثالثة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.

١٦ - شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي ، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت: ٦٤٣هـ) ،قدم له:

الدكتور إميل بديع يعقوب ،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م
١٧ - الصرف الواضح: د.عبدالجبار علوان النايلة ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي / جامعة بغداد ، طبع و نشر و توزيع: مكتبة الرياحين – حلة – عراق .
١٨ - الصرف الوافي:د.هادي نهر، مطبعة التعليم العالي ، الموصل ١٩٨٩م.
١٩ - الصرف و علم الأصوات:د. ديزيره سقال، دار الصداقة العربية ـ بيروت، ط١- ١٩٩٦
٢٠ - ضياء السالك إلى أوضح المسالك: محمد عبد العزيز النجار ،الناشر: مؤسسة الرسالة
٢١ - ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٢ - الفلاح شرح المراح: ابن كمال باشا (ت: ٩٤٠هـ)؛ طبع ضمن كتاب :شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف،الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة: الثالثة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.
٢٣ - كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون ،الناشر: مكتبة الخانجي،القاهرة ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢٤ - اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان عمر ،الناشر: عالم الكتب،الطبعة: الخامسة ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٥ - المفتاح في الصرف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ) ،حققه وقدّم له: الدكتور علي توفيق الحَمَد، كلية الآداب - جامعة اليرموك - إربد - عمان ،الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،الطبعة: الأولى (١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م) .
٢٦ - المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥هـ) ،المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة.الناشر: عالم الكتب. - بيروت
٢٧ - الممتع الكبير في التصريف: علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩هـ) ،الناشر: مكتبة لبنان ،الطبعة: الأولى ١٩٩٦.
٢٨ - من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي و نحوي و دلالي:د. أحمد كشك ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ـ مصر، ط١ـ ٢٠٠٦.
٢٩ - المنصف لابن جني، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ) ،الناشر: دار إحياء التراث القديم،الطبعة: الأولى سنة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
٣٠ - المنهج الصوتي للبنية العربية ـ رؤية جديدة للصرف العربي: د.عبدالصبور شاهين، مطبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٨٠.
٣١ - المهذب في علم التصريف: د. هاشم طه شلاش و آخران ، طبع الكتاب على نفقة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/العراق جامعة بغداد كلية التربية - ابن رشد .
٣٢ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ،المحقق: عبد الحميد هنداوي ،الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر.

ثالثًا: البحوث

١ - التشكيل الصوتي للمشتقات : أ.د. عبدالقادر مرعي الخليل ، و د. فايز المحاسنة ، مجلة جامعة أم القرآن لعلوم اللغات و آدابها ،عدد أول محرم١٤٣٠هـ - يناير٢٠٠٩م.
٢ - دلالة الاحتمال الصرفي : د. حسن غازي السعدي ، مجلة العلوم الإنسانية – جامعة بابل ، عدد ٤ ، مج١،كانون الأول ٢٠١٠.

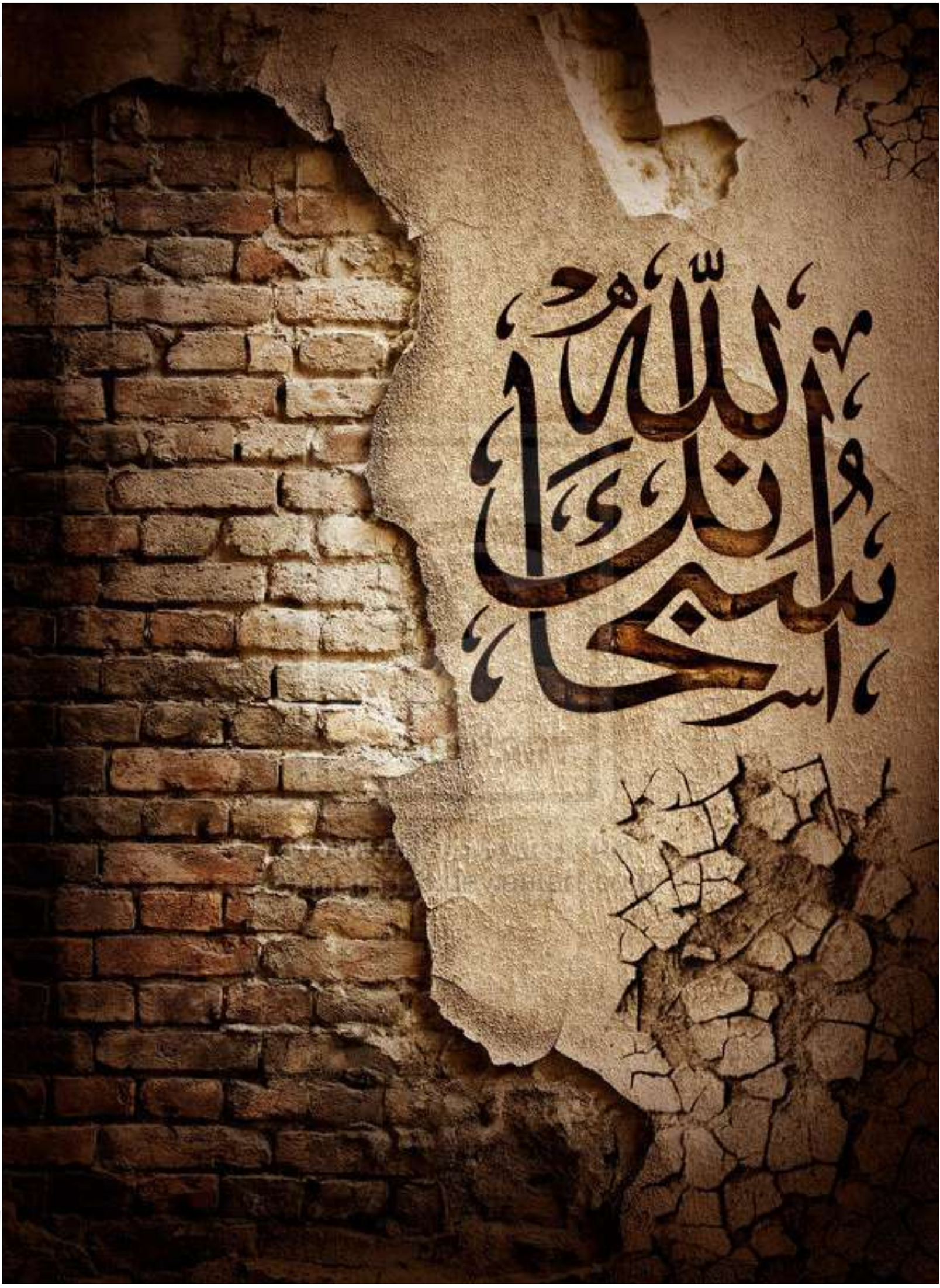
سبحان الله

الفحولةُ الجمعيةُ في شعر الهذليين
دراسة ثقافية

The collectivism virility in the verse of Hathli
(Cultural study)

أ.د. رعد أحمد الزبيدي أمجد عبد الرؤوف البرقعاوي
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية
ماجستير. أدب
.Dr. Raad Ahmed Zubaidi
.College of Arts / Mustansiriya University

Mr. Amjad Abdul Raouf Barqawi.
College of Arts / Mustansiriya University.

الكلمات المفتاحيّة :: الفحولة / الأنا المتعالية / الصعاليك / الوصف الحسي / الجماعة والقبيلة / الأنا

amjed.84w@gmail.com

ملخص البحث

نحاولُ عِبر رحلة بحثنا مع نصوص شعراء قبيلة هذيل اماطة اللثام عن مستترات نسق الفحولة الذي عنى بتضخيم ذات الجماعة، هذه الجماعة التي تعدّ مهمة في حياة الفرد وتُعدّ شيئاً أساسياً فيها، وما هي تمثلات هذه الفحولة وميادينها الرحبة التي وجد عِبرها شعراء هُذيل متنفّساً لاظهار ما تجيش به نفوسهم من تضخمات وتهميش للآخر؟ وكيف تجلّت فحولة الذات الجمعية في شعر شعراء هُذيل؟ وكيف اتخذوا من الجماعة بديلاً عن القبيلة، فتغنوا بأمجادها ذاكرين مآثرها؟.

Abstract

We try to search through the texts of the poets of the tribe of Hathil to unveil the veils of the format of virility، which meant to amplify the selfishness of the collectivism ، which is important in the life of the individual and is essential in it، and what representations of this virility and the vast fields through which the poets of Hathil found a breath to show By their souls of inflation and marginalization of the other? And how manifested the total virility of self-assembly in the poetry of Hathil poets? And how did they take from the group an alternative to the tribe، and they sing their glories، citing their exploits ?.

المقدمة

اختلفَ معنى الفحولة في النقد الثقافي عنه في النقد الجمالي، فبعد أن كان يعني في النقد الجمالي مجموعة من الشروط التي تبيّن الابداع والمقدرة الشعرية لدى الشاعر ومن ضمنها: طول القصيدة، وكثرة القصائد الطوال، والجودة الشعرية، وغيرها، صار يعني عند النقد الثقافي تضخمات أنا الشاعر أو أنا من يقوم الشاعر بتضخيم ذاته من ملك، أو سيد قبيلة، أو شخص ما، أو جماعة[١]، فالفحل برؤية النقد الثقافي هو من يقوم بتضخيم ذاته بشتى الوسائل المتاحة لديه محاولا ابراز تعاليه وتميّزه على حساب غيره وتهميشه والغاءه.

لا نستطيع أن نطلق تسمية «جماعة» على أي تجمع متعايش كيف كان، فالتعايش لا يكفي لوحده لتحديد مفهوم الجماعة بل لابد من اضافة سمة الوئام فيما بينها، والاعتراف بالأذواق والمصالح المشتركة فيما بينهم[٢]. فالجماعة عبارة عن مجموعة من الأفراد جمعتهم روابط معيّنة وصار لهم هدف مشترك، وحينما يُخاطب الشاعر جماعة معيّنة فهو في الحقيقة يُخاطب هؤلاء الأفراد مجتمعين ويُضيف لهم ما يشاء من أوصاف، وقد يقوم بمخاطبة فرد من هذه الجماعة لميزة تُميّزه عن الآخرين كأنْ يكون هو سيّدهم أو أحد الأبطال ممن ترك أثراً بطولياً لا يمكن تناسيه، أو تربطه مع الشاعر رابطة مهمة. فمفهوم الجماعة يفترض((تنظيماً لحياة مشتركة ولمصير أيضاً مشترك يحيل إلى التجمعات الانتمائية))[٣].

ثم أنّ العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة تكاملية ومتضادة في الوقت نفسه، تكاملية إذ لا وجود لمجتمع بلا أفراد، ومتضادة إذ يوجد هناك تضاد بين مركزية الذات ومركزية المجتمع، فالمجتمع يحاول قمع اندفاعات ورغبات وآمال الفرد، مّما يؤدي إلى خرق ضغوط المجتمع ومعاييره وممنوعاته[٤]. لكن هذا التضاد لا ينفي عمق وقوة الوشائج التي تجمع الفرد بهويته المرجعية (الجماعة)، لذا انبرى إلى التغني بأمجاد الجماعة وتضخيم ذواتهم عبر رسم بطولاتها في لوحات شعرية زاهية. وسنرى كيف تجلّت فحولة الذات الجمعية في شعر شعراء هُذيل، وكيف اتخذوا من الجماعة بديلاً عن القبيلة، فتغنوا بأمجادها ذاكرين مآثرها وشجاعتها مع شحة في ذكر أمجاد القبيلة.

الشجاعة في الحرب:

مواقف عظيمة يقوم بها البعض تترشح منها الشجاعة فتكون ذاتَ أثر في المجتمع، وتجد صداها في نفوسهم، مّما يجعلهم عزيزيي الجانب أمام أفراد المجتمع الذين يقومون بدورهم بترسيخ الأنا المتعالية في نفوسهم من خلال ما يمدحونهم به من صفات من شأنها تضخيم ذواتهم. وتُعد الشجاعة والمغامرة في الحرب أحد المداخل لمن يريد تضخيم الأنا الجمعية((ولاشك في أنّ قانون المغامرة أو البطولة هو الملمح الأبرز في النظام النسقي الأنوي))[٥] ، وحين يكون هو الملمح الأبرز فحينها سنجد الكثير من تضخمات الذات الجمعية فيما قاله الشعراء من وصف لشجاعتهم في حروبهم ومغامراتهم، يقول عبد مناف بن ربع[٦]:

لـنِعمَ مـا أحسَن الأبياتُ نَـهنـهةً
أُولى العَدِيِّ وبَعدُ أَحسنوا الطَّردا
شدُّوا على القوم فاعتطُّوا أَوائلهم
جيش الحمار ولاقَـوا عارضاً بَرِدا

فالطَّعن شَغشغةٌ والضَّرب هَيقَعةٌ
ضَرب المعوَّل تحت الدِّيمة العَضَدا
ولـلّقـسِـــــيِّ أزامـيلٌ وغَـمـغـمـةٌ
حِسَّ الجنوب تَسُوقُ الماءَ والبَرَدا

هؤلاء الجماعة أُغير عليهم لكنّهم صدوا الهجوم مّما جعلهم مفخرة لغيرهم بالبسالة التي أبدوها في رد الغزاة، والشاعر الصعلوك استبدل((أفراد قبيلته بأصحابه الصعاليك ما يعني إنّه ردّ على النظام القبلي أنساقه الاستعلائية نفسها لأنها لا تنظر إلّا لذاتها بوصفها الطبقة العليا، أمّا الآخر فيجب سحقه من الوجود))[٧]. وقد وصفهم بجميل الصفات التي سجلت شجاعتهم وصورتها خير تصوير، فقد قاموا باكتساح جيش العدو بحيث لا تسمع إلّا أصوات طعن الرماح وضرب السيوف، ولا ترى إلّا النبال وهي تسقط عليهم. بهذه الصورة ضخَّم الشاعر ذوات هذه الجماعة، ولعل الشاعر حين يلجأ للجماعة محاولاً إعلاء الأنا الجمعي فهذا كله لتحقيق ما يعجز عنه حين يكون فرداً، مثل توفير الحماية لنفسه ممّا يجعله يشعر بأنّ وراءه جماعة تهابها الناس وتخشاها فلا يلحقه منهم أي ضرر، فذات الشاعر ترفض الواقع المؤلم وتتضخم بعد أن تندمج مع الجماعة((ولاشك في أن مفهوم الرفض في فلسفة الشاعر الصعلوك هو القيمة الكبرى لصنع العالم الذي تتضخم فيه الذات بعد التوحد بالمجموع))[٨].

في صورة منفصلة يصف الشاعر حملة قامت بها جماعته على الأعداء وكيف كانت حالتهم في أثناء الحملة، فهم يعدون الحرب شفاء لأنفسهم التواقة للمغامرة، يقول أبو خراش[٩]:

عَـــــدَونا عَـــــدوةً لا شكّ فيها
وخِـلنـــــاهم ذُؤَيـبـــةَ أو حـــبيبا
فنُغـــــري الثـــــائرين بهم وقُلنا
شِفـــاءُ النفـــسِ أنْ بَعَثوا الحُروبا
كـأنّـــي إذ عَـــدَوا ضـــمّنتُ بَزّي
مـــن العِـــقـــبان خـــائتةً طَلوبا
مَـــنَعـــنَا مـــن عديٍّ بن حُـــنيفٍ
صِحـابَ مـضرَّسٍ وابني شَعوبـا
فـــأَثنـــوا يا بني شِجـــعٍ علينـــا
وحَـــقُّ ابنـــي شَعـــوبٍ أن يُثيبـــا
فـســـائـل سَبرة الشَـــجعي عنّـــا
غـــداةَ تَـــخالُـــنا نَـجـــواً جَنيبـــا
بـــأن الســـابق القِـــرديَّ ألقـــى
عليـــه الثّـــوبَ إذ ولّـــى دَبـيبـــا

ضمير الجماعة هنا بارز جداً يُظهر لنا مدى تمسك الشاعر بجماعته(عدونا، خلناهم، قلنا، منعنا، عنا، تخالنا) ونلاحظ أنّه تجسدت ((العلاقة بين الأنا والجماعة من دون أنْ يكون هناك نفي لإحداهما على حساب الأخرى بوصفهما وجهين لعملة واحدة))[١٠]. فنحن أمام ذات جماعية تستمد نوعيتها من سيكولوجية القوة التي تستحيل إلى سبق في الموقف وغلبة في الرأي[١١] وعبرها الشاعر يصوّر لنا الشجاعة التي أبداها جماعته مع مَنِّهم على العدو، فقد ألقى السابق القِردي وهو أحد الشجعان الثوبَ على سَبرة الشَجعي وعفا عن قتله منَّا عليه. الشاعر فرح بهذه الحادثة التي قام بها أحد أفراد جماعته التي ينتمي إليها، وقام بمدح جماعته التي فيها((تنعدم التفرقة واللامساواة ويندغم الواحد في الكل والكل في الواحد، ونتيجة لهذا يحس الفرد العامل في إطار الجماعة بقيمته

وتميّزه))[١٢]. هكذا ضخَّم الشاعر ذوات أصحابه ووصف شجاعتهم وكأنّه يقول: مَن مثل أصحابي في شجاعتهم؟ من مثلهم في بسالتهم؟.

يصل السمو بالنفس أحيانا إلى حد الفخر بأنّهم سيوفهم هي من تتكلم، قد أرضعتهم الحرب الشديدة حتى صاروا أصحاب فن فيها، يقول حذيفة بن أنس[١٣]:

وكـــنّا أُنـــاسا أنطقَتنا سيـــــوفُنا
لنـــــا في لقاء الموت حَدٌّ وكوكبُ
بنو الحرب أُرضعنا بها مُقمطِرَّةٌ
فمـــن يُلقَ مـــنّـــا يُلقَ سِيـــــدٌ مُدرَّبُ

الأنا عند الشاعر كبيرة ومتضخِّمة جدا، فهو يرى نفسه وجماعته بمكانة لا يدانيها أحد، فهم في طبقة ومنزلة أرفع تمنعهم من الكلام مع مَن هُم دونهم منزلة، ومن يفكر بالتكلم معهم فسيجد السيف هو المتكلم والحاكم! ويرى الحرب أمهم التي أرضعتهم ونشأوا في كنفها منذ الصغر، وهذا ليس بالشيء الغريب، فأبطال العرب كانوا يرون أنفسهم فوق الجميع وليس هناك – باعتقادهم - من يستطيع منازلتهم. والشاعر حين يسبغ على جماعته هذه الصفات فهو في الحقيقة يسلبها عن المقابل ويرفضهم، فيكون الآخر الجمعي لم ترضعه الحرب فلا يُعدّ حينها من فرسان وأبطال الوغى((ولاشك في أنّ مفهوم الرفض في فلسفة الشاعر الصعلوك هو القيمة الكبرى لصنع العالم الذي تتضخم فيه الذات بعد التوحد بالمجموع))[١٣]. استعمالات ذكية من الشاعر يسلب من خلالها أي صفة جيدة من العدو بدون أي تصريح. فـ((التفوق والغلبة وهما الامتياز الذي يستلزم الرجولة مثلما يغدو لازما لها))[١٤] ، وهما من يحرّك الشاعر عند مواجهة جماعته للعدو، وحين اسلبهما من المقابل أكون قد جردته من ما يحتاجه الفارس في المعركة لينتصر.

الهروب على الأرجل:

تُعدّ ظاهرة العَدْو والغزو والهروب على الأرجل عند قبيلة هُذيل ظاهرة اجتماعية متميزة ومشهورة، وقد بلغت شهرة هذه الظاهرة حداً لا يكاد يُنكره كل من تصفح كتب الأدب العربي. وقد أسهمت هذه الظاهرة – بالفهم الذي فهمه الصعاليك من هُذيل وهو عدّها ضرباً من الفروسية والشجاعة – باعطائهم هالة من التميّز والبروز بين المجتمعات، وأسهمت في ادخال الخشية والرهبة في نفوس القبائل الأخرى، خصوصاً وإنّ الهذليين يستخدمون العَدْو على الأرجل في أثناء غارات السلب والنهب التي يقومونَ بها على القوافل التجارية المارّة بقربهم وعلى القبائل الأخرى، وكان الصعاليك يعدّون أخذ أموال غيرهم((بمثابة سرقة الهوية من هؤلاء الأغنياء وتركهم بلا هوية، ومن ثم جعلهم مهمشين ودونيين، ذلك لأنهم وقعوا في الفقر الذي يعني التهميش والإلغاء والإقصاء))[١٥]. وسرعة العَدْو ساعدت الهذليين على تنفيذ مهامهم بأفضل صورة والعودة سالمين إلى ديارهم. وقد تعددت صور تناول الشعراء الهذليين للعَدْو على الأرجل في أشعارهم، فقد تناولوا الكثير من حيثياته، فتارة يُصورون كيفية الغزو رَجّالة، وأخرى كيفية هروبهم من المعركة عَدْواً وعدِّه من البطولة، وثالثة تناولوا كيفية وضع ثيابهم في أثناء الفرار، إلى غيرها من الحالات التي تبيّن مدى شيوع هذه الظاهرة عند الهذليين، وكيفية فخرهم بها وعدِّها من صور البطولة[١٦]. ولم تكن هذه الظاهرة بخافية عن

العلماء القدامى، فقد فَطِن عدد منهم إلى ما للعَدْوْ من أهمية في حياة الهُذليين، وكم يُسهم في حفظ أرواحهم ونجاتهم من الخطر، قال يونس بن حبيبٍ: ((وليس في هذيلٍ إلاَّ شاعرٌ أو رامٍ، أو شديدُ العَدْو))[١٧] ، وقال عنهم الأصمعي)) فيهم أربعون شاعراً مفلقاً وكلّهم يعدو على رِجْله ليس فيهم فارس))[١٨]. وهذا يؤكد التسالم الموجود بين العلماء على شيوع حالة العَدْوْ على الأرجل في قبيلة هذيل، إذ المنطقة التي سكنتها هُذيل - وهي منطقة جبال السراة - شهدت أكبر عدد من صعاليك العرب وإنّ منها من يَعدُو على رِجْله ويختلسون، وإنّ بهذيل وحدها أربعين راجلاً[١٩].

إذاً، فعَدْوْ الهذليين وسرعتهم ليس بالأمر الخاف، إذ كانوا يُجيدون الكرّ والفر، ويُحسنون الهرب((فقد عُرِفوا بسرعة العَدْوْ بحيث كان الفرسان على خيولهم الجياد لا يستطيعون اللحاق بالصعلوك وهو يركض))[٢٠]. وحين نقرأ أشعارهم التي تتكلم عن العَدْوْ والهروب نجد فيها ملامح لِفهمٍ جديدٍ للشجاعة والفروسية. فلم يعُد الفارس هو من يُحارب في المعركة ولا يهرب، وإنما صار الفارس هو من يستطيع الفرار من المعركة ويَعْدو بعيداً عنها أيضاً. مرّ علينا فحولة الرجل في ساحات القتال والحرب التي هي فحولة وشجاعة ذات جانب إيجابي، أي التي يقوم فيها الشاعر بتضخيم ذاته وذات جماعته وإعلاء شأنهم في الحرب وفي اثناء القتال وابراز شجاعتهم في قتال الأعداء. ويمكننا تلمُّس جانب آخر لهذه الفحولة لكنها من جهة معاكسة، أي فحولة سلبية يقوم فيها الشاعر بتضخيم ذاته وذوات جماعته أيضاً، لكن في أثناء الفرار والهزيمة، فيقوم بعكس القيم السلبية في المجتمع كالفرار مثلاً وتصويرها على أنها قيم ايجابية، ويذكرها دون أن يشعر بالعيب، ولكن لِمَ العيب؟ ومِمَّ العيب؟ بعد أنْ أصبحت المنظومة القيمية للشاعر ترى مسألة الهروب ليس بالشيء المعيب، بل بالعكس، أصبح الهرب سريعاً سلاحا فتاكا من الأسلحة التي يعتمد عليها الهُذلي في أثناء غارته، يقول ساعدة بن العجلان[٢١]:

غَـــداةَ شُواحِـــــــطٍ فَنَجوتَ شَـدّاً
وثَوبُكَ فـــــي عَمَاقِيةٍ هَريدُ

والشاعر يحسب هذا الهروب وكأنه قيمة عليا وليس من السهولة أنْ يقوم به أي شخص، ولعل السر في حرص الشعراء على ذكر فرارهم، لأنهم يعدّونه فرصة((تتيح لهم إظهار تلك الميزة التي يفخرون بها دائماً، وهي سرعة العَدْوْ))[٢٢] ، يقول أبو خراش[٢٣]:

لـــــمّا رأيتُ بني نُـــــــفاثَةَ أقبلوا
يُشْلون كلَّ مقلَّصٍ خِـنّاب
فَنَشيت ريحَ الموتِ من تِلقائهم
وكـــرهتُ كلّ مهنّد قَضّـــابِ
ورَفـــــعتُ ساقا لا يُخافُ عِثارُها
وطرحتُ عنّي بالعَراء ثيابي
أقـــــبلتُ لا يشـــتدّ شَـــدّي واحدٌ
عِـــلْجٌ أقَبُّ مسيّرُ الأقرابِ

كلمة صريحة أطلقها الشاعر في وصف حالة فراره حين مجيء بني نُفاثة على الأبل، وكيف أنّه شمّ رائحة الموت آتية من تلقائهم، فَكَرِه قتالهم وهرب بحيث لا يستطيع أي أحدٍ من اللحاق به، هكذا يُصور لنا الشاعر حالة يفتخر بها بحيث يرى أنه لا أحد يقدر على الهروب مثله، ولعل من أسباب تفاخر الشاعر بالهروب هو كونه ينتمي لمنظومة قيمية مختلفة –

بسبب الصعلكة- عن منظومة الفرسان، فتكون رؤيته الاجتماعية للبطل تختلف عمّا هو متعارف عليه، فالمتعارف أن يكون البطل مقداما لا يخاف شيئاً ولا يهرب من شيء أبداً، أما عند هذا الشاعر الهُذلي فكان مفهوم الفروسية عنده مختلفاً، ولعله نتيجة لحالات النهب التي يقوم بها الصعاليك فيحتاجون لسرعة العَدْو، فبما أنّهم انحرفوا عن الطبيعة البشرية فهم يرون الهروب نوعاً من الشجاعة والبسالة.

وفي مشهد آخر يُطالعنا أبو خراش بفلسفته الخاصة بالهروب، فهو يُبين لنا أنّ هروبه من المعركة ليس جُبْناً، وإنّما حين يرى أنّ بقاءه لا ينفعه وإنما يورده الموت قبل أن يُحقق غايته، فيَفِر ويُعاود الكرة فيما بعد حين يرى أنّ الغَلبة ستكون إلى جانبه، يقول[٢٤]:

فإن تزعمي أنّي جَبُنتُ فإنني
أَفِـرُّ وأرمـي مـرة كـلَّ ذلـكِ
أُقاتلُ حتى لا أرى لي مُقاتَلا
وأنجو إذا ما خِفتُ بعضَ المهالكِ

مّما مرّ من نصوص شعرية تأكدت عندنا مسألة انقلاب القيم الاجتماعية عند الصعاليك، فالهرب بعد أن كان قيمة اجتماعية مرفوضة ويُعاب عليها الهارب ويُستهجن فعله، أصبح قيمة عليا في مجتمع الصعاليك وأحد أسلحتهم الفتاكة التي حمتهم من الآخرين حين يشتبكون معهم أثناء عمليات السلب والنهب التي يقومونَ بها.

وأصبح الهروب في بيئة الهذليين قيمة يختلف معناها عمّا هو موجود في البيئات الأخرى، وبهذا تظهر نتيجة صراع البيئات فيما بينها، فهي لا تقتصر على الصراع بين أفرادها، وإنما يشمل حتى الصراع بين المعاني والقيم، فيصبح لكل بيئة قيمها الخاصة بها التي قد تختلف عن البيئات الأخرى، فقيمة ما تكون محمودة في بيئة لكنها معيبة في أخرى.

وكثرة حديث الهُذليين عن سرعتهم في العَدْو والهروب باعجاب كبير تجعلنا نرى كم لسرعتهم من فضل عليهم إذ أنجتهم من الموت المحقق في موارد كثيرة، فضلاً عن استعمال هذا السلاح – السرعة – وسيلة لكسب عَيشهم عِبر ما يقومون به من غارات. وقد روت كتب التاريخ أخبارا كثيرة تتحدث عن سرعة الهذليين في العَدْو، فقد ذكر أبو فرج الأصفهاني: إنّ الشاعر أبا خُراش الهُذلي دخل مكة وللوليد بن المغيرة المخزومي فَرَسان يريد أن يُرسلهما في الحلبة، فقال للوليد: ما تجعل لي إنْ سبقتهما؟ قال الوليد: إن فعلت فَهُمَا لك، فأُرسِل الفرسان وَعَدَا بينهما فسبقهما وأخذهما[٢٥]. وهذا المعنى نفسه تؤكده الشاعرة جنوب حين رثت أخاها عمرو ذا الكلب، إذ الفرسان وهم على خيولهم لم يستطيعوا اللحاق به وهو يشتدّ راجلاً، تقول[٢٦]:

وخيـــلٍ سَـــرَت لـك فُرســـــانُها
فَولّـــوْا ولـم يَســـتقلّوا قِـــبالا

وكان من شِدّة اعجاب الهذليين بسرعة عَدْوِهِم، أنهم لم يفوتهم أن يُصوِّروا حال ثيابهم أثناء الركض، فقد اهتموا بتصوير حال الثياب وهل أنها تبقى على جسم صاحبها أو يقوم بخلعها تَخَففاً منها ليكون أكثر تجرّدا وسرعة أثناء العَدْو فلا يستطيع أحد من الامساك به، فقد تُبطئ الثياب من عَدْوِه فيقوم بالقائها، يقول أبو خراش[٢٧]:

ورفعتُ ساقا لا يُخـــافُ عِثارُها
وطرحـتُ عـني بالعـراء ثيابي

ويصور لنا شاعر آخر كيف يشمِّر عن ثيابه ويكُفها أثناء الهرب، يقول مالك بن خالد الخناعي[٢٨]:

كَفَـتُّ ثَوبي لا ألوي علـى أحَـدٍ
إنّي شَنِئْتُ الفَتى كالبَكْرِ يُخْتَطَمُ

والكثير من الأبيات التي تُصوِّر لنا كيفية وضع ثياب الهُذلي أثناء العَدْو[٢٩]، مما يدلّ على أهمية خاصية العَدْوْ السريع في حياة الهُذلي، ولا نبالغ لو قلنا: بأنّ العَدْوَ كان يُعدُّ العصب الرئيسي في حياته، فعِبرِهِ يستطيع الهُذلي أن يقوم بمغامراته، وسلب القوافل، وأنْ يغزو من يشاء بلا خوف من أن يلحقه لاحق، أو يُمسكه مُمسِك، فكم من هُذلي نجا من المهالك والفضل يعود لقوة ساقيه ولِعَدْوِهِ السريع.

الصعلكة:

ظاهرة أخرى تُطالعنا في حياة الهُذليين أثّرت كثيراً على ذواتهم وجعلتهم مُهابي الجانب، يخشاهم الجميع خوفاً من بطشِهِم، ألا وهي ظاهرة الصعلكة التي اشتهرت هُذيل بها. فقد كان للجوانب الاقتصادية والجغرافية والاجتماعية عظيم الأثر في بروز وتنامي هذه الظاهرة، فالبيئة القاسية والمستوى المعيشي للقبائل البدوية، فضلاً عن حالات التنافر وعدم الوئام الاجتماعي، كلّها تركت أثرها في حياة الهُذلي وجعلت منه صعلوكاً يعيش على السلب والنهب. وقد أدت هذه الظاهرة إلى تخوّف القبائل الأخرى من جماعات الهذليين، وهذا التخوف ساهم إلى حدٍّ كبير في تضخّم الذات الهذليّة وجعلها ذاتاً مغامرة لا تخاف شيئاً، ولا هَمّ لها غير السلب والنهب وما تحتويه هذه الغارات من أحاديث المغامرات والمحن((لأن هذه المغامرات هي الحرفة التي قامت عليها حياتهم، والأسلوب الذي انتهجوه فيها لتحقيق غاياتهم))[٣٠]. لذا نجدهم حين ذِكِر هذه المغامرات في شعرهم، يتحدثون عنها ببالغ الإعجاب والفخر، ولا تفوتهم شاردة أو واردة أو تفصيل دقيق يمرّ بهم أثناء المغامرة إلّا وضمّنوه أشعارهم. وقد اشتهر من شعراء هذيل من الصعاليك جماعة كأبي خراش وحبيب الأعلم، وصخر الغيّ وعمرو ذي الكلب[٣١]. ولو طالعنا شعر هؤلاء الصعاليك لوجدنا الكثير من أحاديث المغامرات والحروب التي قاموا بها، فهذا عمرو ذو الكلب ينقل لنا كلام امرأة تعجبت منه كيف لم يُقتل بعد في أرض بعض البلدان، يقول[٣٢]:

ألا قـالتْ غَـزِيّةُ إذ رأتْنـي
ألَـم تُقتل بـأرضِ بني هِلال
أَسَرَّكِ لو قُتِلْتُ بأرضِ فَهْمٍ
وكـلٌّ قـد أبأتُ إلـى ابتهالِ
بَجـيلة دونَها ورِجـالُ فَهْمٍ
وهل لكِ لو قُتِلتُ غَزِيَّ مالِي

ويُطالعنا صخر الغَيّ بوصف بطولاته وما يمكنه أن يفعله بعدوِّه بعد أن بلغه تهديد بعضهم، فقام صَخر بتهديدهم أيضاً ووصف ما لديه من أسلحة من سيوف صارمة وقسيّ ورماح وتُرْس، يقول[٣٣]:

ذلـك بَـزِّي فـلن أُفَـرَّطه
أخـافُ أنْ يُنجِزوا الّذي وَعَدوا
فلسـتُ عبـداً لِمُوعِـدِيَّ ولا
أقبَـلُ ضَـيْما يأتـي به أَحَـدُ

وغيرها الكثير من النصوص الشعرية التي تتحدث عن المغامرات التي يقوم بها صعاليك هُذيل.

والمتتبع لشعر هذيل يجد أنّ غاراتهم وغزواتهم لم تكن بعفوية وبلا دراسة، وإنّما كان الهُذلي يقوم بمراقبة من يُريد غزوهم والاغارة عليهم وترصّدهم

بحالة أشبه بجمع المعلومات، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على الخبرة التي يملكها الهُذلي الحاصلة نتيجة تراكم الغارات والغزوات، فصار بصيراً بأمور الغزو والنهب، بحيث غدا لا يغزو إلّا بعد أن يقوم بدراسة المكان ورصد العدو.

وجاء اسم المكان الذي يتربّص به الهُذلي أعداءه ويجمع عِبْرَه المعلومات ب»المرقبة»، أي الموضع الذي عِبره يقوم بمراقبة عدّوه ورصد حركاته ليضمن أن تكون غارته ناجحة وبدون خسائر وتضحيات. وغالباً ما تكون هذه المرقبة مكانا عالياً يستطيع الهُذلي التخفّي فيه وجمع المعلومات دون أن يراه أحد. وفي الحقيقة تُشكل المرقبة((رمزاً للقوة فالارتقاء اليها ومراقبة السابلة فيها يحتاج إلى بطولة))[٣٤] ، إذ يصوّر لنا الشعراء صعوبة هذا المكان وكربته، وهذا الوصف للمرقبة المُشعر بالحالة السلبية لوضع الصعلوك فيها لعلها((تعكس الواقع الدوني التهميشي الذي عاشوه داخل قبائلهم والذي بقيت رواسبه في نفوسهم حتى بعد تصعلكهم وتشردهم))[٣٥] ، يقول عمرو ذو الكلب[٣٦]:

ومَـــرْقَبَةٍ يَـحارُ الطَّـــرْفُ فيـــها
إلـــى شَـمَّـــاءَ مُـــشْرِفـــةِ القَذالِ
أقَـمتُ بِـــرَيْدِها يـــوماً طـــويـــلاً
ولـــم أُشْـــرِف بـــها مثـــلَ الخَيالِ
ومَقْـــعدِ كُـــربةٍ قـــد كنـــتُ فيها
مكـــانَ الإصْـــبَعَـــينِ مـــن القِبالِ
فلســـتُ لحـــاصِنٍ إن لـــم تَرَوْنِي
ببَـطْنِ صَـــريحَـــةٍ ذاتِ النِّـــجَـــالِ

وشاعر آخر يصِف مرقبته وكم هي عالية ولا يوجد فيها ظِلٌّ ، ولم يكن فيها لوحده وإنما كان معه جماعته وهم شُعْثٌ غُبرٌ تلبّد شعرهم غير مترفين من كثرة الغارات التي قاموا بها، يقول أبو ذؤيب[٣٧]:

هذا، ومَـــرقَـــبَةٍ عَيـــطاءَ قَلَّـــتُـــها
شمّـــاءُ ضاحيـــةٌ للشمسِ قِرواحُ
قد ظَلْـــتُ فيها معي شُعثٌ كأنّهُم
إذا يُشَـــبُّ سَعـــيرُ الحَـربِ أرماحُ

أمّا صَخر الغيّ فقد رثى أبا المثلم ووصفه بأنه كان ممن يقوم بالمراقبة، وهذا يعني أن المراقبة كانت من الأمور الحسنة والممدوحة في مجتمع الصعاليك، يقول[٣٨]:

رَبّـــاءُ مَـــرقَبةٍ مَـــنّاعُ مَـــغـــلَبةٍ
رَكّـــــابُ سَلْهَبةٍ قَطّاعُ أقرانِ

ولم يَفُت صعاليك هذيل أن يتكلموا عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي البائس الذي يعيشونَ فيه والذي كان خلف كلّ عذاباتهم وحرمانهم وبؤسهم وشقائهم، ملتمسين من وراء هذا كله تفسير((الدوافع التي دفعتهم إلى تلك الثورة التي اشعلوها في وجه مجتمعهم، حتى تكون حركتهم التي وصفها مجتمعهم بالشذوذ قائمة على أساس معلل مسبب))[٣٩]. فقد كان الصعاليك على دراية بتلك العوامل التي دفعتهم للتصعلك والعيش على غزو القوافل. وكان الفقر من أبرز العوامل، فقد((أصبح الفقر عارا ونقصاً وعيباً في مجتمع عصر ما قبل الإسلام، وأصبح الفقير يشعر بنوع من الفجوة والاغتراب بينه وبين المجتمع))[٤٠]. وكان نتيجة الفجوة التي حصلت بين القبيلة وبعض افرادها، أن استعاض هؤلاء الأفراد عن هويتهم الأصلية المتمثلة بالقبيلة التي عِبرها يُعرفون بأخرى مصطنعة جاءت كردّة((فعل على الواقع التهميشي الدوني الإقصائي الذي عاشه الصعاليك الفقراء في

قبائلهم))[٤١]. وبسبب ما يُنتجه الفقر من آثار مؤلمة، تناوله شعراء هذيل بصور مختلفة، يقول صَخر الغيّ[٤٢]:

وذكـــرت اهـــــــلـــي بالـــعـــرا
ء وحـــاجةَ الشُّـــعـــثِ التَّـــوالِب
المُـــصـــرِميـــنَ مـــن التِّـــلا
دِ الَّلامـــحـــينَ الـــى الاقـــاربْ

فالشاعر بالرغم من عدم وجوده بين أهله، إلّا أنّ صورة الجوع لا تكاد تفارق خياله، وعلى البُعد تذكر جوع أهله وما يقاسونه من ذل وهم ينظرون إلى ما يجود به أقاربهم من طعام إنْ كانوا يذكرونه وليس حالهم كحال عياله! إذ أقارب الشاعر أيضاً من الصعاليك الذين لا طعام لهم إلّا القليل، أو لعله لديهم طعام إلّا أنّهم لا يذكرون عيال الشاعر بشيء، وهذا لعله ما تشير إليه لفظة «اللّامحين» فالعيال تترقب أن يأتيهم الأقارب بشيء، وهذا الجوع وعدم اهتمام المجتمع بالفقراء يؤدي إلى قطيعة بين المجتمع والفقراء، فالجفوة((التي يقابل بها المجتمعُ الفقيرَ تُشعره بضرب من الاحساس العميق بالعدمية في الحياة))[٤٣].

اشتيار العسل:

خاصية مهمة تُطالع كل من يتصفح شعر الهذليين وتلفت انتباهه وهي ظاهرة اشتيار العسل، فقد عُرف الهذليون بعملية جمع العسل من الجبال التي كانوا يستوطنونها ومن الوديان القريبة عليهم حتى غدت هذه الظاهرة سمة مميزة من سمات الهذليين، فقد كان بعض أفراد هذيل يشتار((هذا العسل ليتخذوا من بعضه طعاما، ويبيعوا أكثره فيعينهم على مجابهة هذه الحياة القاسية التي يحياها أمثالهم في البادية))[٤٤]. فكونت هذه الظاهرة ملاذا آمناً يلجأ إليه الهذليون هرباً من الفقر والجوع. والإنسان حين يأمن سطوة الجوع يكون قد كُفي مؤونة الطلب من القبيلة أو غيرها، فيكون حراً في أفعاله دون أن يخشى المحاسبة من أحد ما قد يضطر إلى تلبية رغباته وطلباته رغبةً لما في يده. ولذا نجد أنّ الهذليين لم يكن كلامهم وصفاً مجرداً لعملية جمع العسل فقط، وإنّما نشعر أنّهم ضمَّنوه بُعداً إنسانياً يعكس لك مقدار اللذة التي يحصل عليها الانسان بعد العمل بجهد وتعب.

إنّ اشتيار العسل من الممكن أنْ ننظر له نظرة مخالفة لكون تجميع العسل للغذاء فقط، فجمع العسل يخفي وراءه تطلعات الانسان للوصول لغايات عالية، فضلاً عن انتزاع الحياة من بين يدي الموت، فالعسل يُعبِّر عن الحياة فهو الغذاء، وقمم الجبال الخطرة المليئة بالنحل تمثّل الموت، وحين يقوم المشتار بجلب العسل من الجبال المنعزلة المحاطة بالموت يكون كَمَن جلب الحياة من بين براثن الموت وانتصر على المكان المملوء بالمخاطر، وسيكون مكان العسل حينها((من التجليات المكانية التي تتضح فيها جدلية الصراع بين الإنسان والمكان))[٤٥]. ولهذا يفخر على غيره لأنّه واجه المخاطر والصعاب وتحدّى المكان الذي يخشاه الكثير ويخافون الوصول اليه ونال مبتغاه. فجاءت عملية الاشتيار تعبيراً عن تلك الإرادة القوية التي يتحلى بها الهذلي في مواجهة المخاطر والموت من أجل أن يعيش كريماً مرفوع الرأس.

وأيضاً كان اشتيار العسل هبة طبيعية لهم مع ما مثله جمعه من ثورة على الاوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة وحرمتهم من الغذاء المناسب وألجأتهم

إلى الصعلكة والعيش في الجبال، وهي أيضاً تعبّر عن صراع بيئي – بيئي بين بيئة الجبال الوعرة التي يعيش فيها الصعاليك المغامرون ممّن رفضوا الحياة القبلية، وبين البيئة المنبسطة التي تعيش عليها المجتمعات الأخرى ذات الاقتصاد الجيد والحياة الناعمة، فيكون المشتار حين ينتصر على المخاطر ويجلب العسل فهذا معناه أنّ بيئته انتصرت على البيئات الأخرى.

ولأجل ما قدّمه العسل من خدمة جليلة للهذليين حَمَتهم من الهلاك جوعاً، وساعد على تضخم ذواتهم، فلم يُعدم شعرهم من وجود نصوص شعرية ركّزت على وصف عملية جمع العسل، وذكر المخاطر التي يواجهها المشتار، يقول أبو ذؤيب[٤٦]:

بأْرِي الّتي تَأْرِي اليَعاسِيبُ أَصْبَحَتْ
إلـى شـاهِقٍ دُونَ السَّمـاءِ ذُؤابُها
جَـوَارِسُها تـأْرِي الشُّعـوفَ دَوائِباً
وَتَنْـقَـضُّ ألْهـابا مَصِيـفاً شِعـابُها
تَظَلُّ على الثَّـمْراءِ منها جَـوارسٌ
مَراضِيعُ صُهْبُ الرِّيشِ زُغبٌ رِقابُها

ويمضي أبو ذؤيب في تصوير المخاطرة التي يمرُّ بها جامع العسل، يقول[٤٧]:

فلـمّـا رآهـا الخَـالِـديُّ كـأنّـها
حصى الخَذْفِ تَكْبُو مُسْتقِلّا إيابُها
أجَـدَّ بـهـا أَمـراً وأَيْـقَـنَ أنـّـه
لها أَوْ لِأُخـرى كالطَّحِينِ تُـرابُها
فـقِـيل: تَجَـنّـبَـها حَـرامُ وَرَاقَـه
ذُراها مُبِـينا عَـرْضُها وانتِـصـابُها
فَأَعْـلَقَ أَسْـبابَ المَـنِيّةِ وارتَـضَى
ثُـقُوفَـتَه إنْ لـمْ يَـخُنْه انـقِضـابُها

ثم يُكمل الشاعر وصفه لهذه العملية الخطرة وكيف يجمع المشتار العسل[٤٨]. فنجد في قصة مشتار العسل تصويراً رائعاً للجهد الإنساني في سبيل الحصول على اللذة والسعادة بعد رحلة الاستكشاف والمغامرة، إذ نجد المشتار يرتقي الأماكن العالية لأنه يعتقد أنّ الفوز بالعلوي السامي يتطلّب إعدادا نفسياً كبيراً[٤٩].

ويطالعنا شاعر آخر يتحدث عن جمع العسل والمخاطر التي تحيط بجامعه بطريقة تُشبه ما تحدّث عنها أبو ذؤيب، والوصف الذي ذكره الشاعر بيّنت لنا صورة تمثلت فيها كيفية((تحدي الانسان لوعورة المكان وصعوبة ارتياده في الحالة التي لا يمكن حتى للصقر القيام بهذه المهمة))[٥٠] ، يقول ساعدة بن جؤية[٥١]:

حتـى أُشِـبَّ لـها وطـالَ إيـابُـها
ذو رُجْـلـةٍ شَـثْـنُ البَـراثِنِ جَـحْنَـبُ
معه سِـقـاءٌ لا يُـفـرِّطُ حَـمـلَهُ
صُـفْـنٌ وأَخـراصٌ يَلُـحْـنَ ومِـسْـأبُ
صَـبَّ اللّـهِيفُ لها السُّبوبَ بطَغيةٍ
تُـنبِي العُـقابَ كـما يُـلَـطُّ المِجنَـبُ

فالشاعر لم يترك تفصيلاً لم يذكره، فقد وصف جامع العسل وجسمه ومكان العسل وما يحمل معه من أدوات، وفي أبيات لاحقة يذكر كيفية نزوله من الأعلى لجمع العسل، وحاله وهو يتدلّى بالحبل، ثم وصف العسل وطعمه[٥٢].

وهناك جمع من شعراء هذيل لم يتركوا الكلام عن النحل وصنع العسل وغيرها من الأمور التي لها مساس بالنحل، الأمر الذي يدلّ على الأثر الكبير الذي تركه اشتيار العسل في حياة الهذليين[٥٣].

ولعل هذا الوصف الحسي للعسل وتشبيه ثغر المرأة

به ورضابها ليس القصد منه ذكر بعض الحقائق عن النحل أو المُشتار، وإنّما الشاعر– وربما لا شعورياً – يرمز إلى تجارب انفعالية تجاه الوجود الإنساني((فالشاعر الجاهلي يتخذ الرمز أداة فاعلة عندما يريد أن يبوح بقضية تؤرّقه أو موقف يثبت فيه رؤيته تجاه أي حدث كوني))[٥٤]. فالشاعر حينما يذكر مقولة ما عن موضوع من الموضوعات فإنّه لا يفعل ذلك من أجل أنْ نعكف على البحث في مقولته تلك في ذاتها، بل هو يريد من وراء ما يقول أن يُثير في المتلقّي مشاعر معينة، فحين يذكر النحل وعسله وتشبيه ثغر المرأة به، لعل المراد الإشارة إلى صعوبة نيل بعض الاحتياجات في هذه الحياة وعدم يُسرِها[٥٥]، وهو بهذا يشير من طرف خفي لما تحمله حياة الصعلكة من معاناة ومخاطر وآلام، يقول أبو صخر الهذلي[٥٦]:

تَـطِيبُ ولَوْ بالمـاءِ نَـشْـوَةُ جِلْـدِها
إذا مـا اسْتَحَـمَّتْ والقَـلائِدُ والنَّـشْرُ
لها أَرَجٌ في البيتِ يَشْفي مِنَ الجَوَى
لذيـذٌ إذا لَـمْ تَبْـدُ لم يُخْـفِها السِّترُ
كـأنَّ علـى أنـيـابها مـن رُضـابِـها
وقَدْ دنتْ الشِّعْرى ولـم يَصدع الفجرُ
مُجَاجَـة نَحْـلٍ مِنْ قَـرَاسَ سَـبِيـنَةً
بشَـاهِقةٍ جَـلْـسٍ يَزِلُّ بها الغُفْرُ

يرى بعضهم إنّ أي قراءة جادة لا تستطيع أن تقنعنا إنّ هذا الوصف هو لطيب ثغر المحبوبة، إذ إن ذكره لجبل قَراس الوعر الذي حتى الغُفر تزلّ به خير دليل على كون كلام أبي صخر الهذلي واضحاً في أن العسل يرتبط بفكرة العمل المجهد المليء بالمخاطر والمغامرة[٥٧]، فكأنّ الشاعر لا شعورياً وجد في العسل ومكانه في شواهق الجبال وصعوبة الوصول إليه صورة مناسبة لوصف دواخله وعمله المُجهد.

من هذا كلّه نتوصل إلى أهمية ظاهرة اشتيار العسل في حياة الهُذليين بكل ما تحمل من مردودات مادية تمثلت بتوفيرها ما تحتاجه حياتهم من غذاء، أو معنوية ساعدت على كون شخصية الهُذلي شخصية متعالية على غيرها لما تتحمله من صعاب الحياة ومخاطرها، وعدم الركون إلى الدعة والاسترخاء، فكان أنْ ساعدت هذه المخاطر على خلق شخصية هذلية مغامرة لا تخشى أو تهاب شيئاً.

اكرام الضيف وإجارته:

لعل من أبرز العادات التي استحوذت على اهتمام العرب هي الضيافة، فاقراء الضيف من سمات العربي ومحطّ فخره، وهذا الأمر ليس مقصوراً على موسري العرب فقط، وإنّما تعداهم إلى الفقراء منهم، فالضيافة تُعد سمة من سمات العربي ومن مكونات شخصيته، يقول أبو ذؤيب[٥٨]:

فإنّـــك لـو ســاءلتِ عنَّا فتُخْبَـرِي
ذا البُزْلُ راحـــت لا تَدُرُّ عِشارُها
لنـــا صِرَمٌ يُنـــحَرنَ في كلّ شَتْوةٍ
إذا مـا سماءُ الناسِ قَـلَّ قطارُها
إذا حُـبَّ تَـرويحُ الـقُدُورِ فـــإنّنا
نُـروِّحُـها سُـــفعاً حَـــمـــيداً قُـتارُها

هذا نوع من الانتماء المتعالي للجماعة والفخر بفعالها، لذا فهو يطلب منها أنْ تسائل عنهم لترى كيف أفعال كرمهم، فحتى الأبل حين تشُحُّ على الناس باللبن بسبب الجدب مثلاً وتضيق الأرزاق عليهم نتيجة ذلك فإنّهم يلجؤون إلى جماعة الشاعر حيث يجدون الطعام الكافي لهم. ثم إنّ نحر الإبل وإطعام الناس بها ليس بالشيء الهين أو الذي يقدر عليه أي شخص،

وإنَّما فقط خيار الناس وعظماؤهم هم القادرون على ذلك. لذا تتضخَّم ذات من يقوم بالإطعام ويرى لنفسه الفضل على غيره ممن لم يستطيعوا فعل هذا الفعل، فيخرج اطعام الطعام من وظيفته الطبيعية «اقراء الضيف» إلى حالة التعالي على الآخرين ومحاولة اعجازهم.

ويتميز التغني بأمجاد الجماعة بتركز الاحساس على الذات الجمعية حتى تبدو وكأنّها مركز الوجود. فيقوم الشاعر بتأكيد هويته الجمعية عبر اظهاره لألوان الكرم التي تقوم بها هذه الجماعة.

والأنا الجمعية هي محور شعر الفخر الذي يُعدّ نوعاً من القاء الضوء على الأنا القبلية الجمعية في ماضيها وحاضرها، حتى كأنّ الأمر يبدو لنا بأنّ هناك اتحادا بين شخصية الشاعر والجماعة التي يمثّلها، ويتم الحديث بضمير الجمع في لحظات شعورية أقرب ما تكون انفتاحا إلى خارج الذات وتفاعلاً معها، وفي الفخر جانب جمعي أو نوع من جماعية السلوك، وفيه التصاق بالجماعة واحتماء بها ربما في مواجهة خوف فردي أو للتعبير عن مخاوف المجتمع[٥٩].

وهذا المعنى - اطعام الناس بكمية كبيرة ليس بمقدور أيِّ شخص - يؤكده حبيب الأعلم، إذ سادة القبيلة وكبارها هم من يجودون بالمال، وهم من يُطعمون الجياع وقتما تشُحُّ السماء بقطرها، فتجدب الأرض وتموت المزروعات، وبالتالي تضيق معائش الناس، يقول[٦٠]:

وإنّ السـيّد المعلـوم منّا
يجـود بما يَضـنّ بـه البخيـلُ
وإنّ سيـادة الأقـوام فاعـلم
لهـا صَعـداءُ مَطلعُها طويلُ

فالسيد هو من يجود بما يملك وقت ليالي العوز الحالكة، ولهذا أنْ يكون المرء سيّداً في قومه ليس بمتناول يد أغلب الناس، وإنَّما طريق السيادة دونه الكثير من الصعاب والمخاطر. وتحمل دلالة الزعيم في طياتها علو المرتبة والامتياز في المواهب، والسيد يمتلك رغبة وميلاً في التأثير على الآخرين والذي يُعد حافزا ذاتياً للتسلط والزعامة[٦١]. ومن الواضح إنَّ مَن يسود الناس - والناس تعرف أنَّه ليس من السهولة بمكان سيادة الأقوام - تكون ذاته متضخِّمة، والناس تنظر إليه على أنّه المعطي، والمنقذ، والمخلص وقت الضيق، فضلاً عن إنّ اضفاء صفة الكرم على شخص ما((تعني حاجة المجتمع إليها كمثل أعلى أكثر مّما تعني وجودها في الواقع))[٦٢]. وهذا يفسر لنا كثرة ذكر الضيافة والكرم في اشعار صعاليك قبيلة هُذيل مع عدم امتلاكهم لما يكفيهم من الطعام، فبالرغم من عيش الكفاف الذي يعيشونه في الجبال والصحاري معتمدين على غارات السلب والنهب التي يقوون بها، إلاّ أن الحاجة إلى ابراز صورة مثالية للكرم والضيافة تبقى مغروسة في نفوسهم، فيعبّرونَ عنها بما يشاؤون عبر شعرهم.

الصبر على الفَقْد:

وقد يختلط تضخيم ذات الجماعة مع اللوعة عليهم لفقدانهم، إذ بعد فقدهم يستشعر الشاعر مقدار الفراغ الذي تركوه ولم يستطع أحد أنْ يسدّ مسدّهم. وهذا النوع من الذكر المشوب باللوعة لم يكن اعتباطياً، إذ يُعد((رثاء الصعلوك لصعلوك آخر من مظاهر التمرد على العصبية القبلية، فهو إلى جانب تصويره لعاطفة الحزن واللوعة على المرثي، فإنّه يصور كذلك تعصب الصعلوك لأخيه الصعلوك))[٦٣].

يقول ابو خراش[٦٤]:

فـــقدتُ بني لُـــبنى فلمّا فَقَدتُـــهم
صـبرتُ ولـم أقــطـعْ عليهم أباجلي
حـسانُ الوجوه طـــيّبٌ حُجُزاتُهُم
كـــريمٌ نَثاهم غـيرُ لُـــــــفٍّ مَعــازِلِ
رمـاحٌ من الخطّي زُرقٌ نِصـالُها
حِدادٌ أعـاليها شِـــدادُ الأســـافلِ

صَبَرَ الشاعر على فقد بني لُبنى ولم يجزع عليهم ويتلف نفسه، ووصفهم بأنّهم حسان الوجوه، أهل عفة، كرام، كأنَّهم الرماح العوالي، هذه الصفات تحدثنا أنَّ هؤلاء القوم كانوا عزيزي الجانب قبل موتهم، مهابين من الجميع، لهم تأثير في مسيرة الحياة اليومية. ولعل حالة ندب الشجعان وذكر حالات بطولاتهم ومعاركهم نوع من استمداد القوة، ومحاولة لخلق حالة من التواصل معهم للشعور بأنهم لم يغيبوا عنهم، فيستلهمون من شجاعتهم، وتكون جماعتهم لم يُعدموا مشاركتهم، إن لم تكن الجسدية فالمعنوية عبر استلهام بقية أفراد الجماعة لبأسهم.

وتضخيم ذات الآخر لم يقتصر على الرجال فقط، فقد قامت نساء هذيل الشواعر بتضخيم ذات بعضهم كما يصنع الشعراء الرجال، ممّا يؤشر على غلبة اللغة الذكورية على المجتمع بحيث صار نظاما تتبعه حتى النساء، قالت جنوب[٦٥]:

وكلُّ من غالب الأيـــام من رجلٍ
مُودٍ وتابِـــعُه الشُـــبّان والشِّيبُ
أبلِـــغْ هُذيلاً وأبلِـــغ من يُبلِّغها
عنِّي رسولاً وبعضُ القَولِ تكذيبُ
بأنّ ذا الكلب عَمْراً خيرهم نَسَباً
ببطنِ شَريانَ يَعوي عنده الذِّيب

نلاحظ ممّا مرّ أنّ الشاعر الهُذلي لا يذكر قبيلته كثيراً إنْ لم يكن الذكر معدوماً، إذ كان هَمّ الهُذلي هو التغني بأمجاد جماعته أو ندب من يسقط منهم في الغزوات ومحاولة إعلاء ذاتهم وجعلها متعالية على ذوات الآخرين ومتميزة عنها، فالجماعة الذين قد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد هي أهم ما موجود عند الهُذلي، ولعل السبب يرجع إلى صعلكتهم التي حتّمت عليهم العيش بجماعات صغيرة غير منظّمة يتشاركون فيها غنائمهم وما يحصلون عليه من القوافل المارة، فقد فقدوا الإحساس((بالعصبية القبلية التي كانت الأساس في المجتمع الجاهلي، كما فقدوا إيمانهم بكل معاني القبيلة فناصبوا قبائلهم العداء ووجّهوا غزواتهم إليها، لأنّهم رأوا فيها ما يسيء إلى ذواتهم بدلاً من أنْ يحميها ويوفر لها الأمان، فأخذت ذات الصعلوك تقوم بدورها في تشكيل هويتها الفردية الخاصة والمتميزة التي تميزها عن الآخر/ القبيلة))[٦٦]. وهذا ما جعلهم يعيشون عزلة بين القبائل وحالة من النبذ الإجتماعي نتيجة حياة الصعلكة التي عاشوها، إلّا أنّ هذه العزلة قد افادتهم كثيراً، فقد كانت سبباً في نقاء لغتهم وفصاحتها فَكَثُرَ استشهاد أهل اللغة بها.

فالذاتية والتفرد هي المحور والأساس في حياة الشاعر الهذلي، ولا يعتني بغيرهما من انتماء قبلي وشعور بمسؤولية تجاه أفراد قبيلته، وإن كان هناك ثمة انتماء فهو للجماعة التي يرتبط معها الشاعر بمصالح معينة، ولهذا نلاحظ اختفاء التغني بأمجاد القبيلة لدى شعراء هذيل – عينة البحث - وحلّ محلّه التغني بأمجاد الجماعة والعُصبة التي ينتمي إليها الشاعر.

نتائج البحث:

١- يختلف معنى الفحولة في النقد الثقافي عنه في النقد الجمالي.

٢- لم يكن تضخيم الذات مقتصراً على الشجاعة والحرب، وإنما كانت له تمثلات في اكرام الضيف، والصبر على الفقد، كما أنّه كانت لها تمظهرات عِبر مجموعة ظواهر كان لها الأثر الاجتماعي المهم كالصعلكة واشتيار العسل.

٣- التجاء صعاليك هذيل للجماعة كان تعويضاً عمّا فقدوه من حماية القبيلة وعنايتها بهم.

الهوامش

١ - ينظر على سبيل المثال الفصلان الثالث والسابع من كتاب النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط٥، ٢٠١٢.

وينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٣، ص٧٩.

وينظر: الرجولة وأيديولوجيا الرجولة في الرواية العربية «الأعمال النقدية الكاملة»، جورج طرابيشي، دار مدارك للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٣،ج٣، ص٨٥.

٢ - المعجم النقدي لعلم الإجتماع، ر. بودون وف. بورّيليو، ترجمة: د. سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٦،، ص٢٥٢.

٣ - معجم الماركسية النقدي، جيرار بن سوسان و جورج لا بيكا، ترجمة: جماعة، دار محمد علي للنشر، صفاقس - تونس، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣، ص٥٣٧.

٤ - ينظر: النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، أدغار موران، ترجمة: د. هناء صبحي، دار كلمة، أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٩، ص١٩٦.

٥ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص٦٧.

٦ - ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين و محمود أبو الوفا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥،ج٢، ص٣٩.

الأبيات: قوم أُغير عليهم فنهنهوا عن أنفسهم أي ردّوا العدو. اعتطُّوا: شقُّوا. جيش الحمار: سمي كذلك لأنه كان هناك حمار يحمل متاعهم. شغشغة: حكاية لصوت الطعن. هيقعة: حكاية لصوت الضّرب. المعوِّل: العالة: شجر يقطعه الراعي فيستظلّ به. العضد: ما قُطع من الشّجر. الأزامل: الصوت المختلط. الغمغمة: الصوت غير المفهوم. حِسَّ الجنوب: صوتها.

٧ - شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، هاني نعمه حمزة، منشورات ضفاف، بيروت، دار الفكر، البصرة، ط١، ٢٠١٣، ص١٣١.

٨ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص٧١.

٩ - ديوان الهذليين، ج٢، ص١٣٢.

العدوة: الحملة. ذُؤيبة أو حبيبا: حيان من عجز هوازن. بزّي: سلاحي. العقبان: جمع عُقاب. خائتة: منقضّة. طَلوبا: تَطلُب الصَّيد. العَديّ: الحاملة. بنو حنيف: بعض من كان يُقاتل الهُذليين. ابني شَعوبا: قوم من بني ليث. فأثنوا: أثنوا علينا ببلائنا عندكم. النَّجو: السحاب. الجَنيب: الذي أصابته الجَنوب. السابق: سبق القوم فألقى عليه رداءه وأجاره.

١٠ - دراسات في الشعر العربي القديم، د. علي حسن جاسم، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١١، ص١٥٤.

١١ - ينظر: الشاعر والذات المستبدة، د. صالح زياد، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط١، ٢٠١١.

١٢ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص٦٧.

١٣ - ديوان الهذليين،ج٣، ص٢٥.

المقمطرَّة: الكالحة الشّنيعة. السّيد في كلام هُذيل: الأسد.

١٤ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص٧١.

١٥ - الشاعر والذات المستبدة، ص١٢٢.

١٦ - شعر المهمشين في عصر ما قبل الاسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، ص١٣٢.
١٧ - ينظر ورود هذه الظاهرة في شعر هذيل: ديوان الهذليين، ج١: ص٣٢، ص٨٣، ص١٠٢، ص١١٥، ص١٨٠، ص٢٣٤.
ج٢: ص٢٣، ص٣٩، ص٥٠، ص٨٥، ص١٣٠، ص١٣٢، ص١٣٣، ص١٣٤، ص١٣٥، ص١٤٠، ص١٤٤، ص١٤٧، ص١٦٩، ص٢٠٠، ص٢٣٧.
ج٣: ص١٢، ص١٥، ص٢٧، ص٣٥، ص٦٣، ص٦٧، ص٦٨، ص٨٣، ص١٠٥، ص١٠٩.
١٨ - البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨، ج١، ص١٧٤.
١٩ - فحولة الشعراء، عبد الملك بن قريب الأصمعي تحقيق: د. محمد عوده سلامة أبو جري، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤، ص٦٥.
٢٠ - ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص٨١.
٢١ - رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، د. مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧، ص٣٢٨.
٢٢ - ديوان الهذليين، ج٣، ص١٠٩.
شواحط: بلد. عباقية: شجرة. هريد: مشقوق.
٢٣ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د. ت، ص٢١١.
٢٤ - ديوان الهذليين، ج٢، ص١٦٨.
يشلون: يدعون. خنّاب: طويل. قضّاب: قطّاع. أقبّ: ضامر.
٢٥ - م، ن، ج٢، ص١٦٩.
٢٦ - الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: د. احسان عباس ود. إبراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٣، ٢٠٠٨، ج٢١، ص١٣٨.
ديوان الهذليين، ج٣، ص١٢٣.
القِبال: شَسع النَعْل.
٢٧ - ديوان الهذليين ، ج٢، ص١٦٨.
٢٨ - م، ن، ج٣، ص١٣.
كَفتُّ: شمّرتُ. لا ألوي على أحد: لا أقف ولا أنتظر. شنئتُ: أبغضت. البكر: أضعف الإبل. يُختطم: يُذل ويُؤسر.
٢٩ - للاطلاع ينظر: م، ن، ج٢، ص٧٨. ج٢، ص٨٣. ج٢، ص٨٤. ج٢، ص١٣٢. ج٢، ص١٤٤. ج٣، ص٩٧.
٣٠ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص١٨٢.
٣١ - ينظر: م، ن، ص١٦٢.
٣٢ - ديوان الهذليين، ج٣، ص١١٣.
٣٣ - ديوان الهذليين، ج٢، ص٥٧.
عزّ ما أجد: شدَّ ما اجد. الحِباب والحُبّ واحد. الزُؤُدُ: الذعر.
٣٤ - البناء الفني في شعر الهذليين دراسة تحليلية، د. اياد عبد المجيد إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، ط١، ٢٠٠٨، ص١٦١.
٣٥ - شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، ص١٦٠.
٣٦ - ديوان الهذليين، ج٣، ص١١٩.
يحار الطرف من بُعدها. شمّاء: عالية. القذال: الرأس. الرَيد: الحرف ينحدر من الجبل. ولم أُشرِف: يقول أقمت مستتراً ولم أُشرف لئلا أنكشف. مقعد كربة: يقول توسطتها كما يتوسط قبال النعل الاصبعين. الحاصن: العفيفة. صريحة: اسم موضع. نجال: النَّز.
٣٧ - ديوان الهذليين ، ج١، ص٤٩-٥٠.
عيطاء: طويلة. شمَّاء: مُشرفة. قِرواح: ليس فيها ظِل.
٣٨ - م، ن، ج٢، ص٢٣٨.
رَبّاء مرقبة: يربأ اصحابه في قُلّة الجبل. رَكّاب سَلْهبة: الفرس الجسيمة الطويلة.
٣٩ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص٢٢٩.
٤٠ - شعر المهمشين في عصر ما قبل الاسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، ص١٠٤.
٤١ - م، ن ، ص١١٠.
٤٢ - ديوان الهذليين، ج٢ص٨١.
التَّوالب: الجحاش الصغار من أولاد الحمير. المُصْرمين: المُخفِّين. اللّامحين إلى الأقارب: أي إلى من يأتيهم من الأقارب بشيء يأكلونه.
٤٣ - الخوف في الشعر العربي قبل الاسلام، خليل حسن محمد، منشورات دار دجلة، ط١، ٢٠٠٨، ص١٩٠.
٤٥ - هُذيل في جاهليتها واسلامها، د. عبد الجواد الطيب، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ١٩٨٢، ص١٠٢.
٤٦ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص١٦٤.
٤٧ - ديوان الهذليين، ج١، ص٧٥.
الأري: عمل النحل وهو العسل. شاهق: أعلى الجبل. ذؤابها دون السماء: أعاليها. جوارسها: أي النحل يأكل الثمر. الشعوف: أعالي الجبال. تنقضّ ألهابا: اللّهب: الشق في الجبل ثم يتسع في الطريق. الثمراء: شجر مثمر. مراضيع: صغار. صُهب الريش: أجنحتها.
٤٨ - م، ن ، ج١، ص٧٧.
الخذف: رمي الحصى بالكف، والنحل يشبه الحصى من صغره. تكبو: تزل من لين الجبل. مستقلاً ايابها: كلما استقلت في الجبل تكبو. ايابها: جماعتها. أجدّ بها أمرا: أحكم أمره. أيقن أنه لها: علم أنه سيدخل بيت النحل أو ينقطع به الحبل فيصير طحين كتراب الأرض. حرام: اسم الخالدي. ذُراها: أعالي العسل. مُبينا عرضها: عرض قرص الشهدة. فأعلق أسباب المنية: علّق حباله وتدلّى منها. ثُقوفته: أن النحل يأتي الجبل فيُعسِّل في ملقة «صخرة ملساء» في وسطه ملساء فيأتي من يشتار العسل فيصعد من وراء الجبل ويضرب وتدا في أعلاه ويتدلى منه حتى يصل للصخرة التي عليها العسل.
٤٩ - ينظر: ديوان الهذليين، ج١، ص٧٩-٨٠.
٥٠ - ينظر: جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص١٦٤.
٥١ - م، ن ، ص١٦٥.
٥٢ - ديوان الهذليين، ج١، ص١٨٠.

أُشِبّ لها: أُتيح لها. طال إيابُها: طال رجوعها. ذو رُجلة: صبور على المشي. جَحنَب: قصير. البراثن: الأصابع هاهنا، والبراثن لا تكون للإنسان. الشثن: الخشن. الصُّفن: شيء فيه أداته. أخراص: أعواد يُخرج بها العسل. المِسأب: السِقاء الضّخم.

٥٣ - ينظر: م، ن، ج١، ص١٨٠، ص١٨١، ص١٨٢، ص١٨٣.

٥٤ - وللاطلاع على ما ورد في شعرهم مما له علاقة بالعسل والنحل وتشبيه بعض الأمور به ينظر: م، ن، ج١، ص٣٦، ص٤١-٤٢، ص٨٧، ص٨٨، ص٨٩، ص١٢٢، ص١٤١-١٤٣، ص١٧٧، ص١٧٩، ص٢٠٧، ص٢٠٩-٢١٠.

ج٢، ص١١، ص٢٧، ص١٦٦، ص١٨٥.

٥٥ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، ص٨٠.

٥٦ - ينظر: الاسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين، د. محمد أحمد بريري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٥، ص٩٨.

٥٧ - شرح اشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكّري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العُروبة، القاهرة، ج٢، ص٩٥١.

قراس: جبل. جَلْس: طويلة. الغُفر: ولد الأُرْويّة.

٥٨ - ينظر: الاسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين، ص١١٣.

لا تُدرّ عِشارُها: لا تدر باللبن. نجتدي: نطلُب. صِرمٌ: قطعُ إبل. القتار: رائحة الشواء. نروّحها: نجيئهم بها وقت الرّواح. سفعا: سوداً.

٥٩ - أنماط المديح في الشعر الجاهلي دراسة فنية، ص٢١.

٦٠ - ديوان الهذليين، ج٢، ص٨٧.

٦١ - ينظر: الشاعر والذات المستبدة، د. صالح زياد، عالم الكتب الحديث، اربد-الأردن، ط١، ٢٠١١، ص١٠٩.

٦٢ - مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٨٥، ص٩٣.

٦٣ - شعر المهمشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، ص١١٧-١١٨.

٦٤ - ديوان الهذليين، ج٢، ص١٢٣.

الأبجل: عرقٌ في الرجل. طيّبٌ حُجُزاتهم: أعفاء. نثاهم: اي كرمهم متحدث عنه وشائع. لف: ثقيل. معازل: الذي لا سلاح معه.

٦٥ - م، ن، ج٣، ص١٢٤.

ذا الكلب عمراً: أخ الشاعرة جنوب. بطن شَريان: موضع قُتل فيه.

٦٦ - دراسات في الشعر العربي القديم، ص١٦٠.

المصادر والمراجع

١ - الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (ت٣٥٦هـ)، تحقيق: د. احسان عباس ود. ابراهيم السعافين وبكر عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط٣، ٢٠٠٨.

٢ - الاسلوبية والتقاليد الشعرية دراسة في شعر الهذليين، د. محمد أحمد بريري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٥.

٣ - أنماط المديح في الشعر الجاهلي دراسة فنية، د. حسنة عبد السميع، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٥.

٤ - البناء الفني في شعر الهذليين دراسة تحليلية، د. أياد عبد المجيد إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨

٥ - البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨.

٦ - جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجاً، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

٧ - الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام، خليل حسن محمد، منشورات دار دجلة، ط١، ٢٠٠٨.

٨ - دراسات في الشعر العربي القديم، د. علي حسن جاسم، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١١.

٩ - ديوان الهُذليين، تحقيق: أحمد الزين و محمود أبو الوفا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.

١٠ - الرجولة وأيديولوجيا الرجولة في الرواية العربية «الأعمال النقدية الكاملة»، جورج طرابيشي، دار مدارك للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠١٣.

١١ - رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية، د. مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.

١٢ - الشاعر والذات المستبدة، د. صالح زياد، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ط١، ٢٠١١.

١٣ - شرح اشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السُكّري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، مكتبة دار العُروبة، القاهرة.

١٤ - شعر المهمّشين في عصر ما قبل الإسلام دراسة على وفق الأنساق الثقافية، هاني نعمه حمزة، منشورات ضفاف، بيروت، دار الفكر، البصرة، ط١، ٢٠١٣.

١٥ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، د. ت.

١٦ - فحولة الشعراء، عبد الملك بن قريب الأصمعي تحقيق: د. محمد عوده سلامة أبو جري، مراجعة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٤.

١٧ - معجم الماركسية النقدي، جيرار بن سوسان و جورج لا بيكا، ترجمة: جماعة، دار محمد علي للنشر، صفاقس - تونس، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣.

١٨ - المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ر. بودون وف. بورّيليو، ترجمة: د. سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٦، ص٢٥٠.

١٩ - مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت - لبنان، ط٤، ١٩٨٥.

٢٠ - النقد الثقافي دراسة في الأنساق الثقافية العربية، د. عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - المغرب، ط٥، ٢٠١٢.

٢١ - النهج إنسانية البشرية الهوية البشرية، أدغار موران، ترجمة: د. هناء صبحي، دار كلمة، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٩.

الواقعُ اللغويُّ على شبكة التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) أنموذجا)

Linguistic reality on the social networking network (Facebook) Modeling.

أ.د. أَحْمَد جوَاد العتابيُّ م . م . مصطفى طالب خليف

Prof.Dr.Ahmed Jwad Al-Atabi

Mustafa Taleb Khalif

كلمات مفتاحية : لغة استعمالية / الازدواجيَّة اللغوية/ العربيَّة الفصيحةِ/ الفيسبوك .

ملخص البحث

إنَّ تزايدَ الاقبال على موقع التواصل الاجتماعيّ (الفيسبوك) المنتشرة حول العالم ترك لنا لغة استعمالية خاصّة بمستعمل هذا الموقع، وهي لُغة تعكس الواقع اللُّغوي لمتكلميّ اللُّغة العربيَّة عموما، وحال اللُّغة العربيَّة في ظل هذه التقنيات كتابة وخطاباً. تجليّ ذلك الخليط العجيب من لغة عربية مكسَّرة، ولهجات عاميّة غارقة بالمحلية، أو غارقة باستعمال العبارات الأجنبية أو الحروف اللاتينية. وقد هدفَ هذا البحث إلى رصد كثير من الممارسات اللغوية لدى مستعمل هذا الموقع الذي أشاع لغة خالفت اللغة العربية الفصيحة، والوقوف على أشكال التعامل اللغوي الذي تمثّل بوجود مظاهر الثنائية اللغوية، والازدواجيَّة اللغوية، والضعف اللغوي الكبير في مستويات اللغة المعجمية والصوتية الصرفية والتركيبة. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج وقدّمها بمثابة مقترحات لتسهم في اصلاح الواقع اللغوي ومعالجته داخل الموقع الالكتروني.

Abstract

The increasing popularity of the social networking site (Facebook) around the world has left us with a special language used for the user of this site، a language that reflects the linguistic reality of the speakers of the Arabic language in general، and the state of the Arabic language under these techniques in writing and speech. This exemplary mixture of Arabic is broken، with slang dialects soaked in locality، or soaked by the use of foreign phrases or Latin letters. The aim of this research is to monitor many of the linguistic practices of the user of this site، which spread the language that violated the eloquent Arabic language، and to identify forms of linguistic interaction، which was represented by the manifestations of bilingualism، and linguistic duality، and significant linguistic weakness in the levels of lexical and morphological language and composition. The research has reached a number of results and presented as suggestions to contribute to the reform of the linguistic reality and processing within the website.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبي الرحمة، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأخيار المنتجبين .

أمَّا بَعدُ:

فإنَّ اللُّغةَ هي أداةُ التواصل الإنسانيّ على اختلاف أشكاله، وهي انعكاسٌ لفكر الإنسان وحضارتهِ، فبانحدار الفِّكر تنحدرُ اللُّغة ، وتزدهر بازدهارِهِ، وهي أصواتٌ يعبّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم ـ كما يقولُ ابن جنيّ ـ [1]، يستعملونها فيما بينهم مهما تقدَّم العلم، وتنوَّعتْ وسائلُ الاتّصالِ وتقنيَّاتُهُ.

إنَّ تنوّعَ وسائل الاتّصال وتعدّد تقنيّاتِهِ لاسيّما مواقع التّواصل الاجتماعيّ عكستْ لنا واقع اللُّغة العربيَّة فيها من خلال النّصوص المكتوبة ممّا تشير صراحة إلى الواقع المأساوي للُّغة العربيَّة، ولمتكلميّ اللُّغة العربيَّة. وأصبحَ أداءُ اللُّغة العربيَّة في هذه المواقع، و(الفيسبوك) تحديدًا يُقصِّر عن استكمال مظاهر الصَّواب، حتى صار ليس بمقدور المستعملين مجانبة الخطأ اللغوي على مختلف أشكاله، وليس بمقدورهم مجانبة العاميَّة في حواراتهم المنطوقة والمكتوبة عبرَ هذه المواقع. وهذا يفضي إلى حقيقةِ احتضارِ العربيَّة الفصيحةِ بممارسات لغويَّة تختلط فيها الثنائيّة والازدواجيّة والهجين اللّغويّ لمستعملين غالبيتهم لا يتقنون جزءًا يسيرًا من قواعد العربيَّة.

جاء هذا البحث لرصد واقع اللُّغة على أحدِ مواقع التواصل الاجتماعيّ (الفيسبوك) من خلال متابعة ما يأتي:

١ـ وقعَ الاختيار على (الصفحات) الشخصيَّة لبعض المستعملين ممَّن يحاول أنْ يكتبَ باللُّغة العربيَّة الفصيحة، أو يمزج بين الفصيحة والعامية. وكان اختياري لهذا الصفحات؛ لكون أصحابها ينشطون بكثرة على الموقع، فضلاً عن تحصيلهم العلميّ. وقد اختلفت أعمارهم ومستواهم الثقافي، فكان الاختيار يمثّل عينة متنوعة من الناشطين على مختلف المجالات، مثل: الصَّحفيّ، والأستاذ الجامعيّ، والمدرِّس، والطَّالب، والموظَّف في مختلف المؤسسات، وغير الموظف ممّن يستعملون الموقع، ومن كلا الجنسين.

٢ـ وقع الاختيار في رصد اللُّغة على جملة من المجموعات أو فيما يصطلحون عليه بـ (كروب = GROUP)، التي ينشطُ فيها كثير من المستعملين في إبداء الآراء والتعليقات والمشاركات، واقتصرت في اختياري على المجموعات التي تهتم بنشر الثقافة والابداع. أو تلك المجموعات الخاصة بحملة الشهادات العليا، وهذه المجموعات على النحو الآتي[2]:.

- (كروب) أساتذة ومثقفون.
- التحضير للدراسات العليا داخل العراق.
- ثقافة العزف على أوتار الحروف.
- (كروب) جامعة بابل قسم اللُّغة العربيَّة.
- رابطة القلم الحر للمثقفين الشباب.
- شباب وبنات كلية التربية الجامعة المستنصرية.
- (كروب) شباب وبنات cute.
- علمانيون وديمقراطيون أحرار.
- مجموعة أدباء، مثقفون، شعراء، مفكرون، مترجمو العراق.
- المطالبة بالتعيين المركزي لحملة الشهادات العليا في العراق.
- المطالبة بتوسيع المقاعد لحملة الدراسات العليا ٢٠١٤ـ ٢٠١٥م.
- ملتقى طلبة الدراسات العليا في العراق.

كانت الرغبة في دراسة لغة هؤلاء الأشخاص فيما ينشرون من منشورات تُعبِّر عن مستواهم اللُّغويِّ.

٣ـ وقفت على جانب من التعليقات ولم أقتصر على

المنشورات فقط.

٤ـ لم تُحدد مدَّة البَّحث بزمن معيَّن، وإنَّما كان الرَّصد في أوقات متعددة، وذلك لأمرين، أحدهما: يتعلَّق بصعوبة حصر المنشورات في موقع (الفيسبوك)، إذ إنَّ في السّاعة الواحدة تُنشرُ آلاف المنشورات ممَّا لا يمكن حصرها ضمن هذا البحث. والآخر: يتعلق بالباحث؛ إذ لم يكن بمقدوري الجلوس ضمن مدَّة زمنيّة محدّدة لرصد واقع اللُّغة على (الفيسبوك)؛ لانشغالي بالدراسة والتدريس في مجال عملي.

والله الموفق للصواب

مَدخلٌ تعريفيّ لمفهوم (الفيسبوك):

هو موقعٌ على الانترنت يتيح لمستعمله التَّعرُّف والارتباط بأصدقاء من كلا الجنسين وعمل مجموعات، أو مشاركة مجموعات موجودة على الموقع مع امكانية مشاهدة صور المشتركين[٣]. إنَّ عبارة (facebook) مكونة من كلمتين(face) التي تعني: وجه، أو سطح، أو مظهر. و(book) التي تعني كتاب. وقيل إنَّ عبارة (facebook) تشير إلى أنَّه دفتر يحمل صورًا ومعلوماتٍ لأفراد أو مجموعة[٤].

قام بتصميم هذا الموقع طالب أمريكي يدعى (مارك غوكيريبرغ) في عام ٢٠٠٤م عندما كان طالبًا في جامعة هارفرد، وكان هدفُهُ من انشاء هذا الموقع واضحًا، هو تصميم موقع على الانترنت يجمع فيه زملاءه في الجامعة يمكنهم من خلاله تبادل الأخبار والمعلومات والصور والآراء. وقد لقيَ رواجًا بين طلبة الجامعة مّما شجّعه على توسيع القاعدة ليشملَ جامعات أخرى، واستمر هذا الأمر لمدّة عامين، ثم عمل على توسيعه ليصبح موقعًا عالميا عاما يفتح بابه لكلِّ من يرغب في الاشتراك به، فكانت النتيجة أنْ بلغ عدد المشتركين في هذا الموقع في عام ٢٠٠٧م ما يزيد على الستين مليون مشترك[٥].

ويرتبط الأشخاص عبر هذا الموقع عادة بأحد العناصر الآتية:.

١- حساب شخصيّ معيّن لمشترك يتجاوز عمره ثلاثة عشر عاما.

٢- مجموعة من الأشخاص ضمن ما يسمّى بـ(كروب= group) .

٣- صفحة (page) لمؤسسة أو منتج.

ويرتبط الأشخاص فيما بينهم بعلاقات صداقة(friend)، ويرتبط الأشخاص مع المجموعة بعلاقة عضو (member)، ويرتبط الشخص مع الصفحات بعلاقة اهتمام(like). وبناء على هذه العلاقات يطَّلع مستعمل (الفيسبوك) في الصَّفحة الرئيسة على أخبار ومشاركات من يرتبط معهم بعلاقة[٦].

إنَّ هذا الموقع قائم على نظام عالميٍّ يتواصل النَّاس من خلاله فيما بينهم، ويعتمد على أداة أساسيَّةٍ في التواصل وهي اللُّغة ، فهو نظام وسيلته وأداته التواصليَّة اللُّغة .

يُعدُّ (الفيسبوك) من أكثر مواقع التّواصل الاجتماعيّ على مستوى العالم شهرة، والأكثر تطورًا ووصولا إلى الفئات والقطّاعات في أنحاء العالم كافّة، فهو وسيلة تلبّي حاجات المستعملين بسرعة فائقة، حتى عُدَّ من وسائل الاتصال التي فتحت عصرًا جديدًا من عصور الاتصال والتفاعل بين سكان الكرة الأرضيَّة، ووفرت المعلومات والمعارف التي تقدِّمها لمستعمل هذه الشبكة. لكن في مقابل ذلك له الأثر الكبير في الهويَّة الاجتماعيَّة والوطنيَّة، وفي الروابط الاجتماعيّة داخل المجتمع الواحد، فضلاً عن المخاوف الجسديَّة والنفسيَّة التي قد تُحدِثها هذه الشَّبكات، خصوصًا أنَّ الشَّريحة التي

تستعمل هذه الشَّبكات هي شريحة الشَّباب بنسبة كبيرة، ممَّا تؤثِّر على تفكيرهم وثقافتهم الموروثة. وقد تباينت مواقفُ الناس من استعمال(الفيسبوك) بين مُرحِّب لهذا الموقع، وبين رافض له، وبين متوسط، وتتضح هذه الآراء من خلال استطلاع للرأي أجرته الباحثة فهيمة سعد خلف الرشيدي في بحثها المنشور على الانترنت بعنوان « تأثير اللُّغة على مواقع التَّواصل الاجتماعيِّ ايجابياتها وسلبياتها» وتوصَّلت إلى وجود ثلاثة اتجاهات[٧]:.

- الاتجاه الايجابيِّ أو المؤيد، والذي يرى أنَّ وسائل الاتِّصال الحديثَّة قد قدَّمت لنا خدمات لم يسبق لها مثيل، فقد عملت على توفير الوقت والتَّكاليف مع تنوِّع الخدمات وجودتها؛ وذلك على مُختلف المستويات، وفي جميع القطاعات. فَقَصَّرتْ المسافات ورَفَعتْ الحواجز بين الأفراد والجماعات. وحوّلت العالم إلى قرية صغيرة يتواصَّل أهلها بكلِّ مرونة ومن دون حواجز، وبسرعة فائقة. فبفضل التقدُّم الذي عرفه التَّواصل عمَّ الحوار، وزادت حُريّة التعبير، فانتشرت عمليات التثقيف والتوعيَّة، وحُدَّت كثيرا من مظاهر التخلُّف كالأمية والجهل وساد التعاون والتكافل وتبادل الثقافات.

- أمّا أصحابُ الاتجاه السلبيِّ أو الرافض، فيعدُّون وسائل الاتصال مصدرًا لمجموعة من المشاكل، مثل: التَّفكُّك الأُسري. فبحسب وجهة نظرهم، قد تباعدت الأسرة وتشتت داخل البيت الواحد. فلم يَعدُ أفراد الأسرة الواحدة ينعمون بتلك الاجتماعات المطوّلة، وما يتخلّلها من تبادل الآراء والتشاور والتخطيط والاحتفال والمرح .وانشغال الأطفال والشَّباب عن الدِّراسة، ممّا أدّى إلى تراجع مستوى التحصيل، وتدنّي العلامات المدرسية، وانتشار الغش. والتخلي عن المطالعة، وتجاهل قيمة الكُتب والاكتفاء بالإبحار عبر المواقع الالكترونية للوصول إلى المعلومة. والادمان على مشاهدة المواقع الإباحيَّة ممّا أثَّر سلبًا في مجموعة من القيم والأخلاق، وتسبّب في تزايد الصراعات بين الأزواج، وانتشار أفكار جديدة عن طريقة وطبيعة الزواج والأسرة. والتأثر ببعض الأفكار المتطرِّفة المشجِّعة على الإرهاب والعنف. فضلاً عن كون الأجهزة الالكترونية التي تشكّل خطورة كبيرة على صحة وسلامة مستعملها، وتساهم في تلويث البيئة بشكل كبير لسرعة التجديد في الإنتاج وما يرافقه من التخلي عن الأجهزة السابقة التي تصبح عبارة عن نفايات مشعة وصلبة.

- أمَّا الموضوعيون فهم الذين يتميزون في كونهم ينظرون إلى المسألة من زوايا متعددة. ففي الوقت الذي يقرون بأهميَّة ثورة الوسائط الإعلامية والتواصليَّة لا يغيب عنهم وجود مجموعة من السلبيات التي لا يتطلعون إليها بنفس منظار المعارضين، وإنَّما يَعدُّونها من المسلّمات، ويشبّهونها بأعراض أو مضاعفات الأدوية. ـ على حدِّ قولهم ـ لا نستطيع الحُكم قطعاً بأنّ وسائل التواصل الحديثة نعمة أو نقمة إلاّ بعد معرفة الشَّخص المُستخدم لهذه الوسائل الالكترونية ومعرفة اهتماماته وتوجهه أيضاً.

ولابدَّ من إثارة تساؤل مهم وهو: ما حال اللُّغة في موقع (الفيسبوك) كونها الأداة الأساسية للتواصل بين الأشخاص في هذا الموقع؟. وما مستوى الأداء اللغوي فيه؟. وما الأسباب الموجبة لهذا الأداء دون غيره؟، وما أشكاله؟.

إنَّ اللُّغة العربيَّة كانت تُعامَل باحترام حين كانت الأُميَّة سائدة في المجتمع إذ شملت ما متوسطه ٧٥٪ من السكان، وحين كانت الأوضاع الثقافية ووسائل الطباعة والنَّشر والتواصل أكثر تواضعًا مّا هي عليه الآن، ولكن حين تراجعت نسبة الأُمية وعمَّت المدارس

والجامعات وتقدَّمت وسائل الطباعة والنَّشر كان واقع اللُّغة العربيَّة عند مستعمليها متراجعًا يعكسُ صورة الضَّعف اللغوي عند الناس[٨]، وهذا ما نجده واضحًا في كتابات المستعملين لموقع (الفيسبوك)، بعدما أصبح الموقع من أهم الوسائل المعاصرة لتداول المعلومات بين الأفراد والجماعات. ووصل إلى المؤسسات والدوائر والمدارس والبيوت[٩]. وأحسبُ أنَّ هذا الضَّعف اللغوي يرجع إلى أسباب كثيرة، منها:.

١ـ إنَّ موقع (الفيسبوك) موقع مجاني فتح الباب على مصراعيه لكلِّ شخص تجاوز عمره الثلاثة عشر عامًا، وهذا بطبيعة الحال يفتح المجال لكلِّ من يرغب بالتَّواصل عن طريق هذه التقنية كبيرًا كان أم صغيرًا، متعلمًا أم غير متعلم.

٢ـ إنَّ عدد الأفراد الذين ينشطون بشكل مستمر ـ وبحسب الاستطلاع الذي أجريته[١٠]ـ هم الشباب المراهق ممّن تتراوح أعمارُهم ما بين ١٣ ـ ٣٠ سنة، وبنسبة تفوق ٦٠٪. كان غالبيتهم دون سن العشرين. ممّا نتج عنه وجود أمرين:.

الأول: إنَّ مستعملي موقع (الفيسبوك) ممّن تتراوح أعمارهم ما بين ١٦ ـ ٢٢ سنة، لم يكتمل تحصيلهم الدراسيّ، ولم يكونوا مختصين بدراسة اللُّغة العربيَّة، ممّا يؤدي إلى جهلهم بقواعد اللُّغة العربيَّة وعدم امكانية تطبيقها في مكاتباتهم، لاسيما أنَّهم في شتى مجالات الحياة يتكلمون لغة غيرها، وهي اللُّغة اليومية الدارجة على ألسنتهم ممّا يجعل اللُّغة العربيَّة غريبة عليهم، ومن ثمَّ فإنَّ جنوح الفرد إلى اللُّغة العامية من أفضل الطرائق لديه؛ كي لا يخرج عن المألوف في حواره مع أصدقائه المتكلمين بالعامية، فيكون بنظرهم (متمنطقا) فيما لو تكلم اللُّغة الفصيحة وهو يخاطبهم. وقد توصلت دراسة[١١] إلى أنَّ أكثر من ٥٠٪ من سكان الوطن العربي لا يتقنون اللُّغة العربيَّة بشكل جيد، وهذه النسبة تفصح عن مأساة كُبرى، وتُنبئ بحتمية ضياع اللُّغة كلَّما تقدَّم الزمن. وهي نسبة تدفع ـ بالضرورة ـ متكلِّم العربيَّة إلى اتخاذ لغة التخاطب اليومي أداةً للتواصل يتحدَّثُ بها، وبطلاقة اللسان.

الثاني: كان لتقنية الاتصال الحديثة سطوتها وعولمتها وتأثيرها في المستخدمين الشَّباب، قرَّبت لهم البعيد، ومكَّنت لهم الاطلاع على الثقافات الأخرى، والتأثر فيها والانجذاب لها، ومحاكاتها، خصوصًا أنَّ هذه الثقافات كانت بلغاتٍ عالمية مَدَّت جناحها على مساحات واسعة على الكرة الأرضية بفضل العولمة اللغوية. ممّا أبعَدَهم عن اللُّغة العربيَّة الفصيحة. ونتج عن هذا التواصل عبر هذه الموقع (الفيسبوك) ظهور لغة خاصة بالموقع يمكن تسميتها باللُّغة (الفيسبوكية) انتشرت بشكل واسع، وأوجدتْ بعض المصطلحات التي أصبحت من ابتكار الموقع نفسه، مثل استعمال الكلمات المرمّزة والمختصرة، أو اختصار بعض الكلمات مثل (ع.) الذي هو اختصار لحرف الجر «على» ، أو استعمال الرمز (هههههه) الذي يدلُّ على ضحك المستعمل للموقع أثناء خطابه مع شخص آخر، أو الرمز (امممممم) الذي يشير إلى القبول أو الودِّ أو الحُبِّ، أو تكرير بعض حروف الكلمة للدلالة على الارتياح أو الإعجاب أو الاحترام.....الخ، ممّا يُكرَر من حروف الكلمة لتحميلها شحنة عاطفية من العيار الثقيل، مثل: رااااائع، هلاااااااو، وااااااو[١٢]..

٣ـ من أسباب تدنِّي اللُّغة العربيَّة على موقع (الفيسبوك) يرجع إلى الموقع نفسه إذ لم يخطط له تخطيطًا وسياسة لغوية حاسوبية تعتمد على لغات رسمية تتيح للمستعمل استعمالها وتشفير ما سواها، بمعنى آخر: كان لابُدَّ لهذا الموقع أنْ يستحدث برمجة تقبل ما كان من النصوص مكتوبا باللُّغة التي تتعرف على جهاز الكومبيوتر، وتشفّر

كل نص لغوي غير معرَّف على برامج الكمبيوتر، ممّا يجعل مستعمل الموقع يكتب باللُّغة العربيَّة الفصيحة أو غيرها من اللغات التي تقبلها برامج الحاسوب.

٤ـ من أسباب تدنِّي واقع اللُّغة العربيَّة احساس مستعمل (الفيسبوك) بعدم وجود رقابة لغويَّة مركزيَّة ترصد له الخطأ إذا أخطأ، وهذا الاحساس أباح له استعمال الأنماط اللغوية التي يشاء، فطغت النصوص المكتوبة باللُّغة العامية، وصار المتقن للعربية الفصيحة يكتب باللُّغة العامية، ولا يخشى أحداً؛ لأن الواقع اللغوي على الموقع طغت فيه الازدواجية اللغوية، وغيرها من الظواهر اللغوية.

٥ـ من الأسباب التي أدَّت إلى تدني مستوى اللُّغة العربيَّة هو طغيان العولمة الاعلامية واجتياحها لثقافات الشعوب الأخرى، وطغيان القوة العلمية لبعض الدول الأجنبية التي صدرت لغتها عن طريق تقدّمها العلمي.

٦ـ من الأسباب أيضًا ضعف مستوى الأداء اللغوي، وضعف عملية التعليم في المدارس وغيرها ، إذ أخذت تدرّس العلوم واللُّغة العربيَّة باللهجة العاميَّة في المدارس وحتى الكليات، ممّا أدَّى إلى قتل اللُّغة العربيَّة، وانتشار اللُّغة العامية وتفحّلها، فضلًا عن سيادة بعض اللغات الأجنبية الأخرى، مثل: الفرنسية في المغرب والجزائر وتونس، والانجليزية في دول الخليج[١٣].

فهذه الأسباب وغيرها أدت إلى عدم استقرار واقع اللُّغة العربيَّة في موقع (الفيسبوك) على نمط معين، بل ظهرت الكثير من الظواهر اللغوية لدى المستعملين، مثل استعمال العامية، أو الفصيحة المغلوطة، أو الازدواجية، أو الثنائية، أو غير ذلك. ويمكن تقسيم هذه الظواهر على النحو الآتي:.

أولا: ظاهرة الثنائية.

الثنائية ترجمة للمصطلح الانجليزي (BILINGUALISM) وهي مركبة من السابقة اليونانية (BI) التي تعني: مثنى، أو ثنائي، و (LINGUAL)، بمعنى: لغوي، واللاحقة (ISM) التي تدلّ على الصفة أو الحالة أو السلوك المميز. وبترجمتها مجتمعة تعني: سلوك لغوي مثنى[١٤].

وقد عُرِّفت الثنائية بتعريفات متعددة دارت حول معيار واحد وهو اجادة اللغات، فمن ذلك رأي بلومفيلد بأنَّها اجادة الفرد التامة للغتين[١٥]. وعرّفها محمد علي الخوليُّ تعريفًا أكثر دقة وشمولية، إذ ذهب إلى أنها استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الاتقان، ولأية مهارة من مهارات اللُّغة ولأي هدف من الأهداف[١٦].

وذهب «ماريو باي» إلى أنَّ الثنائية يراد بها: أنْ ((يتكلَّم فرد أو مجموعة ما لغتين أو أكثر على درجة واحدة تقريبا. وإنَّ ثنائية اللُّغة من السهل تحقيقها حينما تكون اللغتان مستعملتين جنبا إلى جنب منذ الطفولة المبكرة وبشرط أنْ تستمرا إلى فترة متأخرة))[١٧]. وإنِّما أوردت هذه التعريفات لبيان حقيقة سيكشفها البحث عمّا قريب.

إنَّ هذه الظاهرة قديمة قدم الحياة البشرية، وقدم التجاور بين مجتمعات البشر، نمت وتطورت بمرور الزمن، وأخذت تتوسع لكثرة وسائل الاتصال بين المجتمعات المختلفة. ولظهور الثنائية وانتشارها أسباب كثيرة[١٨]. منها الهجرة الجماعية لأسباب اقتصادية أو دينية أو سياسية، وهذه حاصلة بكثرة فتضطر الجماعة المهاجرة إلى الانصهار مع المجتمع الآخر والتعامل بلغته ممّا ينتج عن ولادة لغة جديدة مضافة إلى لغتهم، ومنها الغزو العسكري الذي يفرض سيطرته ولغته على أهل البلد المحتل، ومنها الالحاق والضمّ عندما تقوم دولة من الدول بضمّ دول أخرى تحت سلطانها. ومنها الحسّ القومي عندما تكون أكثر من قومية داخل دولة واحدة

وتحرص كل قومية بالحفاظ على لغتها، ومنه الزواج والمصاهرة كالعربي حينما يتزوّج من غير العربيَّة ينتج عن ذلك أن تظهر لغتان لدى الطفل، لغة الأم ولغة الأب مّما يولّد ثنائية اللُّغة عند الطفل، ومنها العقيدة والدين الذي يأتي بلغة بلد معين، ويفرض هذه اللُّغة على كل من يعتنق هذه الديانة ممّن هو أجنبي فيضطر إلى تعلّمها. وغير ذلك من الأسباب.

وتأخذ الثنائية شكلين أو نمطين، أحدهما: ثنائية فردية خاصة بالأفراد الذين يمتلكون لغتين ويتحدثون بها بشكل جيد. والآخر: ثنائية مجتمعية عند شريحة من المجتمع تستعمل بلغتين اثنتين[١٩].

ويمكن أنْ نضيف سببًا آخر لشيوع هذه الظاهرة وتأثيرها سلباً في اللُّغة الأصل، وهو التطوّر الحاصل في وسائل الاتصال التي فرضت وجود الثنائية وطغيانها في الاستعمال اللغوي، فمن الملاحظ أنَّ كثرة هذه الوسائل وتنوّعها قد أثّر بشكل سلبي على اللُّغة الفصحى في التواصل اللغوي عبر مواقع التواصل الاجتماعي بين مختلف الأفراد المستعملين لهذه التقنيات المنتشرة بشكل بارز من خلال الحاسب أو الجوال، وخصوصًا الأخير الذي أصبح في متناول الأطفال وسيلة للترفيه. وقد رُصد[٢٠] وجود ظاهرة الثنائية على موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) بما يقارب نسبته ٦,٥٪ من النصوص اللغوية التي يستعملها المستخدمون لهذا الموقع (الفيسبوك)، وهي نسبة تختلف كثيرًا عن تلك الدراسة التي توصَّلت إليها الجامعة الأردنية ، فقد بلغت نسبة المشاركات في موقع(الفيسبوك) ١٤٪ من المشاركات الاجمالية[٢١]. وقد لاحظت من خلال الرصد اللغوي أمرين:

١- وجود أشخاص يتقنون لغة ثانية غير لغتهم الأم وهذا يفسّر وجود ثنائية الاستعمال في شبكة التواصل[٢٢].

٢- وجود ممارسات لغوية تعتمد على مزج اللُّغة العربيَّة بكثير من المفردات غير العربيَّة سواء أكتبت بلغتها الأم أم بالحرف العربي ، مثل : (هلاو، هاي، باي، بيباي، لايك، نايس، لوود، أوكي، شير) وأحسب أن هذه الممارسات من قبل الشباب الذين أُولعوا بلغات أخرى غير العربيَّة وهم غير متقنين لتلك اللغات لكنهم يحفظون ببعض المفردات واعتادوا على ترديدها في الاستعمال اليومي[٢٣]. وهذا النوع من الاستعمال اللغوي لا يمكن أنْ يندرج تحت ما يسّمى بالثنائية اللغوية لما عرضناه سابقا من تعريفات للثنائية توجب إتقان الفرد أو الجماعة لغتين أو أكثر على مستوى واحد. وإنما يسمّى هذا النوع من الاستعمال ـ أي: استعمال مفردات من لغة أخرى ضمن التواصل في اللُّغة العربيَّة ـ بالتهجين اللغويِّ. ويندرج تحت مفهوم التهجين لا تحت مفهوم الثنائية؛ لأنَّ التهجين يقصد به: ((استعمال ألفاظ من لغة أجنبية داخل النص العربي المكتوب مرسومة بالأحرف اللاتينية أو بالأحرف العربيَّة، أو كليهما معا))[٢٤]. وهذه الظاهرة ـ أعني التهجين ـ بارزة في موقع التواصل الاجتماعي، وتتضح على النحو الآتي:.

١- استعمال المفردات الانجليزية إلى جانب اللُّغة العربيَّة، وما يثير الاستغراب ما نلحظه من ولع متكلم العربيَّة في استعمال مفردات لغوية انجليزية أو فرنسية مع غنى العربيَّة الفصحى بالمفردات المعبرة عن حاجات العصر. وأحسب أن سبب ميل الأشخاص في موقع التواصل إلى استعمال هذه المفردات راجع لشيئين، الأول: عدم الاحساس بوجود الرقيب اللغوي عليهم من إدارة الموقع. والثاني: الموضة التي تجعل مستعملي الموقع يؤثرون استعمال هذه المفردات. وقد أجرت دراسة احصائية لهذه المفردات فوجدتها تشكّل ما نسبته في النص العربي المكتوب ٦٪ من مجموع

النصوص[٢٥].

٢- إنَّ الناظر إلى طبيعة هذه المفردات الأجنبية المستعملة في موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك)، يجدها تأخذُ شكلين في النص المكتوب.

- استعمال مفردات إنجليزية عادية لها بدائل في اللُّغة العربيَّة الاعتيادية، ولا عذر لمستخدم اللُّغة في استخدامها. والذي يظهر أنَّ أغلب هذه المفردات الأعجمية تتصل بحقل وسائل التواصل الاجتماعي والحاسوب أكثر من غيرها؛ وذلك لأنَّ هذه المفردات هي جزء أساسي من مقتضيات استعمال الحاسوب والمشاركة في التواصل الاجتماعي على (الفيسبوك)، وكان أكثر ظهورها في النصوص المكتوبة بـ ـ فيما يسمى ـ (العربيزي) [٢٦]، وكما مر بنا آنفا [٢٧]:. فهذه المفردات لها مقابل في اللُّغة العربيَّة ممّا يمكن الاستغناء عنها لفظا وكتابة.

- استعمال مفردات إنجليزية ذات ارتباط بمجالات محددة؛ كأن تكون مصطلحات، أو أسماء مخترعات، أو أسماء مواقع على الشابكة، أو ما شابه ذلك، وهو في بعض الأحيان يوقع مستخدم اللُّغة بضرورة لا مندوحة عنها، وقد ظهرت في شكلين: إمّا أن تحتفظ بالحرف الإنجليزي والأبجدية الإنجليزية، وإمّا أن تكتب اللفظة الإنجليزية بأبجدية عربية. فمن أمثلة النوع الأول:

LAPTOP، MISS، WIFI،WHATSAPP،FACEBOOK، LIKE

والملاحظ أن هذه المفردات تتصل بحقل وسائل التواصل الاجتماعي والحاسوب أكثر من غيرها؛ لأنها جزء من وسائل التواصل.

أمَّا أمثلةُ النوع الثاني وهي كتابة المفردات الأجنبية بالحرف العربي فيما يسمى بالعربيزي، نحو: واي فاي، برشلونه، لابتوب، هكر، راوتر، يوتيوب، تويتر... وغير ذلك من المفردات التي ترجع إلى طبيعة خاصة، لكونها أعجمية تنقل كما هي دون تغيير لكنها تكتب بالحرف العربي[٢٨].

ثانيا: الازدواجية اللغوية

أمّا الازدواجيَّة فإنَّها ترجمةٌ للمصطلح (DIGLOSSIA) المتكون من السابقة اليونانية (DI) والتي تعني مزدوجا أو ثنائيا، و(GLOSS) التي تعني: لغة، واللاحقة(IA) التي تعني حالة[٢٩]. فالازدواجيَّة يرادُ بها: وجود لغتين من أصل واحد لُغة أم إلى جانب لهجة محلِّيّة[٣٠].

ويُعتقَد أنَّ أوَّل من تحدَّث عن هذه الظَّاهرة هو اللُّغوي الألماني «كارل كرمباخر» في كتابه « مشكلة اللُّغة اليونانية الحديثة المكتوبة» عام ١٩٠٢م، وقيل: إنَّ العالم الفرنسي «وليام مارسيه» هو الذي تحدَّث عن الازدواجية في اللُّغة العربيَّة في عام١٩٣٠م، وعرَّفها بأنَّها التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة الحديث[٣١]. وقدَّم اللغوي الأمريكي «شارلز فيرجسون» تعريفه المشهور لهذه الظاهرة في مقالة تخص ازدواجية اللُّغة عام ١٩٥٨م متَّخذا من العربيَّة مثالًا للظَّاهرة، بأنَّها حالة لغويّة ثابتة يوجد فيها ـ بالاضافة إلى اللّهجات الأساسيّة التي رُبَّما تضم نمطًا مُحددًا أو أنماطًا باختلاف الأقاليم ـ نمطٌ آخر في اللُّغة عالي التصنيف مختلف، فوقي المكانة أكثر تعقيدًا من الناحيَّة القواعديّة، وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الأدب المكتوب لعصور خلت، أو لجماعة سالفة، ويتعلَّم النَّاس هذا النَّمط

بطرائق التعليم الرسميَّة، ويُستعمَل لمعظم الأغراض الكتابيَّة والمحادثات الرسميّة، لكنَّه لا يُستعمَل على الصَّعيد المحلِّيِّ أو الشَّعبيِّ في أيِّ قِطَّاع من قِطَّاعات الجماعة المحلِّيّة للمخاطبة أو المحادثة العاديَّة[٣٢]. وحَدَّدَ مواضع استخدام هذين النمطين، الأول: يستعمل في المسجد والكنيسة والنقاش السياسيِّ ومحاضرات الجامعة والاذاعة والصحف والشعر الفصيح، ونحو ذلك. والثاني: يستعمل في الحياة اليوميَّة في التعامل اليوميِّ بشكل عام[٣٣].

أمَّا نشوءُ الازدواجيَّة اللُّغويَّة في العربيَّة في الاستعمال اللُّغوي فلم يكن مُختصَّاً بعصر من العصور وإنَّما تُوجد في كلِّ العصور جليَّاً، وقد اختلفتْ آراء العلماء حول العصر التي ظهرت فيه ظاهرة الازدواجيَّة فالمستشرق الألماني «هنري فليش» يرى أنَّ ظهورها بعد وفاة الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم)، عن طريق الفتوحات الكبرى في العهد الإسلاميّ الأوَّل[٣٤]. وأنَّ ما يميِّز الفصحى عن المولَّدة هو تركُ الاعراب، وهنا يصح القول: إنَّ التحرر من الاعراب قرينة أكيدة على العربيَّة المولدة التي أخلَّت ليس بالاعراب فحسب بل بسَّطت المحصول الصوتيِّ وصرَّفته وأخلّتْ بنظام الجملة وتنازلت عن التصُّرف الاعرابي مكتفية ببعض القواعد القليلة عن مواقع الكلمات في الجملة عن علاقات التركيب[٣٥].

أمّا المستشرق «فيشر» فإنَّه يذكر نظريتين في نشوء العربيَّة المولدة، إحداها: كانت في زمن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) عربية الشعر ولغة الحياة اليومية، بغضّ النظر عن الفروق اللهجيَّة نمطاً عربياً قديماً واحدا. وبدءًا من تغيِّر المجتمع القبليّ الذي أحدثته الفتوحات الإسلاميّة في النِّصف الثاني من القرن السابع الميلاديّ ظهرت العربيَّة المولَّدة الحديثة بتأثير من دخل الإسلام من غير العرب. والأُخرى: كانت قبل زمن النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) اللُّغة اليومية نمطاً عربياً مولّداً، وعلى النقيض منه كانت لغة الشعر العربي القديم، لغة فنيّة وفصحى تبعد كثيراً عن اللُّغة اليومية الدارجة عند العوام[٣٦].

أمّا الدكتور «إبراهيم السامرائيّ» فإنّه يرى أنَّ الازدواجيَّة كانت موجودة في عهد الرشيد العباسيّ وغلَّب الظَّن بوجود شيء من هذه الظاهرة قبل هذه المُدَّة بكثير، ومعنى ذلك أنَّهم ـ العرب ـ يجرون في ذلك على فطرتهم العاميَّة التي تُخفِّف من القيود وتميل إلى الايجاز، وطبيعي أنّ الاعراب قيدٌ ربَّما كان ثقيلاً على كثير من الناس في سائر عصور العربيَّة[٣٧].

أمّا الدكتور «سمر روحي الفيصل» فإنَّه يذهب إلى نشوء الازدواجيَّة قبل الإسلام بين اللُّغة الأدبية المشتركة ولهجات القبائل، والأولى: لغة الأدب والعهود والمواثيق. والثانية: لغة التفاهم في الحياة اليوميَّة ولم يكن هناك فرق بين هذين المستويين التعبيريين؛ لأنَّ اللهجات ليست لُغات مستقلة عن اللُّغة العربيَّة[٣٨].

ما نلحظه من الأقوال المتقدِّمة أنَّ الكلام يدور حول تحديد نشوء الازدواجيَّة بوصفها ظاهرة أولاً. وإنَّ هذه الظاهرة تتعلق بالمنطوق اللغوي في استعمال نمطين لغويين، ومنافسة العاميَّة للفصيحة في التعامل النطقي بين الأفراد.

ولنا أنْ نسألَ بعد ذلك ما مقدار الهوَّة بين النمطين؟. وهل بقي الحال كما كان عليه في توصيف العلماء أم تغيّر في ظلِّ وسائل التواصل والتقنيات السائدة الآن؟. وما شكل هذا التغير؟. وما حال اللُّغة في وسائل التواصل المستحدثة؟.

أقولُ مادامت الازدواجية اللُّغويَّة ظاهرة ترتبط باستعمال العاميَّة بدلًا من الفصحى أو إلى جانبها في الخِطاب

اليوميِّ المنطوق فهي ظاهرة طبيعية لا مناص منها، توجد في كل اللغات، وفي كل الأزمنة، ولكنَّها تصبح مشكلة كبيرة، وعويصة إذا ما أصبحت العاميَّة يتعامل بها دون الفصحى في المدونات، وفي المخاطبات، وفي المراسلات، والتواصل المكتوب. ويمثِّل هذا التواصل مواقع التواصل الاجتماعي بشكل عام و(الفيسبوك) على وجه الخصوص. وهي ـ أعني ظاهرة الازدواجية ـ بهذه الحالة تمثلُ مظهراً سلبياً من مظاهر التعامل اللُّغويّ الشائع لدى مُستعمل اللُّغة العربيَّة، بحيث طغت الازدواجيَّة بشكل كبير على المستوين اللغويين المنطوق والمكتوب، وما يعنينا في هذا البحث المستوى المكتوب الذي يمثّل الواقع المأساوي للغة العربيَّة، ويعكس صورة لتغرّب العربيَّة الفصيحة في موطنها وابتعاد أهلها بالتزامهم بالعاميِّة، فلم يقتصر استعمالهم لها على اللُّغة المحكية فقط. بل تجاوزه إلى التعامل الكتابيِّ الذي فرضه العلم من خلال وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، وأصبحت العاميَّة لغة تنافس الفصيحة في موقع (الفيسبوك) خصوصًا، ولاسيما في الرسائل النصية، المحادثات الخاصة التي تجري في غرف الدردشات، وحتى في التعليقات الشخصية.

فقد ظهرت هذه اللُّغة الفصيحة في موقع (الفيسبوك) ممزوجة في كثير من الألفاظ العامية التي أدَّت إلى تشويه اللُّغة الفصيحة بكثير من المفردات التي درج عليها اللسان، مثل: (شنو، أكو، شونك، خوش، بيش، كولش، هماتين، هيج) وغيرها مّما رصده هذا البحث[٣٩]، فقد بلغت نسبة النصوص المكتوبة باللهجات العامية في مزاحمتها للنصوص الفصيحة على موقع (الفسبوك) في الاستعمال إلى حوالي ٥٥ ٪ من مجموع هذه النصوص، وبنسبة ٨ ٪ من النصوص كتبت بمزيج بين العامية والفصيحة، وبنسبة ٣٨٪ من النصوص كتبت بالعربيَّة الفصيحة الخالصة[٤٠].

إنِّ موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) زادَ في قضية الازدواجية اللغوية في الاستعمال بشكلٍ كبيرٍ عمَّا كان عليه الاستعمال اللُّغويِّ قبل استحداث هذه التقنيات التواصليّة، وهذا سيولّد بطبيعة الحال لغات منتشرة تختلف من بيئةٍ لأخرى داخل كل بلد عربي، فضلًا عن اختلاف اللهجات بين البلدان العربيَّة. ممّا يؤدي إلى عدم توحّد الخطاب اللغوي بين أبناء اللُّغة العربيَّة، ومن ثَمَّ نصبحُ ضائعين في لهجات ضيقة تُنكر على العربيَّة عربيتها، فأيهما أفضل؟. لهجات محدودة الأفق أم عربية عالمية يفهمها الجميع؟. ولي أنْ أستأنس بقول الدكتور طه حسين:((أُحبُ أنْ ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العاميَّة إلى شيء خطير ما أرى أنَّهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير. هو أنَّ العالم العربي الآن، وكثيرًا من أهل العالم الشرقي كلّه يفهم العربيَّة الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة، فلنحذر أن نشجّع الكتابة باللهجات العامية، فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أنْ يُترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سوريا ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسيين. ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟ أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللُّغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق، أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الأقطار التي تتألف منها، وأن يترجم بعض عن بعض؟ أما أنا فأوثر وحدة اللُّغة هذه فهي خليقة بأن يجاهد في سبيلها المؤمنون بها

وبأن يضحّوا في سبيلها بكل ما يملكون)) [٤١].

وهذا ما حصل وللأسف للغة العربية التي صارت لغة منزوية في الشعائر الدينية والتعبدية، وصار الخطاب الاعلامي والتواصلي يختلف باختلاف البلدان العربية ويعكسُ ما فيها من لهجات قد نحتاج إلى ترجمة لفهمها، فقنوات دول المغرب العربي ومواقع التواصل لدى المستخدمين يُقدِّم لنا أجلى صورة، وكذلك الحال بالنسبة لطغيان اللهجات الخليجية المتكسرة التي إنْ عدلوا عنها فإنَّهم يلجأون إلى لغة أكثر رطانة ـ وهي الإنجليزية ـ التي تجري على ألسنتهم جريان سيل حط من علِ.

فشيوع العامية وطغيانها على الفصيح ينبئ بوجود مستويين من النصوص، أحدهما: المستوى الفصيح ويتمثل بنسبة قليلة على موقع (الفيسبوك) وترجع هذه النصوص إلى جهات رسمية وصفحات رسميَّة أو إخبارية ترغب في التواصل مع أكبر قدر ممكن من المتابعين. والآخر: المستوى العاميّ الذي يمثّل النسبة الكبرى في (الفيسبوك)، ويمّثل عوام الناس، ومختلف طبقاتهم، الذين تظهر نشاطاتهم وتنتشر على الصفحة الشخصية، والمنشورات الرئيسية، والتعليقات، وغرف الدردشة والمحادثات الخاصة. ويرجع السبب في انتشار اللُّغة العاميَّة في (الفيسبوك) إلى طابع الارتباط بين الأشخاص عن طريق علاقة الصداقة وما فيها من ودِّيّة وحميمية تجعلهم يبتعدون عن اللُّغة العربيَّة الفصيحة « الرسمية « في التواصل فيما بينهم.

ثالثا : مشكلة الضعف اللغوي في (الفيسبوك)

تتنوع مظاهر الضَّعف اللُّغويِّ عند مستعملي مواقع التواصل الاجتماعي بسبب تدني المستوى الثقافيّ والمعرفيّ لدى المستعملين، وعدم اتقان العربيَّة عند أكثرهم ممّا أدَّى إلى شيوع الأخطاء المتنوعة التي كانت مظهراً من مظاهر الضعف اللغوي بشكل عام.

فلم يقتصر الواقع اللغوي في موقع التواصل (فيسبوك) على شيوع ظاهرتي الثنائية والازدواجية في الاستعمال بل تعداه إلى الخطأ في أصوات اللُّغة ، وإلى الخطأ الكتابي « الرسم «، والخطأ في الصرف على مستوى بنية المفردة، والخطأ في النحو على مستوى التركيب، والخطأ الدلاليّ، وهي على النحو التالي:.

- على مستوى الأصوات نجد هذا الخطأ متجسِّدا في بعض النصوص المكتوبة، وذلك فيما يحصل من ابدال في بعض أصوات الكلمة أو مطل حركتها، مثل: (تخمده)، والأصل (تغمده)، و(الجرص) والأصل: (الجرَس). و(الكولية) بإشباع حركة الكاف، والأصل (كلية). وفي العاميِّ، يقولون: (صدوك) ، والأصل: (صدك) (صدق)، و (كولش) بتطويل: (كلش)، وأصلها الفصيح (كلُّ شيء)، أو كتابة التنوين نونا من حروف الكلمة. وهذه التغيرات الصوتية مثبتة في الملاحق الواردة في آخر البحث[٤٢].

- وعلى مستوى الرسم فإن الخطأ الاملائي يعمّ المستوين الفصيح والعامي، ويحتلّ النسبة الكبرى من بين الأخطاء، وأحسبُ أن هذه الأخطاء على أنواع[٤٣]:

- نوع من الأخطاء يظن كاتبها أنَّه يكتب صحيحًا، ومرجع ذلك أمور، منها عدم معرفة قواعد كتابة الهمزة فيظن أنَّه يكتب صحيحًا فيكتبُ كما بدا له ، مثل (رئي، رائي...) ويريد (رأي)، أو يكتب (أيوهى)، ويريد (أيُّها)[٤٤] ، أو عدم تمييزه بين ما يكتب بالضاد وما يكتب بالظاء فيخلط بينهما. ومنها راجع إلى نطقه فيكتب كما ينطق وهذا حاصل في عدم التمييز بين الهاء والتاء المربوطة، فلا يميز بين ضمير الهاء المتصل وبين الاسم المختوم بالتاء المربوطة التي تنطق في الوقف هاء. فيكتبها كما ينطقها، مثل: فاطمه، والصحيح فاطمة، ومنها أيضا في كتابة بعض المفردات التي تنطق غير ما

تكتب مثل فيكتبها كما ينطق ، مثل: لاكن، هاذه، هاذي، كذالك، وغيرها ومنها أنَّه يساوي بين الحرف المشدد وغير المشدد، وعدم التميز بين الأسماء المجموعة التي لا تلحقها الألف الفارقة بينها وبين الأفعال الخمسة في حالتي الجزم أو النصب، فيكتب: لم يذهبو، ومهندسو، على السواء، وغير ذلك كثير.

- ونوع من الأخطاء يأتي ممّا درج عليه مستعملو (الفيسبوك) من اختصار بعض الكلمات بحذف بعض حروفها، وعلى المستوين العامي والفصيح، مثل حذف ألف (ال التعريف) في كثير من الكلمات والبقاء على لام التعريف فقط ، أو حذف حرفين من حرف الجر على والبقاء على حرف العين فقط ، مثل قول بعض الناشرات في الموقع(آسفه ع لاطاله، بلتوفيق، علشرح السابق)(٤٥)، كذلك ما نجده من اختصار لعبارة (إن شاء الله) بكثرة على النحو الآتي (انشالله)، أو إضافة بعض الحركات العشوائية عليها ممّا يشّوه الكلمة، ويتخذها سمة جمالية ـ كما يظنُّ ـ للنص المكتوب، أو تكرير بعض الحروف لمنح الكلمة شحنة تفاعلية تدلُّ على اعجاب الكاتب (رااااائع)، أو انبهاره (وااااااو)، أو حزنه(أوييييلي)، أو ضجره(أفففففف)، أو أسفه (متأأأأأسف) ، أو ما يُعبِّر عن قهقهته(هههههههه)، أو ما يُعبِّر عن القبول والرضا (امممممم)، وغير ذلك من مما أنتجه موقع التواصل هذا من لغة (فيسبوكية) تبتعد عن روح اللُّغة رسمًا ومضمونًا.

- أخطاء ناجمة عن عدم معرفة مستعمل (الفيسبوك) للغة العربيَّة ممّا يدلّ على عدم تعلُّم هذا المستعمل للكتابة العربيَّة ممّا يعكس لنا من صورة لجهل المستعمل لـ (الفيسبوك)، لاسيَّما أنَّ الاشتراك في (الفيسبوك) وعمل الحساب الشخصيِّ، وانشاء صفحة رئيسية صار موضة المجتمع الذي نظر إلى هذا الموقع نظرة ترفيه وتسلية لابدَّ من الانشغال بها، ونسي من لا يجيد القراءة والكتابة أنَّ الأداة الأساسية لهذا الوقع هي اللُّغة .

- على مستوى الخطأ الصرفي نجد للأخطاء الصَّرفيَّة مظهرًا جديداً أوجده المستعملون لموقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) بتشكيل الكلمات بما يشتهون، وليس بحركات حروفها وسكناتها، وإنَّما وضع حركات عشوائية تثقل الكلمة بما يبعدها عن أبنية العربيَّة وأوزانها، وبما يُثقل نُطق الكلمة فيما لو قصد قراءتها بحركاتها التي أشكلتها. وهذا ـ في حقيقته ـ تشويه للنص المكتوب.

كذلك من مظاهر الخطأ في البنية الصرفية عدم تحريك الحرف المشدد، وعدم معرفة أصل المعتل أكان منقولا عن واو أو عن ياء[٤٦].

- على مستوى الخطأ النحوي[٤٧]، نجدُ الأخطاء النَّحويَّة لا تقلّ عمّا سبق، ولعل الجهل بالاعراب يوقع المستعملين باللحن النحوي كثيرًا لضعفهم وعدم اتقانهم قواعد اللُّغة . فعلى الرغم من طغيان الازدواجيَّة اللُّغويَّة في النصوص المكتوبة إلاّ أننا نجد النصوص الفصيحة ممّا يُنشَر تَعجُّ بالأخطاء النَّحويَّة، إذ نجدُ كل ملامح الأخطاء التي تنبه إليها الدكتور «نهاد الموسى» في كتابه «اللُّغة العربيَّة وأبناؤها» واقعا في كتابات الناشطين على هذا الموقع، ولم يسلم من الخطأ النحوي إلاّ قليل. ومن مظاهر الخطأ النحوي لدى مستخدمي (الفيسبوك) اسقاط حركات الاعراب، والميل إلى تسكين أواخر الكلمات فلا يظهر تنوين النصب أو الرفع أو الجر، كذلك ما درج عليه اللسان من إلزام المثنى والجمع للياء في حالات الرفع والنصب والجر على السواء، مثل: «جاء المهندسين» (اجه المهندسين)، وما درج عليه قلمهم أيضا من اسقاط نون الأفعال الخمسة في الرفع، أو عدم حذف حرف العلة للجازم، واماتة الفعل المبني

للمجهول في كثير من كتاباتهم، إذ يقولون: انقبل في الدراسة، ولا يقولون: قُبِل، كذلك من مظاهر الخطأ في كتاباتهم عدم اعمال المتعدي في نصب المفعول، وعدم اعمال كان وأخواتها، أو ظن وأخواتها ، أو إنَّ وأخواتها وغير ذلك مما رصده البحث.

- على المستوى الدلالي[٤٨]. ويتضح الضعف اللغوي في هذا الجانب من خلال الممارسات التي يقصد بها الكاتب أداء معنى معيّن ولا تسعفه حصيلته اللغوية وثقافته المعرفية من إيصال المعنى الذي يريد بيانه فيتقطّع النص لديه ، ويصبح الكلام الذي يكتبه ليس بذي معنى، وقد تكفَّل الملحق رقم(٨) ببيان هذه الظاهرة، ومن أمثلة هذه الظاهرة قول أحد المشتركين « يوسف الشاعر » في تعلقيه على قضية مطروحة للنقاش وابداء الآراء، قال[٤٩]:

أقولُ: إنَّ هذه الممارسات اللغوية وأمثالها التي يحاول صاحبها ـ وهو لا يعرف شيئا من فقه العربيَّة ـ أنْ يكونَ فصيحًا بليغًا، هي الدمار الشامل للغة العربيَّة. وإنَّ اللُّغة العربيَّة صارت تنوء بنفسها بسبب هذه الممارسات التي تعكس جهل كتابها ـ وما أكثرهم ـ وهم ينشطون يوميًا على مواقع التواصل الاجتماعي ويزيدون الغث فوق الغث دون احترام للغة العربيَّة، وهذا الجهل المتكلَّف يحجر واسعا ممّا خلق الكراهية لهذه اللُّغة من أبنائها. نحن اليوم نجدُ الأفراد من كل

> أولا البقاء لله وحده.. ثانيا لا تدققي النظر حتى لا تتعبي.. ولا تدرين بظروف الغير.. فربما شيء نراه بسيطا كبيرا عند الطرف الآخر والعكس صحيح.. **لئلا العمومية في الخصوصية أصبح شيء وارد.. أتكلم بشكل عام ولم أقصد بحرفي ومفهومي خصخصة حوارك..تقديري دون سلام باليد.. فسلام الله عليك ورحمته وبركاته.. أجمل صح وبدون بسمة خوفاً أن يقل رصيدي..**

البلدان ينفرون من هذه اللُّغة ويفضلون غيرها من اللغات التي أخذوا يرددون بعض ما حفظوه من ألفاظها، ويبدون إعجابهم بها، ويحاولون تعلمها مهما أوتوا لذلك من قوة على حساب حب لغتهم، وتعلمها، والتمسك بها، إنَّ هذه الممارسات اللغوية المغلوطة غير مقبولة في التعامل اللغوي بين الأفراد. فلا يمكن لأحدٍ أنْ يحب شيئًا يمجّه الذوق كالنص المتقدم ذكره، وهو يدخل ضمن الكلام المحال غير المستقيم الذي وصفه سيبويه رحمه الله تعالى.

المقترحات

إنَّ اللُّغة العربيَّة لُغةٌ ينبغي أنْ تنال حظّها ومكانتها العالية من أبنائها الناطقين بها، الذين عرفوا بها، وسُمّوا عَرَباً بفضلها؛ لأنَّ المستوى الذي آلت إليه العربيَّة في مواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) من حيث استعمال العاميَّة أو استعمال ألفاظ أجنبية، أو رموز أجنبية يعكس إلى حدٍ بعيد واقع استعمالها في المجتمع العربي، لاسيَّما عند فئة الشباب الذين ولعوا باللغات الأجنبية وانساقوا وراءها. فكان من الطبيعي أنْ تَطغى على موقع (الفيسبوك) آثار الثنائيَّة، والازدواجيّة، والضَّعف اللُّغويّ والكتابيّ، واستفحال العاميّة. وللحد من هذه الظواهر لابدَّ من جملة من الأمور[٥٠] التي يمكن أنْ تساعد على الحفاظ على الاستعمال اللُّغويّ الفصيح في هذا الموقع وغيره من مواقع التواصل الاجتماعيّ.

١- لابُدَّ من الاجماع العربي على وضع سياسة لغوية تقوم على وفق تخطيط لغوي ملزم لجميع الدول العربيَّة، مدعوم بقرار سياسي ملزم باتخاذ الدول العربيَّة لُغة موحدة في هذه المواقع تمثِّلُ الدول العربيَّة، كما هو الحال في الدول والمجتمعات الأخرى - كاليابان، وأسبانيا - التي صانت لغتها وحافظت عليها وجعلت لها السور الحصين من القرارات التي تحميها من الاختراق اللغوي بجميع أشكاله.

٢- لابُدَّ من وجود نسخة (محرك) خاص باللُّغة العربيَّة لهذا الموقع يبيح لمستعمل الموقع حرية التعبير عن آرائه باللُّغة العربيَّة الفصيحة دون غيرها من اللهجات العامية أو الألفاظ الأجنبية، وهذا ما تتكفل به النسخة العربيَّة للبرنامج التي لا تقبل إلاّ الحرف العربي الفصيح، وتشفّر ما كان غير عربي، وذلك من خلال برامج الحجب والحظر التي تمنع نشر النصوص العاميَّة أو المشوّهة، أو النصوص الإنكليزية، أو إيجاد برامج تحوّل هذه النصوص إلى الفصيحة .

٣- انجاز قانون لحمايَّة اللُّغة العربيَّة في كل البلدان العربيَّة ضمن جلسة لجامعة الدول العربيَّة خاصَّة باللُّغة العربيَّة، يقضي بإحلال العربيَّة الفصيحة محلّ العامية في المخاطبات ووسائل التواصل والاتصال والاعلام.

٤- تصميم مواقع خاصة باللُّغة العربيَّة تهدف إلى تقديم استشارات لُغوية وحلّ المشكلات التي تواجه مستعملي اللُّغة العربيَّة في هذا الموقع.

٥- تنشيط الجانب الإعلامي بأهمية اللُّغة العربيَّة والزام القنوات التلفزيونية والاذاعية بتفعيل اللُّغة العربيَّة والتزامها في البرامج؛ لأهمية وسائل الاعلام في هذا المجال، ولامكانية وسائل الاعلام من اسقاط دول. فلابُدَّ من استغلال هذه الوسيلة لصيانة العربيَّة باتخاذها اللُّغة العربيَّة الفصيحة في مخاطباتها دون غيرها من العاميات، لأنَّ هذه القنوات على اختلافها أقرب إلى حياة الناس، وهذا مّما يؤدي إلى تحسين واقع اللُّغة العربيَّة في المجالات كافة، لاسيَّما عند المستعملين لمواقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) وغيره.

٦- تشجيع البحث والتطوير في اللسانيات الحاسوبية ومعالجة اللُّغة العربيَّة ودعم برامجياتها المتنوعة في بنية الحاسوب وفي وسائل التواصل الاجتماعي، من خلال دعم هذه المواقع ببرامج التدقيق الآلي التلقائي التي تساعد المستعملين على اخراج نصوصهم اخراجا لغويا سليما خاليا من الأخطاء اللغوية المختلفة، لاسيما أنَّ بعض الدراسات أظهرت رغبة كبيرة لدى المستخدمين في أنْ تتوافر في البريد الإلكتروني ومواقع التواصل مثل هذه البرامج ، وعلى شاكلة البرامج الموجودة باللُّغة الانجليزية، وتطويع هذه البرامج للغة العربيَّة ويتكفّل بمسؤولية التطويع المهندسون والحاسوبيون العرب.

٧. لابُدَّ من تقييد مستعملي موقع (الفيسبوك) ببطاقة تعريفية رسمية يثبت فيها كل المعلومات الشخصية لمستعمل الموقع ، مثل تثبيت الاسم الثلاثي الحقيقي، لا المنتحل (الحركي)، واللقب الحقيقي، والجنس، والعمر، والتحصيل الدراسيِّ من خلال حفظ المستمسكات الرسمية للشخص المشترك على الموقع. لأنَّ خلاف ذلك يشجّع المستخدم على استعمال ما يشاء من الألفاظ اللُّغويَّة والتصرفات غير اللُّغويَّة.

ملاحق البحث

١. ملحق الفئات العمرية.
٢. ملحق الثنائية اللغوية أو مايُسمى بـ(العربيزي).
٣. ملحق الثنائية اللغوية بالحرف العربي.
٤. ملحق الازدواجية اللغوية.
٥. ملحق الخطأ الاملائي.
٦. ملحق الخطأ الصرفي.

٧. ملحق الخطأ النحوي.

٨. ملحق الخطأ الدلالي.

ممّا تجدرُ الاشارة إليه أنَّ الأخطاء اللغوية التي رصدت في هذه الصور متداخلة في هذه الملاحق فقد يشتمل ملحق الخطأ الاملائي على كل الأخطاء، النحوية والصرفية والدلالية، وقد يشتمل على الثنائية، أو الازدواجية، ولم يقتصر النص على الخطأ الاملائي فقط. وهذا ما يشير إلى ضعف النص اللغوي المكتوب. وإنما جاءت هذه الملاحق بهذا التقسيم تبعا لخطة البحث ولتركيزها على خطأ بعينه أشار إليه البحث في مظانه.

الهوامش

١ ـ يُنْظَرُ: الخصائص: ١/ ٣٣.

٢ ـ التزمتُ في ترتيب هذه المجموعات على وفق الترتيب الهجائي «الأبتثي»، دونما اعتبار لما يُوجد من كلمات غير عربيّة، مع التزامي بذكر أسماء المجموعات كما هي في موقع (الفيسبوك).

٣ ـ يُنْظَرُ: تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة:١.

٤ ـ يُنْظَرُ: موقع التَّواصل الاجتماعي (الفيسبوك) ودوره في تطوير تعلم وتعليم اللُّغة العربيَّة لغير الناطقين بها: ٣.

٥ ـ يُنْظَرُ: تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة: ١.

٦ ـ يُنْظَرُ: رصد واقع اللُّغة العربيَّة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول: ٦٣ـ ٦٤.

٧ ـ يُنْظَرُ: تأثير اللُّغة على مواقع التواصل الاجتماعي ايجابياتها وسلبياتها، (بحث منشور على شبكة الانترنت).

٨ ـ يُنْظَرُ: تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة:٢.

٩ ـ يُنْظَرُ: السابق:٢.

١٠ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (١).

١١ ـ يُنْظَرُ: اللُّغة العربيَّة في تكنولوجيا المعلومات تطور واعد وتطوير متواصل: ١٥.

١٢ ـ يُنْظَرُ: تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة، بحث على شبكة الانترنت: ٤.

١٣ ـ يُنْظَرُ: تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة، بحث على شبكة الانترنت: ٥ ، وأثر اللهجات ولغة الجوال على الفصحى: ٧ـ٨.

١٤ ـ يُنْظَرُ: العربيَّة الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية: ٥٥.

١٥ ـ يُنْظَرُ: السابق: ٧٦.

١٦ ـ يُنْظَرُ: : الحياة مع لغتين « الثنائية اللغوية»: ٢٥.

١٧ ـ أُسس علم اللُّغة : ١٩٢.

١٨ ـ يُنْظَرُ: العربيَّة الفُصحى بين الثنائيَّة اللُّغويَّة والازدواجيّة اللُّغويّة: ٧٦ـ ٨٠.

١٩ ـ السابق: ٨٠ـ ٨٢.

٢٠ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم : ٢، ٣.

٢١ ـ يُنْظَرُ: رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول:٨٠.

٢٢ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم: ٢.

٢٣ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم:٣.

٢٤ ـ ظاهرة شيوع التهجين اللغوي في الكتابة العربيَّة المعاصرة رصد وتحليل: ١.

٢٥ ـ يُنْظَرُ: رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول:٨٤.

٢٦ ـ يُنْظَرُ: السابق: ٨٤، و٢٠٦ـ ٢٠٧. ويقصد بـ «العربيزي» : كتابة الكلمات العربيَّة بالحرف الانجليزي

أو كتابة الكلمات الانجليزية بالحرف العربي.

٢٧ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم: ٢، ٣.

٢٨ ـ يُنْظَرُ: رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول: ٨٤، و٢٠٦ـ ٢٠٧. والملحق الخاص بالثنائية: رقم(٢)، والرقم(٣).

٢٩ ـ يُنْظَرُ: العربيَّة الفصحى بين الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية: ٥٥.

٣٠ ـ يُنْظَرُ: السابق: ٥٤.

٣١ ـ يُنْظَرُ:ازدواجيَّة اللُّغة « مقالة في كتاب دراسات في اللُّغة « : ٩٥، والعربيَّة الفصحى بين الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية: ٦١ .

٣٢ ـ يُنْظَرُ:ازدواجيَّة اللُّغة « مقالة في كتاب دراسات في اللُّغة « :٩٥ـ ٩٦.

٣٣ ـ يُنْظَرُ: السابق: ٩٧.

٣٤ ـ يُنْظَرُ: العربيَّة دراسة في اللُّغة واللهجات والأساليب: ١٧.

٣٥ ـ يُنْظَرُ: السابق: ٢٠.

٣٦ ـ يُنْظَرُ: دراسات في العربيَّة: ٢٢٠ـ٢٢١.

٣٧ـ يُنْظَرُ: التطور اللغوي التاريخي: ١٤٤.

٣٨ ـ يُنْظَرُ: اللُّغة العربيَّة الفصيحة في العصر الحديث: ٢٦.

٣٩ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم :٤.

٤٠ ـ يُنْظَرُ: رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول: ٨٨.

٤١ ـ دراسات في فقه اللُّغة : ٣٦٠.

٤٢ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٥)

٤٣ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٥)

٤٤ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٥)

٤٥ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٥)

٤٦ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٦)

٤٧ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٧)

٤٨ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٨)

٤٩ ـ يُنْظَرُ: الملحق رقم (٨)

٥٠ ـ لمزيد من المقترحات التي يمكن أنْ يُعمل بها أيضًا فضلاً عمّا تقدَّم ما أوصت به دراسة «رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول دراسة علمية ميدانية تحليلية الواقع والمأمول»، يُنْظَرُ: ٢٣٠ـ ٢٣٢

المصادر والمراجع

١ - أثر اللهجات العامية ولغة الجوال على الفصحى، د. فاطمة عبد الفتاح الزعبي، بحث منشور على شبكة الانترنت.

٢ - ازدواجية اللُّغة « مقالة في كتاب دراسات في اللُّغة «، محمد راجي الزغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

٣ - أُسس علم اللُّغة ، ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة، ط٨، ١٩٩٨م.

٤ - تأثير اللُّغة على مواقع التواصل الاجتماعي ايجابياتها وسلبياتها، فهيمة سعد خلف الرشيدي ، بحث منشور على شبكة الانترنت:

Copyright © 1436 dr-aysha.com - All rights reserved

٥ - تأثير (الفيسبوك) على اللُّغة العربيَّة، بحث منشور على شبكت الأنترنيت.

٦ - التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، معهد البحوث والدراسات العربيَّة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٧ - الحياة مع لغتين(الثنائية اللغوية)، محمد علي الخولي، الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى.

٨ - الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني(٣٩٣هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

٩ - دراسات في فقه اللُّغة ، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٨، ٢٠٠٧م.

١٠ - رصد واقع اللُّغة في ميدان التواصل على شبكة الانترنت والهاتف المحمول دراسة علمية ميدانية تحليلية الواقع والمأمول ، مشروع لمجموعة من الباحثين برئاسة الدكتور محمد زكي خضر، مجمع اللُّغة العربيَّة الأردني، الأردن، ٢٠١٤م.

١١ - ظاهرة شيوع التهجين اللغوي في الكتابة العربيَّة المعاصرة رصد وتحليل، عزيز موسى حسن خليل، بحث منشور على شبكة الأنترنت.

١٢ - العربيَّة دراسة في اللُّغة واللهجات والأساليب، يوهان فك، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٣ - العربيَّة الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية العربيَّة، إبراهيم كايد محمود، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل(العلوم الإنسانية والإدارية)، مجلد ٣، عدد ١،٢٠٠٢م.

١٤ - اللُّغة العربيَّة الفصيحة في العصر الحديث، سمر روحي الفيصل، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط١، ١١٩٣م.

١٥ - اللُّغة العربيَّة في تكنولوجيا المعلومات تطور واعد وتطوير متواصل، محمد العربي ولد خليفة، المجلس الأعلى للغة العربيَّة، الجزائر، ٢٠٠٧م.

١٦ - قضايا اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مجموعة محاضرات ألقاها علينا الأستاذ الدكتور « أحمد جواد العتابي» في مادة « قضايا اللُّغة العربيَّة المعاصرة»، في مرحلة الدكتوراه، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، للعام الدراسي ٢٠١٤ - ٢٠١٥م.

١٧ - موقع التواصل الاجتماعي ودوره في تطوير تعليم وتعلم اللُّغة العربيَّة لغير الناطقين بها، وان روسلي بن وان أحمد، إسماعيل حسانين، فؤاد رواش، فهام محمد غالب، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، بحث منشور على شبكة الانترنت.

تفسير المراغي

طه وفي

الأشكالُ الايقاعيةُ المتجاورة في القصيدة الواحدة

Adjacent Rhythmic Forms in Individual poem.

د.أنس بديوي
قسم اللغة العربيّة
كلية الآداب- جامعة حماة / سورية
Dr. Anas Bdewi
College of Arts - University of Hama / Syria

كلمات مفتاحية : الأشكال الايقاعيّة/ الايقاع / العروض / الحداثة الشعريّة / الشعر العمودي

wsarakibi@gmail.com

ملخص البحث

قامَ البحثُ بتتبّع ظاهرة تجاور الأشكال الايقاعيّة في القصيدة الواحدة، من منظور بعض الدراسات النقديّة السابقة، عارضاً أبرز المصطلحات والمفهومات التي عبّرت عنها. ورصد نماذج من التجاور الايقاعي بين «بيت الشعر» و»التفعيلة»، ووقف على التجاور مع «النثر» في نموذجين. وحاول أن يبيّن مسوّغات هذا التجاور بالاستناد إلى العلاقة بين طبيعة الانفعال في النصّ الشعريّ والسياق الذي جاءت فيه الظاهرة. وخلص إلى الامتداد النصيّ للتجاور بين «بيت الشعر» و»التفعيلة» لاعتمادهما خصيصة الوزن؛ نزوعاً إلى تصعيد الانفعال وتنشيطه وتنويعه، بينما كان التجاور مع «النثر» ينسجم غالباً مع توجّه النصّ في التمكين لما هو فكريّ.

Abstract

The research traced the phenomenon of contiguity of rhythmic forms in a single poem، from the perspective of some previous critical studies، presenting the main terms and concepts expressed. Observe the patterns of rhythmic juxtaposition between «Stanza of Poetry» and «activation»، and stop on the juxtaposition with «prose» in two models. He tried to explain the reasons for this juxtaposition based on the relationship between the nature of emotion in the poetic text and the context in which the phenomenon came. He concluded that the textual extension of the juxtaposition between the «Stanza of Poetry» and «activation» for the adoption of the characteristic of weight; a tendency to escalate and stimulate and diversify the emotion، while the juxtaposition with the «prose» is often consistent with the text direction in the empowerment of the intellectual.

المقدمة

حاولتِ الشعريّة العربيّة الحديثة أن تؤسّس منظورها النقديّ، في كثير ممّا اجترحته من مسائل، على دعامتين رئيستين، شكّلتا نسقاً ثقافيّاً قارًّا، هما الأصالة والمعاصرة. وخلاصة ما طُرِح على أساس وسطيّة واعتدال ينحاز إلى الدفاع عن تجديدٍ متأثّرٍ بالآخر، وبعيدٍ عن التبعيّة له، ومحافظٍ على روح الثقافة العربيّة وطابعها الخاص. ولكنَّ هذا الانحياز إلى الثقافة العربيّة لم يكن ذا بعدٍ فنيٍّ وأدبيٍّ وفكريٍّ واحدٍ، كان نقطة «الارتكاز»، بيد أنَّ الطريقة في الأداء تباينت، بحسب تنوّع المشارب واختلافها وتباينها الصارخ أحياناً.

قاد سياق التداول إلى شيوع استعمال[١] هذين المصطلحين - الأصالة والمعاصرة - متلازمين، مع الإشارة إلى تكاملهما المفترض وعلاقتهما الجدليّة. ومع ما بدا مفارقةً في الظاهر، كان انسجاماً مع التوجّهات التي سعتْ إلى تطوير الابداع، بمنطق التجريب غير المقيَّد بقواعد صارمة تحول دونه. وإذا كان وَكْدُ القومِ أن يسيرَ الشعر في فضاء زمنيّ يراعي فاعلية الحركة في الزمن، من خلال تأسيس أداء مميّز لآليّتها؛ فإنَّ مواقفهم من تلك الآليّة كانت معياراً فرض على الابداع وجهته التي ظنَّ أصحابها أنها الحقّ الذي لا محيد عنه. وفي هذا السياق لا غرو أن تطالعنا بعض الآراء الطريفة التي وسمت النزوع الشكليّ لحركة الحداثة الشعريّة، بالسهم المسموم الحاقد، أو المؤامرة الكبرى، التي تسعى لقطعنا عن تراثنا، وتهدم الشعور القوميّ فينا[٢] . وهو كلام خطابيّ اتّهاميّ مباشر، أظنّ أن الزمن تجاوزه بوصفه «شعارات» رنّانة، مع استذكارنا لسياق الموقف الذي استدعاها.

العرض:

تنطلق هذه المقاربة متجاوزة اختلافات التصنيف، وتعدّد المصطلحات التي أطلقت على الظاهرة الواحدة، ولعلّه من المفيد أن نشير في هذا المقام إلى بداهة التفريق بين الوزن أو العروض، والايقاع، بوصف الأوّل (الوزن العروضيّ) أحد أشكال التحقّق غير المنتهية للثاني (الايقاع). على ألّا يفوتنا أنّ بعض الدراسات الحديثة استعملت المصطلحين مترادفين[٣] . ويبدو أنّ مصطلح الايقاع انتقل من الموسيقى إلى فنّ الشعر، ولم يكن تحديد مدلوله بالأمر الهيّن في الدراسات النقديّة، فاتّخذ مفهومات عدّة، تختلف باختلاف النقّاد والدارسين، «فبعضهم، وهو السواد الأعظم، يماهون بين الايقاع والعروض [= الوزن]، والبعض الثاني يرى الايقاع حدثاً مبهجاً يطرأ على العروض. والبعض الثالث يرى الايقاع في كلّ الظواهر الصوتية التي تخرج من أن يكون المبدع ملزماً بها، والبعض الرابع يرى الايقاع قادراً على تجاوز المسموع من النصوص ليلحق به مجال البصر، والبعض الخامس يرى للمفهوم قدرة على الاتساع ليشمل، إضافة إلى المسموع والمرئي، مجال التخييل فيتحدَّث عن ايقاع المعاني» [٤].

لكلّ نص ايقاعه الخاص، الذي «ينبثق أولاً من فرادة التجربة وخصوصيتها. ومن تقاليد النص الراسخة ثانياً، وهو ثالثاً استجابة للسياق العام أو الظرف المعيش»[٥] . ولكنّ ثقافتنا النقديّة البَصَرِيّة أعطت الأشكال سطوةً في التلقّي، فغدا الشعر – عند بعضهم- تغيّراً في الأشكال، وسفراً في إبداع أشكال متجدّدة، «لأن الأداء فيه واحد ولكن الأشكال فيه تتغير»[٦] . ويبدو أن سلطة الشكل كانت من الوضوح الذي لا مراء فيه، حتى عدّ كثير من النقّاد أن الحداثة الشعريّة هي حداثة في الشكل أوّلاً، يظهر ذلك منذ بدايات التنظير النقديّ للحداثة الشعريّة، في محاولة نازك الملائكة الأولى، في كتابها قضايا الشعر المعاصر[٧] .

بيتُ الشعر، والتفعيلة، والنثر؛ ثلاثة أشكال ايقاعيّة،

نقف على تجاورها في القصيدة الواحدة. ويهدف عدم تقييدنا هذه الأشكال بمصطلح (القصيدة) إلى تحقيق غاية تتمثّل بتجاوز الإطار الكمّيّ المتحقّق في مصطلح (القصيدة)، عبر ما استقرّ عليه دلاليًّا في النقد العربيّ القديم؛ إذ لا يُسمّى النصّ الشعريّ قصيدة إلا إذا كان مؤلّفاً من سبعة أبيات أو عشرة، فأكثر. كما تتمثل أيضاً برفض العلاقة العنادية المُفتَرضة بين طرفي مصطلح «قصيدة النثر»، على أساس تعريف النثر بأنّه ما ليس شعراً. وما هو مسكوت عنه- فيما يخص «قصيدة التفعيلة»- بدا مناسباً لتوجّه البحث، إلى درجة أنه لم يكن من مساءلات التنظير، على كثرته، في شعريّة الحداثة. وهذا التقسيم الثلاثيّ للأشكال الايقاعيّة: بيت الشعر، والتفعيلة، والنثر، الذي نسجناه على منوال كثير من الدراسات [٨]؛ يبعد النصّ المترابط: التفاعليّ والرقميّ[٩]، عن مجال بحثنا؛ فهو نصّ مفارقة يكسر قيد صناعة الشعر كتابةً، ويترك للزمن قرار إثبات جدارته الابداعيّة، وانتمائه أجناسيًّا إلى الشعر.

يتعيّن مصطلح « التجاور» بوجود أكثر من شكل ايقاعيّ في القصيدة نفسها، مع ملاحظة الفرق «بين (الشعر) كخطاب له عناصره ورؤاه و(القصيدة) كمظهر نصي يتجلى عن ذلك الخطاب»[١٠]، ويفيد تقييدنا دالّ (القصيدة) في عنوان البحث، بالتابع (الواحدة) في تمييز دراسة هذه الظاهرة من تلك التي تسعى إلى الوقوف على قصائد لشاعر واحد، كتبت على أشكال ايقاعيّة مختلفة، في عموم تجربته الشعريّة، لكنّها التزمت شكلاً ايقاعيّاً واحداً في النصّ الواحد[١١].

ثمة مصطلحات وتسميات عدة عبَّرت عن ظاهرة التجاور التي قصدنا إليها، يتجلى أبرز ما وقفنا عليه في رصدها، من خلال الحديث عن الظواهر الآتية:

- الجمع بين الشكلين التفعيليّ و الشطريّ، وهو من النتائج الطبيعيّة للتنويع المستمر في القصيدة العربيّة[١٢].
- التداخل بين شعر التفعيلة والشعر العموديّ، بوصفه أحد أنماط المزاوجة الموسيقيّة في القصيدة[١٣]، وقد دلّ مصطلح «التداخل» في بعض الدراسات على تداخل بحر شعريّ في بحر آخر[١٤].
- الالتفات العروضيّ، وفيه يجمع الشاعر بين إطاري الشعر الأصيل وشعر التفعيلة[١٥].
- التشكيل المشوب: وهو مصطلح عروضيّ اهتدى إليه الباحث – كما يقول – من أبي زيد القرشي في كتابه (جمهرة أشعار العرب) الذي روى سبعاً من المشوبات لسبعة من الشعراء المخضرمين الذين لم يتخلّصوا من براثن الجاهليّة. فالمشوبات هي القصائد التي شابها الكفر والإيمان[١٦]. ويقصد بهذا المصطلح «التشكيل الذي شابه شعر التفعيلة والشعر العموديّ في شكل أو شابه شعر التفعيلة وقصيدة النثر في شكل آخر»[١٧]، والملاحظ على اجتراح هذا المصطلح أنّه نُقلَ من بنية مضمونيّة ليطلق على بنية شكليّة.
- التناوب، حيث تتكوّن القصيدة موسيقيًّا من الشكلين التقليديّ والحرّ [١٨]، وهذه ظاهرة - في زعم من وقف عليها- لا مسوّغ لدراستها؛ لأنّها «لا تقدّم ما يؤكّد ارتباطها بالمضمون الشعريّ، أو وضوح علاقتها بتحوّلات الموقف، أو الانفعالات النفسيّة التي تعمّ العمل الشعريّ كلّه، فليس بين يدي الباحث الآن ما يؤكد- بشكل قاطع - الضرورة الفنية أو النفسيّة التي تحدو بالشاعر لأن يجعل بنية القصيدة الموسيقية تتناوب على شكلين من الأداء «الحر» ثم «التقليدي» [١٩]. ولعلّ هذا القول صحيح إذا كان مطلوباً من الناقد أن يبحث عن تسويغ لهذا الأداء من خارج العمل الابداعيّ، أمّا أن يكون هذا البناء اعتباطاً وتعسّفاً فهو ما نرفضه بشكل قاطع، ونرى

أنّه من العناصر الفاعلة في شعريّة القصيدة.

- الجمع بين الشعر والنثر، لنكون مع قصيدة وُصِفتْ بالشاذّة [٢٠]، وهو وصف سلبيّ يعتمد قواعد العروض العربيّ بوصفها معيار تقويم لموسيقى النص. ولعلّه تجريب يعكس حالة انفعاليّة استدعت تشكيلاً موسيقيًّا «خاضعاً خضوعاً مباشراً للحالة النفسية أو الشعورية التي يصدر عنها الشاعر» [٢١].

- خلط الشعر بالنثر في بنية القصيدة الواحدة [٢٢].

- التأليف المركّب من الشعر وغيره في القصيدة الواحدة [٢٣]، وهو يقصد بالمغايرة - في هذا المقام - النثر.

- المزاوجة الموسيقيّة بين الشعر و النثر-و قد سمّاها الباحث التضمين النثريّ- و بين الشكل الحديث (الحر) و الشكل القديم (العموديّ)، و أطلق عليها التداخل الشكليّ [٢٤].

- المزاوجة بين الشعر العمودي و شعر التفعيلة، بوصفها أحد نمطي تعدّد الأوزان في القصيدة الواحدة [٢٥].

- التنويع الوزني، بإدخال بيت أو مقطع عموديين- و يحصل إيراد جملة أو مقطع نثريّ- في قصيدة التفعيلة [٢٦].

ويؤثر البحث مصطلح التجاور؛ لتجنّب مصطلحات وتسميات غير مستقرّة دلالةً كالتداخل، أو التراسل الذي كادت تحصر بعض الدراسات اشتغاله في رصد انفتاح النصّ الشعريّ وإفادته من الفنون الأخرى، كالفنون السرديّة والتشكيليّة والمسرح والموسيقى والسينما [٢٧].

بالإضافة إلى انسجام دلالة مصطلح التجاور مع طبيعة النسيج النصيّ و أسلوب بنائه؛ فلا يغدو لانبثاق القصيدة وأوليّتها - مطلع القصيدة أو بدايتها - ميزة وخصوصيّة في توجيه قراءة النصّ، بحثاً عن السابق واللاحق من ظواهره.

إن تتبّع الظاهرة المدروسة في نماذج من الابداع الشعريّ يحيلنا على شكلين من التجاور الايقاعيّ في القصيدة الواحدة، هما:

أوّلا - تجاور «بيت الشعر» و«التفعيلة»:

إذا كانت البنية السمعيّة لنمط البيت في الشعر العربيّ موجّهة للتلقّي، في سياق ثقافيّ له خصوصيّته الزمنيّة، فإن البنية المكتوبة لا تقلّ شأناً في فرض التفاعل مع النص [٢٨]، على أساس تصوّرٍ يضبط العناصر النصيّة للبيت بمظاهرها الخطيّة والطباعيّة المتعدّدة، فالبيت «بناء متفاعل أساسه الايقاع، ضمن أبيات أخرى، لوحدة أو وحدات لغوية، بسيطة أو مركبة، يوقفها سطريًّا فراغ فريد في حال اتصالها، وأكثر من فراغ فريد في حال انفصالها» [٢٩]. ولعلّ هذا التصوّر يبعد عن القصيدة فرضيّة أن تكون «التفعيلة» زائرها الغريب؛ إذ تكتسب فاعليّة الاشتراك في بناء القصيدة، بوصفها النواة الايقاعيّة التي بُني عليها التشكيل الموسيقيّ للشعر العربيّ، وربما تكون مجاورتها للبيت، تشكيلاً للنص، من سمات شعريّته التي تميزّه من سواه.

وقد شكّل تجاور «بيت الشعر» و«التفعيلة» ظاهرة نصيّة عند شعراء الحداثة الروّاد، ويغلب على الظنّ أنّها ليست إصراراً على توكيد الانتماء إلى الشكل النمطيّ للقصيدة العربيّة أو تقديم ما يثبت قدرة الشاعر على الكتابة وفق النمط القديم، لأنّ أغلب هؤلاء الشعراء بدؤوا نتاجهم الابداعي بالكتابة على البحور الشعريّة ملتزمين شكلها الموروث، بقدر ما كانت الظاهرة تعبّر عن انفجار نفسيّ انعكس في اعتماد شكلين من الايقاع، هما البيت والتفعيلة.

ومن تجلّيات هذه الظاهرة في شعر بدر شاكر السياب - على سبيل المثال - تطالعنا قصيدته (بور سعيد)، التي يعرض فيها الشاعر موقفه من العدوان الثلاثي الغاشم

على هذه المدينة المصريّة سنة(١٩٥٦)، يقول في مطلعها[٣٠] :

يا حاصدَ النار من أشلاء قتلانا
منكَ الضحايا، وإن كانوا ضحايانا
كم من ردىً في حياةٍ، وانخذال ردىً
في ميتةٍ ، وانتصارٍ جاء خذلانا!

ويمتدّ هذا المقطع على سبعة وعشرين بيتاً، محافظاً على الخصائص الشعريّة للبيت، ثم يطالعنا قوله في المقطع التالي[٣١] :

من أيّما رئةٍ؟ من أي قيثارِ
تنهلُّ أشعاري؟
من غابةِ النَّارِ؟
أم من عويل الصبايا بين أحجارِ
منها تنزُّ المياه السود واللَّبِنُ المشويُّ كالقارِ؟

ولعلَّ هذا المقطع يخفّف قليلاً صراخ الصيغ الخطابيّة المباشرة التي جاءت ملائمة لبنية «البيت الشعريّ». هو اشتداد متدرّج، يهبط إلى مستوى أقلّ في نهاية البيت عروضيًّا، ويتابع التصاعد في بداية البيت الآتي، وهكذا تتصاعد الحركة وتهبط. ثمّ يستدعي الوقوف على بعض تفاصيل الجريمة طرائق التصوير المشهديّ التفصيليّ بتحطيم البنية المنتظمة للبيت مع المحافظة على شدّة الانفعال أيضاً.

ويلجأ الشاعر سميح القاسم في ديوانه «شخص غير مرغوب فيه» إلى اعتماد هذا الشكل من التجاور الايقاعي في قصيدتيه «القصيدة المفخّخة» و»أبي».

في «القصيدة المفخّخة» يرصد الشاعر مشاهد القتل المفزعة التي يتعرض لها الفلسطينيون، على أيدي الصهاينة، ويشتدّ وقع الجريمة عندما يتخاذل الموقفان العربيّ والدوليّ، فلا تسمع إلاّ كلاماً إعلاميًّا مشفوعًا بصور القتلى، والتأسّف عليهم، بينما تحمي الأمهات أولادهنَّ بأجسادهن. يقول الشاعر في نهاية القصيدة[٣٢] :

ولدٌ يحاصر أمَّهُ
أمٌ تُغير على الولدْ
بلدٌ يهاجر في بلدْ
وعليَّ أن أمضي
وأن تمضي
وأن نمضي
ونوغلَ في الأبدْ..
حجراً على حجرٍ وينهضُ منزلُ
بين الركامِ، وينهضُ المستقبلُ
عفـواً وهادَ الموتِ ! أنت جميلةٌ
لكـنَّ قمّتنـا الـولادةَ أجمـلُ
وتعالَ
إنّ عناقنا الدمويّ،
فاتحةُ الحقيقةْ
وتعالَ
نبتدئ الخليقةْ!

يبدو أنّ الشاعر لم يعمد إلى التنويع الايقاعيّ ليعكس تغيّراً أو تنوّعاً في موقفيه العاطفيّ والفكريّ؛ إذ تجسّد إرادة الحياة -»قمتنا الولادة أجملُ» و»نبتدئ الخليقة»- الخيار الوحيد الذي سيكون وسيلة الدفاع عن الوجود الفلسطينيّ.

وفي قصيدة «أبي» يتجاور «بيت الشعر» و»التفعيلة» في ثلاث بنى نصيّة لكلّ شكل. ويتمايزان باعتماد الشكل «التفعيليّ» تفعيلة واحدة في المواضع الثلاثة هي فعولن، بينما يعتمد الشكل الثاني البحر الخفيف في الموضع الأول، والكامل في الموضع الثاني، والرمل في الموضع الثالث. وربّما يعكس هذا التجاور تجدّداً في المواجد، لأنّه لم يرتبط بانتقال ممّا هو خاص في

رصد العلاقة بين الابن وأبيه، إلى دلالة ذات بعد رمزيّ يعكس صلة الذات بما هو خارجها؛ ويبدو أنّ هذا البناء النصيّ يعزّز «غنائيّة» القصيدة، على تنوّع شكلها الايقاعيّ. يقول في بداية القصيدة[٣٣] :

كبرتُ
وصرتُ
من الأهل في منزلِ الحزنِ
قلبي ترهّلْ
وضاقت خطايَ
هرمتُ
وغمتُ
وإني لأسألُ نفسي وأسألْ
وأسأل نفسي وأشقى وأضجرْ
ألم يكن العشبُ أنقى وأنضرْ؟
هل الصبحُ أصفر؟
هل الوردُ أغبر؟
ألم يكن الأفق أعلى وأرحبْ
ألم تكن الشمس أزهى وأقرب
كبرتُ
وصرتُ
من الأهل في منزل الحزنِ
يا والدي من تغيَّر؟
وماذا تغيَّر؟
كان قبري، فكيف أصبح قبرك؟
وهو سرّي.. أم أنه كان سرك؟
يا أبـي! والدي! أبـوي! ويابـا
فيكَ وحَّدتُ، والردى فيَّ أشركْ
يا صديقـي وفارسـي وإمامـي
لهفةُ الروح تقطع الموتَ إثركْ
أتشـهّى نداءك الـعذب «ياابنـي»
وجوابي لدى ندائك: «أمركْ!»
غبتَ عني.. هل غبتَ عني، وهذا
طيفـك الحـيُّ بيننـا يتحرَّكْ
لم تـزلْ تمـلأ العباءةُ بيتـي
من ترى يملأ العباءة غيركْ؟

سقنا هذا الشاهد - على طوله - لنبتعد عن الاجتزاء الذي يخلُّ في كثير من الأحيان في تعامل بعض الباحثين مع النصوص.

لكنّ هذا لا يعني أن «الاجتزاء» عند استدعاء الشواهد النصيّة، هو تضليل للتلقّي؛ بيد أنّ طبيعة البحث ووسائله الإجرائيّة تقتضيان هذه الطريقة في التعامل مع النصوص، ولاسيّما تلك التي تتّسم ببنية متكاملة فنيًّا، بعد استقرار التجربة الابداعيّة وتأسيسها مدارها الشعريّ. وفي كلّ الحالات، سياق التلقّي هو من يستدعي دليله النصيّ كاملاً أو مجتزأً.

وربّما كان عصيًّا على الوجدان البحثيّ أن تُعالج هذه الظاهرة في الحركة الأولى من القصيدة، دون أن يُذكر المقطع كاملاً، علماً أنّ الشاعر لم يقسم قصيدته إلى مقاطع؛ وما أسهم في»مقطعيّتها» هو أسلوب التجاور الذي بُني عليه النصّ، ولعلّ هذا الاختيار يضفي على القصيدة تنويعاً ايقاعيًّا، وظيفته فنيّة لا نفسيّة. وإن كان الحامل النفسيّ هو المحرّض الرئيس على التجاوب مع الايقاع العروضيّ، كما نرى. ويبدو أنّ هذه المسألة أسّست لرؤية تؤكّد وجود صلة «بين طبيعة المعاني وطبيعة الأعاريض الشعرية»[٣٤] .

و يستحضر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد لحظة مصافحته لأبيه، فيجعل منها موضوعًا شعريًّا يتجاوز ما هو خاص في تبيان مدى شقاء الإنسان العراقيّ الكادح، لتغدو شخصيّة الأب في القصيدة مكافئًا موضوعيًّا لكلّ

أب عراقيّ عانى الأمرّين في سبيل أسرته، فغدا جرحه جرح وطنٍ، رسمت خارطة شقائه أيدي الناس المعذّبين.

يقول في قصيدة « أختام الدم»[٣٥] :

هي كفُّكَ ليلة أمسكْتَ كفّي فجفَّلتني
أنت قبَّلتني
غيرَ أنّكَ ما قلتَ لي إنَّ كفّي ستُصبحُ كفَّكْ
أنّني سيحفُّ بيَ الموتُ حفَّكْ
ربَّما الحزنُ شَفَّكْ
ربَّما وجعُ القلب،
لم تستطعْ معَهْ أن تقول لطفلِكَ عندَ الفراقْ
أنَّ راحتَهُ سوف تغدو ككفِّكَ
خارطةً لجراحِ العراقْ !
أمسِكْ جذورَ السَّنا..هذي تَواليها
فقد هوَتْ كلُّ شمسٍ من أعاليها
أمسِكْ بقايا ثقوبِ النَّجمِ..إنْ رُدمَتْ
فأيُّ ضوءٍ به تسري لياليها ؟
أمسِكْ جذوعَ الثَّرى، فالأرضُ أجمعُها
تهتَزُّ رعبًا، و أنت الآن غاليها
أنت الصغيرُ الكبيرُ المستَفَزُّ بها
حرًّا، و كلُّ ذوي النُّعمى مَواليها
يا من تُحاصرُكَ الدُّنيا بأجمعِها
فُكَّ الحصار شهيدًا عن أهاليها !

ما عاناه الكبار في العراق العظيم سيعانيه الصغار، و تبقى قوّة الإرادة - فُكَّ الحصار شهيدًا عن أهاليها- و التصميم و البذل و العطاء غير المحدود، هي سبل الخلاص من التأزّم. و يقدّم النصّ صوتين اثنين، كلّ منهما صوت جيل، له خصوصيّة الرؤية، بحضور نصيّ أدّاه التجاور الايقاعي، ليغدو هذا التجاور سبيل النصّ إلى دراميّة الأداء القائمة على تعدّد الأصوات. و تبقى إشارة الانتماء إلى الوطن هي أختام الدم المتوارثة من جيل إلى جيل، و كأنّها علامة فارقة تميّز العراقيين عن سواهم. يقول الشاعر[٣٦] :

كلُّ جيلٍ يجيء
سيرى وشمَهُ فوقَ مائِكْ
و يرى رسمَهُ في سمائكْ
أنجُمًا لامعه
حولَها مُقَلٌ دامعه
و صِفاحْ
و أكفٌّ مقطَّعَةٌ بالجراحْ!
أختامُ مجدِكَ حتى آخر الزّمنِ
أكفُّ أبنائكَ الدّامين يا وطني!
جرحًا فجرحًا...رسمنا العمرَ خارطةً
من رعشةِ المهدِ حتى رعشة الكفَنِ
و نحنُ نسألُ: هل غير الدماءِ لَنا
ختمٌ نوَثِّقُ فيهِ عشقَنا الوَثَني؟!
أم أنَّنا عشقُنا لا يستقيمُ بنا
إلاّ معَ الموت، أو إلاّ مع الشَّجَنِ؟!
الله يا وطني .. الله يا وطني
الله يا وطني .. الله يا وطني
إلى متى نأمَلُ الدُّنيا، و نأمَنُها
و نحنُ منها بسَقفٍ غيرِ مؤتَمَنِ؟!

ما يمكن ملاحظته في أسلوب التجاور المشار إليه آنفًا، هو تغليب العامل الفكريّ في تلقّي النصّ، لا العامل الموسيقيّ. و لعلّ هذا الأمر يجعلنا نسم ايقاعه بأنّه « ايقاع معنى «، و يبدو أنّ ذلك عائد إلى فاعليّته الدلاليّة بشكل رئيس.

و بين سيطرة الموضوع على الانفعال، و قدرة لغة النصّ على تشكيله بقوّة اندفاع عاطفيّ، يأتي التجاور الايقاعيّ ليعكس قدرة الشكل الموسيقيّ على ترجمة ما هو نفسيّ في المقام الأوّل؛ ذلك أنّ فاعليّة الأداء

الصوتيّ المؤدّى بايقاع موسيقيّ خاصّ تمارس وظيفتها في إغناء الدلالة النصيّة متوسِّلة ما هو موسيقيّ أساسًا.

يقول الشعر عبد الرزاق عبد الواحد في قصيدة «سفر التكوين»[٣٧] :

مَنْ يَعرفُ العراقْ ؟
يَعرفُ كيفَ تَلتَقي السُّهولُ و الجبالْ
الضَّوءُ و الظِّلالْ
الواقعُ و الخَيالْ
و المُمكِنُ و المُحالْ؟
هوَ العراقُ..سَليلُ المَجدِ و الحَسَبِ
هوَ الذي كلُّ ما فيهِ حَفيدُ نَبي!
كأنَّما كبرياءُ الأرضِ أجمَعِها
تُنْمَى إليهِ، فَما فيها سِواهُ أبي!
هوَ العراقُ، فَقُلْ لِلدائراتِ قِفي
شاخَ الزَّمانُ جَميعًا و العراقُ صَبي!

فالعراق ليس مكانًا جميلاً و آية من آيات الخالق البديعة فحسب؛ إنّه أرض حضارات و مهد ديانات، مرّتْ عليه أحداث و أهوال و مازال عصيًّا على الضياع. و أمام رؤيَتي الجمال الطبيعيّ و البشريّ، يؤدّي التجاور الايقاعيّ إخراجهما بشكلين شعريين متمايزين، لكنّهما متكاملان. و لعلّ اختتام القصيدة بالشكل الشعريّ للبيت جاء بمنزلة (القفلة الموسيقيّة)، التي تختتم بها المعزوفات الرائعة، تاركة المتلقّي في لحظة تأثّر مباشر بالرسالة. و إذا كان شكل البيت يعزّز غنائيّة النصّ؛ فلا غرو أن تتعزّز غنائيّة التلقّي تأثّرًا بهذا الشكل الايقاعيّ و ما بُني عليه من مكوّنات موسيقيّة ذات طابع خاصّ.

عدَّ «ألسترفاولر» أشكال الجنس الأدبيّ «من أهم الأنظمة الإشارية التي تقوم بتوصيل العمل الأدبي»[٣٨] ، ولعلّنا لا نرى قيمة حقيقيّة للشكل إن لم يكن قادراً على أداء وظيفة دلاليّة؟ وهنا يأتي دور المتلقّي منذ اللحظة التي يدلف بها إلى النصّ عبر بوابة شكله الايقاعيّ، ويبدو أنّ هذه اللحظة مكّنت للبحث في ظاهرة «التجاور».

في قصيدة «كتاب الخوف والعطش» لسعد الدين كليب، تجدنا نطالع شكلين ايقاعيّين ، كلّ منهما يقدّم عرضاً لأحد مكوّنات هذا الكتاب؛ إذ يعتمد تقديم «الخوف» ايقاع التفعيلة منذ بداية القصيدة.

يقول الشاعر[٣٩] :

... وأحيا على أُهبة الموتِ
أبْني قلاعي على كاهل الريحِ.. صبحاً
وأحني جبيني.. لكاهنةٍ في المساءِ
أَمدُّ لها جثَّةً أتعبتها المباءاتُ
واستفحلت في أحشائها الطحالبُ
آنَ احتمتْ بالبكاءِ
أعوذُ بها من عواءٍ تقمَّص لونَ الهديلِ
وندَّابةٍ.. قابلهْ

تستدعي بنية النص دوالَّ الخوف: «الموت، أحني جبيني، جثة، أتعبتها، المباءات، استفحلت، حشاها، احتمت، البكاء، ندّابة»، ولعلّ جمع هذه الدوالّ في بنية ايقاعيّة واحدة استدعى الشكل الايقاعيّ الذي يعتمد التفعيلة، بما يتيحه هذا الشكل من حريّة، وبما يجعله قادراً «على اختزال للايقاع الخارجي لتحقيق أكبر قدر من التوسع الدلالي، فهي عملية توفيق بين إمكانية شكلية وإمكانية مضمونية»[٤٠] . واعتمد النصّ الشكل الايقاعيّ الخليليّ ليقدّم المكوّن الآخر (العطش). يقول في نهاية القصيدة[٤١] :

اسقِ العطاشَ..
فقد أسرفتَ يا مطرُ
صرعاكَ نحنُ.. وفي أثوابك الشجر
خَلَّفْتَنا في عويل الريح..
أغربةً

تبكي بأحشائنا آثار من عبروا
يا سيّد الماء والأحلام متعَبَةٌ
ندعوكَ..
وقت اعتلى أرواحَنا الحجرُ
مُدَّ اليدين،
ففي أخشابنا عطشٌ
قد شفَّها الوجدُ، والنخَّاسُ ينهمرُ
اسقِ العطاشَ،
وعدْ للبيتِ يا مطراً
قد غاله الذئبُ..
واستشرى بنا السفرُ

يبدو أنّ الانحياز إلى كتابة هذا المقطع - وهو من الشكل الايقاعيّ البيتيّ - على هذا النحو، يحقّق «نوعاً من الايقاع الدلاليّ الذي يرتبط بالمعنى أكثر من ارتباطه بالموسيقى»[٤٢].

وهذا التفتيت لبنية البيت الشعريّ يعكس تفتّتاً وتشقّقاً للعطش الوجدانيّ لتحقيق عدالة اجتماعيّة، يتساوى في منظورها أفراد المجتمع كلّهم؛ وكأنّ العطاء ذا المصدر الواحد الذي لا يستثني أحدًا من خيره، يجب أن يكون مصحوبًا بعدالة اجتماعيّة لا تستثني أحداً عند تطبيق مبادئها. وشعريّة النصّ أيًّا كان شكله، «لا يمكن أن تحصر نفسها في قالب ايقاعي بعينه، بل إن لها الحق المشروع في التعامل مع الأنظمة الايقاعية التي تناسبها»[٤٣].

وثمّة تجاور ايقاعيّ قصديّ يشفّ عن ذهنيّة حاضرة فكريًّا عند إبداع النص على نحو منظَّم، يطالعنا هذا النموذج في قصيدة (السيرة الزرقاء) للشاعر نزار بريك هنيدي[٤٤]، كأنّنا أمام كتاب يسرد سيرة حياة الشاعر، وهذا الكتاب – القصيدة- له مقدّمة تمثّلت بعتبة نصيّة أظهرت جمال الأزرق وأبّهته وعظمته ونقاءه وصفاءه، وهكذا مسيرة عطاء الشاعر تنشد الكمال وتغنّي للجمال وتعزّز القيم الإيجابيّة في الحياة. ويبدو أن البناء المقطعيّ يستحضر ما يمكن أن يجعله موازياً لفصول الكتاب وأبوابه وأقسامه، أمّا الهوامش فهي بنية نصيّة مفارقة ايقاعيًّا للمتن النصيّ؛ إذ اعتمد الشاعر فيما سمَّاه الهوامش البيت الشعريّ، بينما اعتمد التفعيلة فيما يمكن أن نسميه المتن. فبعد خمسة مقاطع من القصيدة اختار الشاعر لبنائها التشكيل الايقاعيّ للتفعيلة، ثم جاء ببيتين من الشعر تحت عنوان: هامش. وبعد مقطعين آخرين، جاء بيتان شعريّان ليشكلا هامشاً آخر.

ولعلّ البنيّة الفنيّة للمتن، بما يكتنفها من غموض وتفصيلات وتأويل أحداث وأفعال، ناسبها الشكل الايقاعيّ التفعيليّ، ثم كان الهامش المبني على الشكل الايقاعيّ لبيت الشعر مناسباً للتوضيح والتأثيل والاستخلاص، وكأنّه يؤدّي ما تؤدّيه هوامش الكتب من وظائف؛ ويبدو أنّ هذا الأسلوب يحيل على سمة الغموض في شعر التفعيلة، كما يظهر طابع الوضوح في الشعر الخليليّ.

ثانياً - التجاور مع النثر:

يعكس التجاور الايقاعيّ مع النثر في القصيدة الواحدة، ما حاولت بعض طروحات نظرية الأدب تجاوزه، وهو فكرة نقاء الأجناس أو صفائها. وعلى صعيد الشعريّة، برز هذا التجاور بوصفه خصيصة أسلوبيّة تبيّن مدى قدرة التجربة الشعوريّة على التعبير عن الانفعال وتجسيد الرؤية.

وما وقفنا عليه من نصوص تجسّد هذا التجاور يحيلنا على نموذجين رئيسين، من أمثلتهما :

- ما قدّمه الشاعر عبد العزيز المقالح في ديوانه الشعريّ»كتاب المدن»، إذ يبدأ النصّ بالتفعيلة، ثم ينتهي بمقطع نثريّ، يغلب عليه أسلوب السرد البعيد عمّا تمتاز

به قصيدة النثر من إدهاش وتكثيف وكسرٍ لأفق التلقّي.

يقول في بداية قصيدته دمشق[٤٥] :

لماذا يحبُّ الفؤادُ دمشقَ،
ويشعرُ أنّ دمشق و بغدادَ
نافذتانِ إلى الرُّوحِ،
يقرأُ عبرهما كلّ ما صنعَ اللهُ
بالإخوة النازلينَ هنا و هناكَ،
وما صنع اللهُ منْ قَبْلُ،
منْ بَعْدُ،
والآنَ بالمبتلاةِ العروبهْ

هي تفعيلة المتقارب (فعولن) بما تثيره من حركة ونشاط، وبما تحمله من تصاعد نفسيّ يحفّز التلقّي على دوام الانتباه ليبقى مشدوداً بكليّته إلى النصّ. ويجيء المقطع النثريّ في نهاية القصيدة، فيبدو خلاصة فكرية لما قاله الشعور وعبّر عنه. يقول في نهاية النصّ:

«دمشقُ منْ أقدم بلادِ الله على الأرض» .. هكذا يختزل أحدُ المؤرِّخين تاريخ هذه المدينة العريقة التي استقبلتنا بكلِّ ما في نهار صيفها منْ أضواء الشمس، وما في حدائقها من نسماتٍ تحمل رائحة كلّ الزهور».

ومع أن هذا الكلام يبدو فعلاً تواصليًّا عاديًّا إلا أن وجوده في نهاية القصيدة يمثّل ربطاً شعوريًّا مدركاً لمستفِزَّات حالة الابداع بواقعيها اللاشعوريّ والشعوريّ، فهو يمثّل ما استندت عليه ذاكرة النصّ من خلال العلاقة القائمة بين الذات المبدعة وموضوعها. و هذه الخاتمة النثرية بمنزلة خلاصة فكريّة، تعرض موقف الذات من الموضوع بأسلوب مباشر، لا لبس فيه، بعيدًا عن تقنيات المجاز. و لكنّ أثره الموسيقيّ يبدو واضحًا، و هو أثر إيجابيّ يوضّح تحوّل الايقاع إلى حالة أكثر هدوءًا، لعلّها تناسب ايقاع الشكل النثريّ المحايد شعريًّا.

- النموذج الثاني يشكّل فيه النثر جزءاً رئيساً - مهما تعدّد حضوره - من نسيج المتن النصيّ. و من صوره البارزة مجيءُ المقطع النثريّ مجاورًا للبيت الشعريّ، كقصيدة (الحيارى) لعبد الناصر حداد؛ إذ يقول[٤٦] :

و حيارى كانوا..حيارى..رحلت طيورهم بلا حناجر،
و نامت أشجارهم شاحبة على أكداس جثث و رميم،
حيارى
في ظلامات جُمّعت فوق بعض و متاهات مزمنة و مشاهد
مشبوهة و أشياء أخرى..
...
نعيد الدروب إلى دربها
و نُسْلِكها مسلكًا شائكا
فتنأى المسارات عن سيرنا
و تنحو بنا منحنىً منهِكا
كأنّا خُلقنا فقط للضياعِ
فأضحتْ متاهاتنا مَهْلكا

لعلّ التجاور السابق يبيّن التحوّل الموسيقيّ، بين انسيابيّة هادئة منضبطة بايقاع النفس، و انسيابيّة مؤدّاة بضابط موسيقيّ، عبّر عنه ايقاع البيت الشعريّ المنتظم. و يبدو أنّ هذا التحوّل في الأداء الموسيقيّ يقيس مدى التوتّر الذي يرغب الشاعر في التعبير عنه، من خلال التحوّل في الشكلّ الايقاعيّ، و ما سيتبعه من تحوّل في الأداء الصوتيّ أيضًا.

وفي بعض نماذج التجاور بين التفعيلة و النثر، يبدو الأداء النثريّ سردًا وصفيًّا و أحد مكوّنات البنية الدراميّة للقصيدة، إذ يطغى أسلوب السرد القصصيّ على التشكيل الفنّي للقصيدة، فيظهر أداء فنيًّا لازمًا لتثبيت واقعيّة التجربة، و نقلها بانفعال صادق إلى المتلقّي. تقول فدوى طوقان في قصيدتها (كوابيس الليل و النهار)

[٤٧] :

في صحف القدس اليومية أرمي عينيّ
أقرأ خبرًا كالأخبار:
« بيت لحم- فوجئ المزارعون في
خربة بيت سكاريا بمجموعة من
الجرافات خرجت من مستعمرة كفار
عصيون و شرعت في قلع المزروعات
في أراضي تلك البلدة».
اقرأ شكوى مرفوعة
لوزير الحرب:
« إبراهيم عطا الله من بيت سكاريا
شمال كفار عصيون- قضاء بيت لحم.
الموضوع: مصادرة أراض زراعية تخصني.
ذات الأخبار ..
لا شيء جديد في الأخبار.
لا شيء مثير..

و قد يغدو رصد الفارق بين ما يقدّمه المقطع النثريّ أو التفعيلة عصيًّا على التحديد لسيطرة البنية الذهنيّة الإشراقيّة على تكوين الصورة متماهية في الايقاع النفسيّ. ولعلّ قصيدة (الغائب في الإشارة و المنازلات) [٤٨] للشاعر وفيق سليطين تجسّد هذا النموذج بشكل جليّ. تعكس حالة الاغتراب التي عاشها الشاعر عن بلده سوريا في سلطنة عمان، واقعاً نفسياً متشظّياً بين مكانين، لكلّ واحد منهما خصوصية انتماء.

يقول الشاعر [٤٩] :

أدخلُ يا عمانْ
منتصف الأسرارْ
شرنقةً محبوكةً بالرمل والغبارْ
لستُ أنا الضوءَ
الذي يفور بي

أيعقل أنّ الحضور الحقيقيّ للشاعر في مكانه الجديد لم يتحقّق وجدانيًّا؟ ممّا استدعى حضوراً ذا بنية فكريّة تفرض على النفس عقد مقارنة عقلانيّة بين رحلتين، قوامها التذكّر، واستحضار ما فات لاستقبال ما هو قادم.

يقول الشاعر [٥٩] :

دمشق
بك أتذكر المستقبل
وأراني معلّقاً بمسلة «سميراميس»
طالعاً من «الليالي»
ومفتوناً بحرائق الصلصال.

أدّى الانتقال إلى النثر توكيد الحالة الذهنيّة، القائمة على المقارنة بين واقع الحال، وما أدّاه المقال استحضاراً للآتي، بدءاً من المكان الذي رسم للشاعر صورة القادم. ولعلّ قدرة النثر على التقصّي ورصد الجزئيّ والقصّ والتعبير غير المقيّد بما يفرضه النظام الايقاعيّ للتفعيلة؛ جعل التجاور ضرورة فنيّة تعمّق النزوع الصوفيّ في الحالة الانفعاليّة التي أراد النصّ أن يقدّمها.

ويبدو أن التجاور مع النثر في القصيدة الواحدة يعكس تمكيناً للفكر، وتغليباً للعقل، وتهدئة لانفعال الشاعر، فيغدو النثر شاطئاً ترسو عليه أمواج المشاعر والانفعالات.

الخاتمة:

يبدو البحث في تجاور الأشكال الايقاعيّة في القصيدة الواحدة تنظيراً لبعض نماذج التجريب في الكتابة الشعريّة الحديثة، وهو ما يحتاج إلى تتبّع للظاهرة في سياق حركة الشعر العربيّ الحديث، و قد تجنّب البحث ذلك، تاركاً هذه المهمة لمن يقوم بها مستقبلاً.

والجدير بالذكر أنّ الظاهرة المدروسة مرتبطة بالحالة الانفعاليّة والنفسيّة للشاعر، على أساس أن طبيعة الانفعال هي من يفرض شكل تجلّيه. وما وقفنا عليه يبين شيوع التجاور الايقاعيّ بين «بيت الشعر»

و»التفعيلة»، أكثر من التجاور مع «النثر». و ربّما يعود ذلك إلى أنّ الشعراء الذين وجدت عندهم هذه الظاهرة ليسوا شعراء قصيدة النثر، بمفهومها المتعارف عليه نقديًّا، إنّهم شعراء الوزن - أيًّا كان شكله الايقاعيّ- بيد أنّهم يلجؤون إلى النثر في التعبير عن انفعالاتهم، إذا استدعى المقام ذلك.

و ممّا تجدر الإشارة إليه الغنى الموسيقيّ الذي تكسبه ظاهرة تجاور الأشكال الايقاعيّة للقصيدة، و هو غنى قائم على التنوّع الموسيقيّ، و على الانتقال من ايقاع إلى آخر، في النص الواحد، بما ينسجم مع الموقف الذي يرصده النصّ. و بذلك تشكّل الظاهرة سمة نصيّة، لها أثرها الإيجابي الفاعل في تحديد قوام شعريّة القصيدة.

الهوامش

١ - بنيس. محمّد – الشعر العربيّ الحديث ٣- الشعر العربيّ المعاصر. دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦، ص١١.

٢ - الهيب. أحمد فوزي - إيقاع الشعر العربيّ من الدائرة إلى الحرف. دار القلم العربيّ، دار الرفاعيّ، حلب، ٢٠٠٤، ص١٥.

٣ - من هذه الدراسات -على سبيل المثال-: آلوجي. عبد الرحمن- الإيقاع في الشعر العربيّ. دار الحصاد، دمشق، ١٩٨٩.

٤ - الورتاني. خميس – الإيقاع في الشعر العربيّ الحديث خليل حاوي نموذجاً. دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٥، ج١، ص٣٠. وللتوسّع في الوقوف على مفهوم الإيقاع وتعالقه مع بعض المصطلحات كالوزن مثلاً، ينظر: الزياني. خليل- حول علم الإيقاع الشعريّ دراسة في مناهج البحث. مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع(٣)، مج(٤٣)، يناير- مارس، ٢٠١٥.

٥ - عيد. محمّد عبد الباسط - البنية الإيقاعيّة بين الانسجام النصيّ والتشاكل الموسيقيّ. مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج(٧٠)، مج(١٨)، ٢٠٠٩، ص٣٠٩.

٦ - غر كان . رحمن- مرايا المعنى الشعريّ أشكال الأداء في الشعريّة العربيّة من قصيدة العمود إلى القصيدة التفاعليّة. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان ومؤسسة دار الصادق الثقافيّة، العراق، ٢٠١٢، ص١٩.

٧ - تاوريريت. بشير – الشعريّة والحداثة بين أفق النقد الأدبيّ وأفق النظريّة الشعريّة . دار رسلان، دمشق، ٢٠٠٨، ص١٠٢.

٨ - ينظر: كوين. جون – بناء لغة الشعر. ترجمة وتقديم وتعليق أحمد درويش، دار المعارف، مصر. ط٣، ١٩٩٣، ص١٩-٢٠.

و: الهاشمي. علوي – فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. وزارة الثقافة، مملكة البحرين، والمؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦، ص٦٠-٦١.

٩ - ديوب. سمر – الخطاب ثلاثي الأبعاد دراسات في الأدب العربيّ المعاصر. دائرة الثقافة، الشارقة، ٢٠١٧، ص٣٢.

١٠ - الصكر. حاتم – في غيبوبة الذكرى دراسات في قصيدة الحداثة. كتاب مجلة دبي الثقافيّة، ديسمبر، ٢٠٠٩، ص١٤١.

١١ - الصائغ. يوسف – الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٨٥. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٨٣-١٨٤.

١٢ - بدران. عبد الحميد محمّد – التجديد الموسيقيّ في الشعر العربيّ الحديث. مجلة مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، ع(٨٦)، السنة(٣٨)، كانون الثاني – حزيران، ٢٠١٤، ص٢٣٩.

١٣ - أبو سمرة. جمال- بنية القصيدة الشعريّة عند فايز خضور. الهيئة العامة السوريّة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢، ص٢٠٨.

١٤ - اطيمش. محسن – دير الملاك دراسة نقديّة للظواهر الفنيّة في الشعر العراقيّ المعاصر. دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة دراسات(٣٠١)، العراق، ١٩٨٢،ص٢٨٥.

١٥ - عراقي. مصطفى – تجدد موسيقا الشعر الحديث بين التفعيلة والإيقاع. مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، ج(٧١)، مج(١٨)، نوفمبر، ٢٠١٠، ص٢٦.
١٦ - مينو. محمد محيي الدين – أسئلة شعر التفعيلة. منشورات منطقة دبي التعليمية، الإمارات العربيّة المتّحدة، ٢٠١٤، ص٤١.
١٧ - نفسه. ص٤١-٤٢.
١٨ - اطيمش. محسن – دير الملاك. مرجع سابق، ص٢٨٥.
١٩ - نفسه. ص٢٨٥.
٢٠ - ساعي. أحمد بسام – حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه. دار المأمون، دمشق، ١٩٧٨، ص٤١.
٢١ - إسماعيل. عز الدين – الشعر العربيّ المعاصر قضاياه وظواهره الفنيّة والمعنويّة. دار الفكر العربي، ط٣، د.ت، ص٦٣.
٢٢ - اطيمش. محسن – دير الملاك. مرجع سابق، ص٢٨٥.
٢٣ - داغر. شربل – الشعريّة الحديثة تحليل نصيّ. دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص٣٢.
٢٤ - عبيد. محمد صابر- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١، ص٢١٢و٢٢٠و٢٢٤.
٢٥ - أبو سمرة. جمال- مكوّنات البنية الدراميّة و تطوّرها في الشعر السوري المعاصر. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨، ص ٤١٦.
٢٦ - الصفدي. بيان- أمراء الكلام دراسات في الشعر. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨، ص ١٣٦.
٢٧ - القصراوي. مها حسن يوسف – النص الأدبيّ بين مصطلحي التداخل والتراسل رواية «براري الحمّى» لإبراهيم نصر الله نموذجاً. مجلة الجامعة الإسلاميّة، غزّة، ع(١)، مج(٤١)، ٢٠١٤، ص١٠.
٢٨ - بنيس. محمّد – الشعر العربي الحديث ١- التقليديّة. دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١، ص١٢٥.
٢٩ - نفسه. ص١٢٨.
٣٠ - السيّاب. بدر شاكر – الأعمال الشعريّة الكاملة. دار العودة، بيروت، م١، ٢٠٠٠، ص٤٩٢.
٣١ - نفسه. ص٤٩٥-٤٩٦.
٣٢ - القاسم. سميح – شخص غير مرغوب فيه. دار الكلمة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص٣٨-٤٠.
٣٣ - نفسه. ص٤٣-٤٤.
٣٤ - أدونيس – الشعرية العربية. دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٩، ص٢٦.
٣٥ - عبد الواحد. عبد الرزاق- قمر في شاطئ العمارة. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥، ص١٠٠-١٠١ .
٣٦ - نفسه. ص١٠٤-١٠٥ .
٣٧ - عبد الواحد. عبد الرزاق – يا نائي الدار. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٧٤ و ١٧٦ على التوالي.

٣٨ - ينظر: ويس. أحمد محمد – ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي بحث في المشاكلة والاختلاف. وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢، ص٢٢.
٣٩ - كليب. سعد الدين – وأشهد ... هاك اعترافي. دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٣، ص٣٩.
٤٠ - عبد المطلب. محمد – بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي. دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٥، ص٣٦٣.
٤١ - كليب. سعد الدين – مصدر سابق. ص٤٤-٤٥.
٤٢ - عبد المطلب. محمد – بناء الأسلوب في شعر الحداثة. مرجع سابق، ص٣٧٣.
٤٣ - عبد المطلب. محمد – تحولات اللغة الشعرية الجديدة. بحث منشور ضمن كتاب «الشعر العربي الحديث أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الثالث عشر ١٠-١٢ ديسمبر ٢٠٠٥»، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، ج١، ص١٠٢.
٤٤ - هنيدي. نزار بريك – الأعمال الشعرية. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٥، ص٣٥٠-٣٦٠.
٤٥ - www.scribd.com، إذ لم أتمكن من الوقوف على نسخة ورقية من الديوان.
٤٦ - حداد. عبد الناصر- ذاكم دمي..وعليّ تشكيل النهار. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١، ص١٢١-١٢٣.
٤٧ - طوقان. فدوى- ديوان فدوى طوقان. دار العودة، بيروت، ١٩٨٨، ص٥٨٦-٥٨٧ .
٤٨ - سليطين. وفيق – معاكسة لأوابد الضوء. دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٤، ص٣٢-٤٢.
٤٩ - نفسه. ص٣٣.
٥٠ - نفسه. ص٣٦.

المصادر والمراجع

١- آلوجي. عبد الرحمن – الإيقاع في الشعر العربي. دار الحصاد، دمشق، ١٩٨٩.

٢- أبو سمرة. جمال – بنية القصيدة عند فايز خضور. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٢.

٣- مكوّنات البنية الدراميّة و تطوّرها في الشعر السوري المعاصر. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨.

٤- أدونيس – الشعريّة العربيّة. دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.

٥- إسماعيل. عز الدين – الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. دار الفكر العربي، ط٣، د.ت.

٦- اطيمش. محسن – دير الملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر. دار الرشيد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسة دراسات(٣٠١)، العراق، ١٩٨٢.

٧- بدران. عبد الحميد محمد – التجديد الموسيقي في الشعر العربي الحديث. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع(٨٦)، السنة(٣٨)، كانون الثاني – حزيران، ٢٠١٤.

٨- بنيس. محمد – الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها ١- التقليدية. دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١.

٩- الشعر العربي الحديث ٣- الشعر المعاصر. دار توبقال، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٦.

١٠- تاوريريت. بشير – الشعرية والحداثة بين أفق النقد وأفق النظرية الشعرية. دار رسلان، دمشق، ٢٠٠٨.

١١- حداد. عبد الناصر- ذاكم دمي..وعليّ تشكيل النهار. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١.

١٢ - داغر. شربل – الشعرية العربية الحديثة تحليل نصي. دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٨.

١٣ - ديوب. سمر – الخطاب ثلاثي الأبعاد دراسات في الأدب العربي المعاصر. دائرة الثقافة، الشارقة، ٢٠١٧.

١٤ -الزياني. الخليل – حول علم الإيقاع الشعريّ دراسة في مناهج البحث. مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع(٣٩)، مج(٤٣)، يناير – مارس، ٢٠١٥.

١٥ - ساعي. أحمد بسام – حركة الشعر الحديث في سورية من خلال أعلامه. دار المأمون، دمشق، ١٩٧٨.

١٦ - سليطين. وفيق – معاكسة لأوابد الضوء. دار كنعان، دمشق، ٢٠٠٤.

١٧ - السياب. بدر شاكر – الأعمال الشعرية الكاملة. دار العودة، بيروت، ٢٠٠٠.

١٨ - الصائغ. يوسف – الشعر الحرّ في العراق منذ نشأته حتى عام١٩٥٨. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٦.

١٩ - الصفدي. بيان- أمراء الكلام دراسات في الشعر. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٨.

٢٠ - الصكر. حاتم – في غيبوبة الذكرى دراسات في قصيدة الحداثة. كتاب مجلة دبي الثقافية، ديسمبر، ٢٠٠٩.

٢١ - طوقان. فدوى- ديوان فدوى طوقان. دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.

٢٢ - عبد المطلب. محمد – بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي. دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٥.
٢٣ - تحولات اللغة الشعرية الجديدة. بحث منشور ضمن كتاب (الشعر العربي الحديث أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الثاني عشر ١٠-١٢ ديسمبر ٢٠٠٥)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
٢٤ - عبد الواحد. عبد الرزاق- قمر في شاطئ العمارة. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
- يا نائي الدار. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩.
٢٥ - عبيد. محمد صابر- القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية. اتحاد الكتاب العرب، دمشق،٢٠٠١.
٢٦ - عراقي. مصطفى – تجدد موسيقى الشعر الحديث بين التفعيلة والإيقاع. مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج(٧١)، مج(١٨)، نوفمبر، ٢٠١٠.
٢٧ - عيد. محمد عبد الباسط – البنية الإيقاعية بين الانسجام النصي والتشاكل الموسيقي. مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ج(٧٠)، مج(١٨)، أغسطس، ٢٠٠٩.
٢٨ - غركان. رحمن – مرايا المعنى الشعري أشكال الأداء في الشعرية العربية من قصيدة العمود إلى القصيدة التفاعلية. دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان ومؤسسة دار الصادق الثقافية، العراق، ٢٠١٢.
٢٩- القاسم. سميح – شخص غير مرغوب فيه. دار الكلمة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦.
٣٠- القصراوي. مها حسن يوسف – النص الأدبي بين مصطلحي التداخل والتراسل رواية "براري الحمى" لإبراهيم نصر الله نموذجاً. مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، ع(١)، مج(٤١)، ٢٠١٤.
٣١- كليب. سعد الدين – وأشهد... هاك اعترافي. دار الينابيع، دمشق، ١٩٩٣.
٣٢- كوين. جون – بناء لغة الشعر. ترجمة وتقديم وتعليق أحمد درويش، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٩٣.
٣٣- مينو. محمد محيي الدين – أسئلة شعر التفعيلة. منشورات منطقة دبي التعليمية، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٤.
٣٤- الهاشمي. علوي – فلسفة الإيقاع في الشعر العربي. وزارة الثقافة، مملكة البحرين، والمؤسسة العامة للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦.
٣٥- هنيدي. نزار بريك – الأعمال الشعرية. الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٥.
٣٦- الهيب. أحمد فوزي – إيقاع الشعر العربي من الدائرة إلى الحرف. دار القلم العربي، دار الرفاعي، حلب، ٢٠٠٤.
٣٧- الورتاني. خميس – الإيقاع في الشعر العربي الحديث خليل حاوي نموذجاً. دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٥.
٣٨- ويس. أحمد – ثنائية الشعر والنثر في الفكر النقدي بحث في المشاكلة والاختلاف، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢.
٣٩-الموقع الإلكتروني: www.scribd.com

اللغةُ القانونيةُ وأخطاء الدلالة والتداول والتركيب في البحث القانوني

The Legal language and errors of significance، deliberation and synthesis in legal research.

م.د لطيف نجاح شهيد القصاب
جامعة وارث الأنبياء / كلية القانون

Dr. Latif Najah Shaheed Al-Qassab
.Warth Alanbia' University / College of Law

كلمات مفتاحية : المدونات القانونية/ اللغة القانونية/ اللغة التقريرية / اللغة العربية

ملخص البحث

إذا كانتِ اللغةُ تعيشُ في أذهان أبنائها في صورة أنظمة وقوانين – قواعد – فإنّ الوجود المادّي لها يتحقّق في نطق أصحابها؛ ذلك أنّ النطق يتكوّن من أصوات لغوية، تُنطق، وتُسمع، ويُفهم المقصود منها، ومن ثمَّ فإنَّ الوجود المادّي للغة هو الصورة النطقية لها التي تصدر عن جهاز النطق في الإنسان، وتنتقل عن طريق الوسط الناقل على شكل ذبذبات صوتية إلى أُذن السامع ، وهو ما يشكّل مادّة لعلم الفونوتيقيا الذي يعر ف بأنّه «دراسة التصويت بصورة عامّة، أي اشتغاليّة الأعضاء التي تشترك في إنتاج أصوات اللغة الإنسانية وفي تلقّيها» ، أو هو «العلم الذي يهتمّ بدراسة الأصوات المنطوقة في لغة ما وتحليلها وتصنيفها بما في ذلك طريقة نطقها، وانتقالها وادراكها» ، ومن ثمّ فإنّنا سنعرض في هذا البحث لنظرية السمات المميزة التي تشكّل عماد علم الفونوتيقيا الذي يكوّن هو الفونولوجيا النظام الصوتي التوليدي.

Abstract

The research revolves around the legal language and its requirements to control the legislative texts and make it a practical tool that performs the function of disclosing and clarifying the intentions of the legislator by using the necessary technical drafting tools. The research، on the other hand، triumphs over the view that the legislator's language، as well as the language of the legal researcher، should be made easy to understand and comprehensive. It does not entail the difficulty of reaching the originator's Intention for the majority of the recipients. It also shows the discussion of examples of significance and structural errors that may effect some legal texts with in the frame of published legal articles and the details of them، as well as alerting to some written errors that may find a course in some styles of writers who are involved in the authoring of legal researches as a result of the low linguistic level of a group of those researchers In addition to the absence of precise linguistic control over publications، especially methodology، these publications، which by their nature represent educational books and their authors are supposed to avoid، of course، the pitfalls of drafting errors، especially if the error mentioned here or there، which makes it easier to remedy a little recall and attention; More generally، it does not come out of the circle of simple expressions of errors، a problem that should be accompanied by a pre-university degree، and it is not appropriate at all to infiltrate the systematic authorship space.

المقدمة

يتناول البحث علاقة الجانب اللغوي في ضبط النصّ القانوني من حيث الدلالة عن المراد ومدى مسؤوليته في جعل النصوص مادةً لاختلاف الرؤى، ومن ثم ميداناً لتصارع التفاسير، هذا التصارع الذي قد يطيح بجوهر الفكرة القانونية أو يقود إلى الانحراف عن خطوطها العامة، ومن ثم تلاشي معالمها أو ضياع جزء أصيل من أجزائها كما يتناول البحث مشكلة ضعف الصياغة على المستويين الدلالي والتركيبي في قسم من المؤلفات القانونية سواءً ما كان منها مرتكباً على سبيل السهو أو التَّعَمُد. وبخصوص مسؤولية المستوى الأول عن أخطاء الصياغة فقد أشرنا في متن البحث إلى مصادر تلك الأخطاء إجمالاً مع ذكر جملة من الأمثلة المناسبة ، أما المستوى الثاني، وهو المستوى التركيبي ، فقد نقلنا نماذج من الأخطاء النحوية المبثوثة في أحد الكتب القانونية المنهجية المتداولة ولكن من دون التشدد في منهج التخطئة مقتصرين على رصد ما يشذّ عن مسلّمات النظام اللغوي العربي العام، ويمثل بطبيعته قدحاً في المستوى الثقافي للكاتب لاسيما إذا كان الكتاب متداولاً على ناطق واسع بين أوساط المتعلمين والباحثين.

وعلى الرغم مما تحدثه أخطاء الإملاء والطباعة والترقيم أو التنقيط من إرباك في المشهد اللغوي العام لكننا لم نأت على ذكر شيء منها على وجه التفصيل في جملة ما رصدناه منها على كثرتها واتساع رقعة الخرق فيها كما في حالات الخلط المشين بين كتابة التاء الطويلة والمقصورة في كثير من كلمات الأسماء والأفعال فضلاً عن الإخفاق الحاد في رسم همزتي الوصل والقطع وكذا ما يتصل بالهمزتين المتوسطة والمتطرفة وغير ذلك مكتفين بالإشارة العابرة لعلّ في ذلك عوناً في تداركها . وليس مردّ التغاضي عن تتبع تلك الأخطاء تفصيلياً وتصويبها كلاً على حدة راجعاً لضآلة أهميتها أو قلة تأثيرها ، ولكن لأن هذا النوع من الأخطاء أصبح يمثل ظاهرة مشتركة لا ينحصر وجودها في مؤلفات القانون وحدها أو غيرها ، إذ لا يكاد يسلم من آثار هذه الآفة المؤسفة ضرب من ضروب التأليف المعاصر حتى المعنية منها بالشأن اللغوي البحت . ومن نافلة القول التصريح بأن ما يقف في مقدمة أسباب انتشار هذه الظاهرة واستشرائها المستمر هو الإخفاق في تدريس مادة اللغة العربية على الوجه الصحيح في مراحل الدراسة الأساسية فضلا عن الانسياق وراء موجة التأليف العشوائي ، وانتفاء وجود الرقابة اللغوية على مطبوعاتنا المؤلفة باللغة العربية أو انحسارها إلى حد كبير.

يبقى أن نشير قبل الولوج إلى التفاصيل البحث إلى الاقرار بحقيقة أن جملة من الدراسات السابقة التي عنيت بموضوع صياغة اللغة القانونية كان لها أثر طيب في ترصين هذا الاتجاه ، وقد أفاد منها الباحث على المستوين النظري والعملي لكن الحاجة تظل قائمة لزيادة البحث في هذا المجال لاسيما من الناحية النوعية في ظل ما يُرصد من ركاكة مستمرة في طبيعة الصياغات اللغوية لعدد كبير من مؤلفات القانون.

التعبير والتغيير

اللغة في المقام الأول هي أصوات منطوقة وتحتمل العبارة الشفهية غالباً أكثر من مقصد واحد، فعبارة : «صباح الخير» التي يراد من النطق بها التحية في المقام الأول قد تنصرف إلى معان شتى تصل إلى

حدود التغاير والتضاد الدلالي أحياناً بحسب بعض السياقات إلى درجة أنها تطلق في بعض المواقف ويراد بها التوبيخ ! ومثال ذلك أن يقول رب العمل لموظف ضبطه نائماً : صباح الخير![١] .وهذا الذي ذكرناه مما يتصل بالتغيير في المستوى الدلالي شفهياً يشمل اللغات عامة عربية وأجنبية ، وينطبق بدرجة ملحوظة على النصوص المكتوبة، ومنها بطبيعة الحال اللغة القانونية بما تشتمله على نصوص مكتوبة .والنصّ القانوني من حيث الأصل لا يخرج عن دائرة التعريف اللغوي للنصّ المدون، ويعبر عنه في لغة القانون بكونه ((أصغر وحدة لغوية مستقلة ترد في قانون)) [٢] .وبطبيعة الحال فإن المدونات القانونية حتى المدونة منها تدويناً حديثاً ودقيقاً لا تمتاز بسمة الثبات المطلق إذ المعنى القانوني المؤطر بلفظ موحد يمكن أن ينشطر إلى تأويلات متعددة وفي زمن واحد بحسب تعدد مستويات الفهم والقراءة ، يقول الدكتور محمود السعران في هذا الصدد : ((يصدر القانون بعد العناية الفائقة بصياغته صياغة دقيقة منعاً للبس ، وتصحبه مذكرة تفسيرية، ولكن عند التطبيق تثور إشكالات وتختلف أحكام القضاة، فتصدر تفسيرية للتفسيرية)) [٣] .

وبصرف النظر عن الرأي الذي يذهب إلى أن اللغة القانونية المكتوبة تمتاز بثبات الصياغة خصوصاً في بعض فروع القانون كالقانون الجنائي على سبيل المثال ، لكنها مثل أي لغة أخرى يتعرض معجمها الخاص باستمرار لعوامل التبدل، والانزياح، وانتقال المعاني بحسب سنن التطور الدلالي التي تصيب طائفة ليست بالقليلة من التراكيب والألفاظ اللغوية، وهي سنة تشمل اللغات الحية كافة ، فقد استهلت مؤلفة كتاب اصطلاحات القانون الانكليزي (هيلين جابي) مقدمة كتابها بالقول إن بعض المفردات القانونية المستعملة في تأليف هذا الكتاب قد تغيرت تغيراً كبيراً وأن جزءاً مما كان مستعملاً في الطبعات القديمة اختفى بالكامل من هذه الطبعة الجديدة بحكم التغيير الذي جرى على النظام القضائي في المملكة المتحدة[٤] . من هنا فإن التدوين من هذه الجهة يشبه اللغة الشفهية العادية التي تتغير دلالاتها الأصلية إهمالاً أو تضييقاً أو اتساعاً مع مرور الوقت كما هو الملاحظ دائماً . خذ مثلاً جُمَل من قبيل « كسر الرجل، وفقء العين» ،وما يجري مجراهما مما هو مسموع أثناء حالات الشجار بين الأفراد ، ولا تعدّ تهديداً واقعياً يستلزم الجزاء بحسب القضاء المعاصر، وذلك لأن العبارات آنفة الذكر صارت أشبه شيء باللغو المفتقر لقصد ارتكاب تلك الجرائم بالفعل[٥] ، لخروجها من دائرة العرف القانوني الذي يقرنها بجزاء محدد الى دائرة العرف الاجتماعي الذي لا يستلزم وجود مثل هذا الجزاء عادة إلا في إطار استثناءات محددة بعوامل زمنية ومكانية خاصة ؛ ذلك أن العرف لكي يرتقي إلى مستوى المصدر القانوني بمعنى تأهيله ليكون حاكماً على واقعة ما لابد له من حيازة شروط العمومية والقِدَم والثبات في زمن الواقعة [٦] .أما الفاقد للشروط السابقة أو أحدها فقد ينتهي به المطاف إلى تغيير نوع الجزاء تشديداً أو تخفيفاً ، ومما يجري في هذا السبيل التمييز بين جريمتي القذف والسب في من يصف خصمه بعبارة (ابن الزنا) ؛ إذ قد تكون هذه العبارة – بحسب أعراف سابقة - كفيلة بترتيب جزاء صارم على مطلقها بوصفها جريمة قذف، لكنها تجري على

الألسن الآن وفقاً للأعراف السائدة حالياً بوصفها سباً لا قذفاً [٧] .

فهم القانون وتفسيره

يرتبط علم القانون بعلم اللغة ارتباطاً وثيقاً ؛فالنصّ القانوني يظل شيئاً عصيّاً على الفهم من دون تحويله إلى مادة لغوية مفهومة قابلة للقياس والتطبيق سواءٌ ما كان حرفياً منه أم غير حرفيّ . فالخطاب القانوني يتضمن –إجمالاً- إما أمراً بالقيام بفعل معين أو نهياً عنه أو إباحته من دون أمر أو نهي عنه[٨] .وكل هذا يستلزم خبرة لغوية عالية ، ومهارة في تخيّر الألفاظ وصياغة التراكيب بالنسبة للمنشئ إذ التفسير القانوني بحسب بعض وجهات النظر لا يكاد يختلف اختلافاً ذا بالٍ ((عن المعنى اللغوي للتفسير الذي هو الكشف والإظهار)) [٩] .

وبقدر ما يتعلق الأمر بدلالة الألفاظ على المعاني فإن ألفاظ اللغة تتوزع على ثلاثة أنواع من الدلالات هي الدلالة المطابقية وتعني دلالة الكلمة على تمام المعنى كدلالة لفظ الإنسان على كل فرد من بني آدم والدلالة الثانية هي الدلالة التضمنية وذلك عندما يشتمل اللفظ الواحد على أكثر من معنى واحد ويكون كل معنى من المعاني المختلفة دالاً على جزء من المعنى الكلي كدلالة المدرسة على البناية ،وعلى الأساتذة ، وعلى الطلبة . أما النوع الثالث من أنواع الدلالة فيسمى بالدلالة التلازمية وتعني وجود تلازم بين معنى اللفظ الأصلي ومعنى آخر كما في لفظ (أمر) الذي يدل على معنى الأمر وهو يدل في الوقت نفسه على معنى الطاعة [١٠]. وبقدر ما يتعلق بالتراكيب فهي القواعد اللغوية ولاسيما الكتابية منها وهي جملة ما يجب على الباحث في الشأن القانوني مراعاتها في إنشاء نصوصه ولا ينبغي أن يُعذر جاهل بارتكابها عمداً أو سهواً ، وسنورد لاحقاً ما نقصده بتلك القواعد على وجه التحديد.

وقد كان قدماء العرب يولون أهمية بالغة لارتباط قواعد اللغة أي النحو بالفقه والقضاء ، وهما المصطلحان اللذان يرادفان المفهوم الحالي لمعنى القانون ، ومما نقلته كتب التراث عن أحد قدماء الفقهاء قوله : ما زلتُ أفتي الناس منذ ثلاثين سنة بكتاب سيبويه[١١] وقد يكون من الملائم في هذا السياق الاستشهاد بما وقع بين الكسائي اللغوي وأبي يوسف القاضي ، وفحواه أن الأول سأل الثاني ما تقول في غلام لك قُتل فاتهمت به رجلين فسألتهما عن أمره فقال أحدهما : أنا قاتلٌ غلامك ، وقال الآخر : أنا قاتلُ غلامك أيهما القاتل عندك فقال أبو يوسف كلاهما القاتل فما كان من الكسائي إلا أن خطّأه على الفور بدعوى أن القاتل هو القائل : أنا قاتلُ غلامك لا من قال : أنا قاتلٌ غلامَك ؛لأن لفظ (قاتلُ) -من دون تنوين- يدل على ارتكاب الحدث في الماضي بخلاف لفظ (قاتلٌ) الذي يستبطن التوعد والتهديد بالقتل ليس إلا[١٢]. وهو نصٌ صالح للاقتباس إلى حدّ معتد به ،ولا يقدح فيه كونه خطاباً شفهياً بملاحظة شيوع التطابق ولو نسبياً بين اللغتين الشفهية والتحريرية في ذلك الوقت ، وتشابه أدوات الفهم والاستيعاب في نطاق علوم اللغة والفقه ونحوهما ؛ لأنها كانت مؤسسة بمجملها على أصول منطقية متشابهة ، على الرغم مما يثار من سجال يخوض في فكرة تفوق لغة التشريع على اللغة الفقهية، والعكس[١٣]. إذ إن سجالاً من هذا النوع تنبغي مقاربته من جهتين:

الأولى : أن الموضوعية تقتضي التركيز على النواحي

الإيجابية التي تجمع بين الطرفين اتفاقاً واختلافاً ، فكثيراً ما التزمت لغة القانون الحديث بلغة الفقه ، واستثمرتها في ما استحدثته منها من مفاهيم ودلالات لاسيما في إطار قوانين الأحوال الشخصية ، من ذلك مثلاً مفردة الفسخ ومعناه لغةً زوال مَفْصِل الكتف عن موضعه، ثم استعمله الفقهاء القدماء بمعنى نقض عقد البيع، ونقض عقد النكاح ، وتابعهم على ذلك المحدثون، ومنهم أرباب القانون المعاصرون[١٤]. وكذلك مفردة الطعن ومعناها لغةً الضرب بالرمح ثم استعملها فقهاء الشريعة في علم الحديث والرواية كقولهم هذا مطعون فيه أي مردود القول واستعملها المحدثون بمعنى قضائي لا يتعدى دائرة القدح وهو لا يختلف في الأصل عما استعمله القدماء ، ومنه الطعن في الدعاوى والطعن في الانتخابات ونحو ذلك [١٥] .أما على صعيد الاختلاف بين النظر القانوني والنظر الفقهي فهو أمر وارد بملاحظة مغايرة الرؤى والتوجهات الفلسفية لكل من الفريقين، ومما قد يقع في هذا الضرب من الاختلاف المفهوم من معنى مفردة (الزنا)، فهي تنطبق بلغة الفقيه الديني على العلاقة غير المشروعة بين الرجل والمرأة سواءً أكان الممارس لها متزوجاً أم غير متزوج في حين هي محصورة في المصطلح القانوني المعاصر بفئة المتزوجين لا غير[١٦] .

الجهة الثانية : وهي الأوثق صلةً بصميم ما نبحث فيه، ومفادها أن العناصر التي تتكفل بإحراز نصيب معتد به من الضبط والدقة في تحديد المراد في كلٍ من اللغتين القانونية والفقهية هي عوامل مشتركة بين الطرفين في غالبها الأعم ، والعبرة تكمن أولاً وأخيراً في مهارة الكاتب وقدرته على الإحاطة بأدوات الصياغة اللغوية الدقيقة ، خصوصاً في نطاق البحث القانوني صيانةً لهيبة مهنةٍ مازال يردد آخرهم عن أولهم مقولة أن لا جرم ولا جزاء إلا بنصٍ مسطور[١٧] .

النص القانوني بين المرونة والجمود

قبل الشروع بهذا المبحث لابد من التنويه بأن معنى الجمود اصطلاحاً لاسيما في مجال القانون الدستوري يراد به عسر تعديل الدستور بخلاف المرونة التي يُقصد منها يسر التعديل، لكننا هنا نتوخى تسليط الضوء على نمطين مختلفين من الكتابة القانونية شائعة بين فروع القانون المختلفة، أحدهما النمط المرن الذي يتسع فيه نطاق الحكم مكاناً وزماناً ، والآخر هو النمط الجامد الذي لا يحتمل مثل ذلك التوسع ولا يقبله في أغلب الفروض . ويمكن التدليل على النمط المرن بالقانون الإداري الذي لا يرتهن عادة إلى الشكل الكتابي في إصدار قراراته إلا إذا كان ملزماً من الناحية القانونية باعتماد هذا الشكل تصريحاً أو تضميناً [١٨] ، وحتى حين يعتمد الشكل الكتابي فإن هذا القانون لا يرتهن غالباً إلى حرفية النصوص المكتوبة بل يتعامل معها تعاملاً مرناً بحسب الظروف والملابسات المتغيرة من وقت لآخر، فضلاً عما ينشئه منها إنشاءً نصّيّاً ، وهي الخصلة المميزة لهذا القانون ، ذلك أن مصادر القانون الإداري لا تنحصر في القواعد المكتوبة ، وكذا القواعد العرفية فحسب بل تتعداهما إلى أحكام القضاء متمثلة بشخصية قاضي الدعوى الذي ينحى في معظم الأحيان منحى اجتهادياً ، ولا يمنعه الاجتهاد في إصدار حكم ما في واقعة ما إلى العدول عنه في واقعة مشابهة مدفوعاً إلى ذلك

التغيير في الاجتهاد بظروف التغيير على المستويين المكاني والزماني للواقعة الواحدة [١٩] . بمعنى آخر فإن القاضي الإداري عادةً يعمد إلى تجاوز النص المكتوب بما يبيحه له اجتهاده بحدود سلطته التقديرية واتساقاً مع مبدأ العدالة ، بينما يكون الالتزام الحرفي بالنص المكتوب ملزماً له في الحالات التي تعتمد على البيانات الرقمية، وما هو على شاكلة ذلك. والقاضي عندما يسلك سبيل المرونة لا يفعل ذلك تحت تأثير العاطفة مثلاً بل هي المسايرة للواقع وما يستجد فيه من متغيرات كما أن حريته في نطاق اختيار قرار ما رهينة بالتسويغ القانوني وإلا عدّ تصرف القاضي حينئذٍ خروجاً عن القانون يستوجب الطعن والرد، وربما التعويض أيضاً [٢٠] . وما ذكرناه في ما يتعلق بمرونة النصوص التي تبيح للقاضي أن يختار بديلاً من جملة بدائل كلها مشروعة له ما يشابهه في فروع القانون الأخرى كالقانون المدني الذي ينظر لهذه المرونة بوصفها مكملات للنصوص المكتوبة القائمة بملاحظة أن مهمة القاضي الرئيسية بصفة عامة تنحصر في إطار تفسير النصوص[٢١] .ومما يصلح مثالاً للصياغة المرنة في القانون المدني ما نصت عليه الفقرة (٨١) من القانون العراقي ومنطوقها :((لا ينسب الى ساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة إلى البيان يعد قبولا)) ذلك أن عبارة معرض الحاجة الى البيان تقتضي مساحة من التقديرات والاحتمالات ، ومعها يكون القاضي المدني حراً في تفسير معنى السكوت ، وفي ما إذا كان داخلاً في معرض الحاجة الى البيان أم لم يكن [٢٢].وكذا ما جاء في المادة(٨٠٧)من القانون المدني المصري التي تنصّ بالقول : ((ليس للجار أن يرجع على جاره في مضار الجوار المألوفة التي لا يمكن تجنبها ...)) فقد رأى الدكتور سعيد بيومي في عبارة « مضار الجوار المألوفة » الواردة في النصّ المتقدم مجالاً للقاضي يحدد في ضوئه ضرر الجوار وكونه مألوفاً أو غير مألوف[٢٣].

ويمكن مراقبة مثل هذه الحركة المرنة داخل النص المكتوب في كثيرٍ من فروع القانون الأخرى حتى الجنائي منها ، ((فكثيراً ما يعمد المشرع إلى تحديد عقوبة ذات حدين – حدّ أدنى وحدّ أعلى – ويترك لقاضي الجزاء حرية تقدير العقوبة التي يحكم بها في إطار هذين الحدين ، وفقاً لظروف وملابسات كل حالة على حدة)) [٢٤] . لكن المرونة الواردة في النص المقتبس أعلاه تنحسر تماماً أو تكاد في النصوص القانونية الجنائية الجامدة التي تتناول الجرائم غير المختلف على طبيعتها وتحديد عناصرها، ففي مثل هذه الحالات ليس أمام القاضي سوى تطبيق ما تمليه النصوص، ويتعين عليه في مثل هذه الحالات تحاشي اللجوء إلى الخلفيات الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية للقاعدة الجنائية كيما لا ينتهي الأمر إلى الخلط بين وظيفتي التطبيق أو التفسير ووظيفة التشريع[٢٥]، ومن الباحثين في الفقه الجنائي من قسّم النصوص الجنائية التي تنحى بطبيعتها منحى الجمود النسبي بحسب قالبين اثنين هما القالب المحدد أو المقيد الذي يمتاز بالدقة والوضوح والقالب الحرّ الذي يجانب الدقة والوضوح إلى حدٍ كبير والغالب على النصوص المصاغة بحسب هذا القالب الثاني أنها غير محددة الأطراف والمعالم وأن ظلال ألفاظها تكاد تتسع لكل المعاني ، ولا يكاد يخلو منها قانون عربي أو أجنبي لاسيما في الجرائم التي تدخل في

حيّز ما يصطلح عليه بجرائم أمن الدولة والأمثلة عليها أكثر من أن تحصى ومنها ما نصت عليه المادة (٧٧) من قانون العقوبات المصري بقولها : « يعاقب بالإعدام كل من ارتكب عمداً فعلاً يؤدي إلى المساس باستقلال البلاد « وما نصت عليه المادة (٢٦٦) من قانون العقوبات السويسري بقولها : « كل من يرتكب عملاً مخلاً باستقلال الاتحاد أو يعرّض هذا الاستقلال للخطر يعاقب بالسجن لمدة خمس سنوات « فهذه النصوص وغيرها يرتهن تطبيقها غالباً إلى محددات سياسية أكثر منها قانونية أو لغوية [٢٦] .

الإبانة والإبهام في النص القانوني

بوجه عام لابد للكلمة القانونية الواحدة فضلاً عن العبارة سواءً منها ما يُعنى بالجانب الجنائي أو غيره من تحقيق غاية الإبانة عن المراد . فليس أمام الكاتب في المجال القانوني سوى التعاطي اللغوي الحذر مع إيحاءات الكلمة مفردة كانت أو مركبة في ما يسطره من نصوص ويلزمه التوقف ملياً قبل انتقاء مفرداته ولاسيما في إطار المفردات التي يجمعها معنى مشترك، فلفظتا القبض والإمساك وإن اجتمعتا تحت مظلة لغوية عامة لكنهما في لغة القانون تمثلان مقصدين متغايرين إذ إن القبض على شخص ما يستدعي وجود أمر قضائي في حين أن الامساك بالشخص لا يتعدى ذلك الفهم اللغوي العام[٢٧] .وكذا الحال في كلمتي (الفعل) و (العمل) اللتين تُستعملان في اللغة العادية غالباً بوصفهما لفظتين مترادفتين يُفهم من إحداهما ما يُفهم من الأخرى غير أن لهما معنين مختلفين في لغة القانون ، إذ تعني الأولى ما يقوم به الشخص من تصرفات أو ما يتلفظ به لسانه من عبارات في حين تعني الثانية ما يجريه الشخص من تصرف عملي فحسب دون ما يتلفظ به لسانه ، ولهذا صار لزاماً أن يُراعى ما لكلٍ منهما من حدود دلالية درءاً لاحتمالات الخلط بينهما وهو ما قد يؤدي إلى عواقب تضرّ بالمعنى المطلوب[٢٨] .

ومما ينفع في السير قدماً بمسيرة الخوض في معترك الإبانة والإبهام التمثيل بكلمة (أخفى) ، وهي ما تقابل في معناها المعنى اللغوي المفهوم من كلمة (أظهر)، ويسوغ من الناحية اللغوية إدراجهما معاً في باب التضاد أي اللفظ الواحد الدال على الشيء وضده[٢٩] ولكن وُجِد أنهما يُعدّان نقيضين أو ضدين في بعض السياقات القانونية بملاحظة أن كلمة (أخفى) تُطلق ويُراد بها الدلالة على الحيازة من وجهة نظر المشرِّع ؛ إذ ليس معنى الإخفاء هنا هو إبعاد الشخص شيئاً ما عن أنظار الناس كما هو المتبادر إلى الأذهان بحسب المفهوم اللغوي بل المقصود به ما يخالفه أي امتلاك الشيء، ولو كان علانيةً وأمام الملأ[٣٠]. والحقّ أن هذا الاستعمال من لدن المشرّع فيه ما فيه من الغرابة إذ إن الإخفاء في المعنى اللغوي هو الاستتار ولا داعي لتغيير هذه الدلالة بما يُلبس المعنى على المتلقي العاديّ ويجعل من النص القانوني ضرباً من المعمَّيات لاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ضرورة جعل اللغة القانونية مفهومة على نطاق واسع وعدم جعلها حكراً على أوساط المتخصصين، وهي وجهة نظر ينبغي أن تحظى بقدر عالٍ من التقدير.

ويمكن ملاحظة أمثلةً أخرى لمسألة الإنزياح الدلالي في لغة القانون عن اللغة العادية في كلمتي (حظر ، ومنع) وهما مما يسلكان سبيل الترادف المعنوي وهو ((عبارة عن الاتحاد في المفهوم)) [٣١] ، فهاتان الكلمتان تندرجان حكماً في المستوى الدلالي للغة

العادية من غير تمييز بينهما لكننا نجد فارقاً دلالياً دقيقاً يفصل بينهما في اللغة القانونية ، فكلمة (حَظَرَ) يُراد بها في التعبير القانونيّ النصّ على الإلزام المقترن بالعقاب ، بخلاف كلمة (مَنَعَ) التي لا يُشترط فيها عادةً ذلك الاقتران[٣٢] على أن المنع قد يرد مرادفاً للحظر لا مبايناً له في نصوص أخرى.

والحقّ أن كل ما استشهد به من معان قانونية مفارقة للمتعارف عليه في اللغة بحدود ما ذكرناه من الكلمات آنفة الذكر لا يخرج عن سنة الاصطلاح التي تنبع في الأصل من جذر لغوي لكنها تؤول إلى دلالات تبعدها قليلاً أو كثيراً عن ذلك الجذر ، وهي سنة قديمة مستجدة ، وتجد آثارها في سائر اصطلاحات العلوم الأخرى مما أخذه أهلها من اللغة ووضعوه ليدلّ على معنى يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه[٣٣] وإن كان هذا التبادر المعنوي لا يجري على نحو متسق غالباً خاصةً مع الإقرار بمشكلة عسر الفهم التي تصيب طائفة من الاصطلاحات ومنها اصطلاحات القانون كما أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس رحمه الله تعالى من قبل [٣٤] .

وما قلناه عن التضاد والترادف ينطبق انطباقاً تاماً على المشترك اللفظي، وهو اللفظ الواحد المنصرف إلى أكثر من معنى[٣٥] علماً أن دائرة المشترك اللفظي أوسع مدىً من صنويه السالفين وتجد آثارها واضحةً في سائر فروع المدونة القانونية ، إذ إن هناك فرقا بيّناً -على سبيل المثال- بين مفهوم الوصاية في القانون العام ومفهومها في القانون الخاص ومرد ذلك الاختلاف إلى شروط وقيود كلا النوعين [٣٦] .على أن المشترك اللفظي يتجاوز ما وضعه أهل اللغة للفظ الدال على أكثر من معنى كلفظ العين التي يُقصد منها عين الإنسان وعين الماء وغيرهما إلى ما وضعه أهل الشرع كلفظ الصلاة التي يُراد منها الفريضة المعروفة أو مطلق الاستغفار إلى ما وضعه أهل القانون كلفظ الغريم الدال على الدائن والمدين معاً [٣٧].ويبدو أن تتمة الكلام على ما تقدم بيانه تستدعي إيلاء العناية ذاتها بما يُفهم من دلالة الكلمة الواحدة في علم القانون وما يُفهم منها في ما يجاوره من علوم إنسانية أخرى كالسياسة مثلاً ، فلفظ «الحُكم» الذي يعني في لغة القانون الوثيقة الصادرة عن محكمة في دعوى قضائية يعني السلطة والنفوذ في لغة السياسة وهكذا[٣٨].

إن معرفة معنى الكلمة الواحدة وما توحي به من دلالات مركزية وأخرى هامشية ينبغي أن تكون حاضرة باستمرار في ذهن الباحث القانوني . وليس مطلوباً بطبيعة الحال أن يكيّف الكاتب أسلوبه في الكتابة على النحو التقريري الذي نجده عادةً في النصوص القانونية ولكن المطلوب منه أن يكون دقيقاً في سرده وما يسوقه من نعوت وتشبيهات ، فالجمع -على سبيل المثال- بين مفهومي (الانتخاب) و(اعتلاء العرش) في سياق لغويّ واحد يقتضي من المنشئ الانتباه إلى عنصري الإطلاق والتقييد في استعمال كلٍ منهما ، فليس دقيقاً أن يقال : ((استقر العرف الدولي على أن يكون رئيس الدولة معروفاً ومنصبّاً بصورة رسمية ، سواءٌ كانت إجراءات اعتلاء العرش بصورة وراثية أم عن طريق الانتخاب)) [٣٩] من دون أن تُقيَّد عبارة (اعتلاء العرش) بالنظام الملكيّ ونحوه مما يرتكز عادةً على مبدأ التوريث أو الانتخاب الجزئي ؛ لأن الأسلوب اللغوي السابق ساوى بين مبدأ التوريث ومبدأ الانتخاب الحرّ، هذه

التسوية التي لا نشك في أن الكاتب لم يقصدها البتة لكن الأسلوب الأدبي الذي اتبعه قد يقود إلى مثل هذا المحذور الدلالي على أية حال.

والدعوة إلى التعاطي الحذر في التعامل مع الألفاظ بوجه عام وما توحي به من دلالات مركزية وأخرى هامشية تتأكد مع الألفاظ ذات الطبيعة المنطقية كلفظ العام ولفظ الخاص والأول هو اللفظ الدال على شمول المعنى لكل أفراده والثاني هو المختص بالبعض دون الكل ومثال الأول قوامة الرجل على المرأة عموماً وتخصيصها بفئة البالغين[٤٠] . والمطلق والمقيد والأول هو اللفظ الدال على مدلول شائع في جنسه والثاني هو المعنى الخارج عن الشيوع بوصف ومثال الأول الرجل خلواً من أي وصف ومثال الثاني الرجل المؤمن[٤١] .ولفظ المفهوم بقسميه أي مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة ، والأول ما يكون فيه الحكم موافقاً لمنطوقه أمراً أو نهياً كما في قوله تعالى : ((فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ)) [٤٢] ، إذ الآية الكريمة بحسب منطوقها تحرّم إظهار التضجر من الوالدين ومفهوم الموافقة هنا يدل على حرمة شتمهما أو الاعتداء عليهما من باب أولى [٤٣] . والثاني ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفاً لمدلوله في محل النطق، ويمكن التمثيل على ما نقصده في هذه النقطة بالمفهوم منطقياً من مفهوم حقّ الأفراد في التجمع، وهو حق منصوص عليه في معظم دساتير العالم ويتيح للأفراد التظاهر بصورة جماعية للتعبير عن آرائهم في شأن من الشؤون العامة لكنه يظل في الوقت نفسه حقاً ذا طابع شخصي وينتج عنه بحسب مفهوم المخالفة شرعية حق أولئك الأفراد أنفسهم في عدم التجمع[٤٤] . ومن أمثلة مفهوم المخالفة في النصوص الجنائية جعل اشتراط سن الرشد في بعض الجرائم مسوغاً لجزاء الفاعل مما يعني بحسب مفهوم المخالفة أن من لم يبلغ ذلك السن، وفعل الفعل نفسه يعدّ قاصراً غير رشيد ، ومعه لا يقع تحت طائلة الجزاء[٤٥] .

وعليه يكون لزاماً في من يستعمل اللغة المكتوبة أداة في تدوين القوانين الإلمام بمسلمات علم المنطق وما يتصل منها بالبحث القانوني على وجه الخصوص لاسيما المستندة على مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة[٤٦]،وكذلك ما يتعلق منها بمصطلحات علم المنطق عموماً كالاحتراز عن الوقوع في التناقض المنطقي بمعنى الاختلاف بين قضيتين إلى الحدّ الذي يجعل من أحداهما صادقة في حين تكون الأخرى كاذبة[٤٧] ، فضلاً عن الإحاطة بما تعنيه اصطلاحات علم المنطق إجمالاً ، ويتعين هذا الإلزام في من يكتب باللغة العربية لوجود مسألة التلازم الوثيق بين علمي اللغة والمنطق بحسب إحدى أكثر وجهات النظر شيوعاً [٤٨] .

الصياغة القانونية

يُقسّمُ علماءُ القانون القواعدَ التي تُنَظِّمُ صياغةَ الأنظمةِ واللوائح والقرارات إلى قسمين رئيسين لا يستغني أحدُهما عن الآخر، القسمُ الأوَّلُ هو القسمُ الموضوعي، والآخر هو الشَّكْلي، وتندرج تحته الصياغة اللغوية التي ترتكز في المقام الأول على عناصر المباشرة والوضوح بلا حَشْوٍ ولا استطراد.

والصياغة في المعنى اللغوي هي مصدر للفعل «صاغ» والأصل فيها صوغة انقلبت واوها ياءً لكسرة ما قبلها ، وصاغ الشيء هيَّأه على مثال مستقيم، وصاغ الكلمة «بناها من كلمة أخرى على هيأة مخصوصة»، «والصيغة» هي النوع

أو الأصل، ويقال «صيغة الأمر» أي هيأته التي بُني عليها[٤٩]. والصياغة القانونية تبدأ عادة بتحديد دقيق للأمر الذي يستدعي التشريع مع إيراد الهدف من وراء تشريعه سواء كان ذلك الهدف سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً ، والصياغة القانونية بحسب بعض التعريفات هي ((الأداة التي يجري بمقتضاها نقل التفكير القانوني من الحيّز الداخلي إلى الحيز الخارجي فهي ببساطة أداة للتعبير عن فكرة كامنة لتصبح هكذا حقيقة اجتماعية يجري التعامل على أساسها)) [٥٠]. والصياغة في نهاية المطاف هي القالب الذي يصوغ قواعد القانون لتصبح قابلة للتنفيذ[٥١].على أن الاهتمام بمسألة الصياغة القانونية لا ينبغي أن يفهم منه المعنى السلبي لكلمة الشَّكْلي أو الإجرائي بمعزل عن المعنى الجوهري الذي يرمي إلى إحراز غاية الوصول إلى تطبيق الحكم المنسجم مع مضمون التشريع ، وغير المتعارض مع سائر القوانين الأخرى، فضلاً عن سدّ الطريق أمام مشكلة اختلاف تأويل النصوص القانونية عند تطبيق القواعد على الوقائع، ومن ثم سرعة حسم الدعاوى بين أطراف النزاع والحيلولة دون إمكانية النظر إلى النصّ الواحد من زوايا مختلفة ترتب أحكاماً مختلفة قد تضر بصاحب المصلحة الحقيقي .

أساسيات اللغة القانونية

لا ينبغي أن يفهم من هذا العنوان أن للقانون لغةً مغايرة تختلف في قواعدها عن اللغة الأم عربية أو أجنبية ولكن المقصود منه أن يتقن الكاتب القانوني القواعد العامة التي لا غنى له عن اتقانها تحقيقاً لهدف الصياغة القانونية السليمة ، وبقدر ما يتعلق الأمر باللغة العربية على الكاتب القانوني أن يُلاحظ على وجه الخصوص جملة القواعد الإعرابية والإملائية التي تمنع مراعاتها ارتكاب الخطأ في هيأة الكلمة، والعبارة، ونظام الجملة العربية . والمقصود بالقواعد المشار إليها آنفاً كل ما يتصل بمعرفة قواعد الفصل والوصل لاسيما التفريق بين استعمال حرفي العطف(الواو ، وأو) ، والتمييز الدقيق بين معاني حروف الجر ، وتحاشي العمل بمبدأ التناوب في معانيها تفادياً لاحتمالات الخطأ الدلالي كما يحدث –مثلاً - في الخلط بين استعمال الحرفين (عن ، وعلى) كما في عبارة (خرج عن القانون)، وعبارة (خرج على القانون) إذ تعني الأولى على نحو الدقة الخروج بمقتضى القانون في حين تعني العبارة الثانية خرق القانون .

ومن جملة ما ينبغي على الكاتب مراعاته ضرورة التفريق بين همزتي الوصل والقطع ، وعدم التكاسل عن ضبط مواضع كل منهما فقد يقود الخلط بينهما أحياناً إلى إحداث ارتباك في استيعاب المعنى المقصود فـ ((لو أننا كتبنا جملة « تعاني وزارة التربية من اعداد المعلمين» بدون كتابة الهمزة في كلمة «اعداد» فلا يُعلم هل تعاني الوزارة من إعداد المعلمين أو من أعدادهم، وشتان بين ما يترتب على كل منهما)) [٥٢]. وكذا على الكاتب أن يتقن معرفة ما يُحذف من الحروف وما يزاد منها في اللفظ والتركيب، كحذف الألف، والنون، والياء المتصلة بالاسم المنقوص المنكّر، وزيادة الألف والواو، وحذفهما ، وما يجري هذا المجرى مما تتكفل بشرحها على وجه التفصيل كتب الإملاء البسيطة ، وكذا إتقان الإعراب بالحروف، وهو من أهم ما يدخل في صلب النحو الكتابي، ويتوجب على الكاتب الإحاطة

بتفاصيله، ولا ينبغي أن يعذر في مخالفته[٥٣]، ويمكن إجمال ما يعرب بالحروف بالقول إنه يتضمن إعراب المثنى وما يلحق به بالألف رفعاً والياء نصباً وجراً ، وإعراب جمع المذكر السالم وما يلحق به بالواو رفعاً والياء نصباً وجراً ، وإعراب الأسماء الخمسة بالواو رفعاً والألف نصباً والياء جراً ، وإعراب الأفعال الخمسة بثبوت النون رفعاً وحذفها نصباً وجزماً [٥٤] ، ومن جملة ما يقع تحت هذا الباب ضرورة انتباه الكاتب إلى إضافة ما يتطلبه الإعراب بالحروف من قرائن لفظية تعين على إدراك المعنى المقصود كالتمييز بين الاسم المثنى وما يجمع جمع مذكر سالما بتقييد المثنى بلفظة (اثنين) منعا للالتباس بينه وبين الجمع ، ونحو ذلك. وكذا ضرورة التفريق الصرفي بين المشتقات من الأسماء لاسيما بين اسمي الفاعل والمفعول ، كما في استعمال كلمات من قبيل مُعيل ومُعال، ومدين ومدان، مع الانتباه إلى مشكلة احتمال الخلط في استعمال ما ينصرف من تلك الكلمات إلى أكثر من معنى واحد كما في استعمال كلمة (مدان) بمعنى (مديون) بمبلغ ما أو استعمالها بمعنى من أدين بجرم ما، ونحو ذلك. وكذا الانتباه إلى تشكيل بُنية الكلمة – بلا مبالغة- احترازاً من احتمال التباس المعنى، وسوء الفهم ذلك أن كثيراً ((من الكلمات العربية تحتاج إلى الشكل لإزالة اللبس والغموض عنها ، وتيسير القراءة)) [٥٥] . ويمكن أن نضرب مثالاً على أهمية وجود الشكل بكلمة « قِبَل» بكسر حرف القاف وفتح الباء ومعناها : « عند ، أو لدى « إذ قد تُقرأ توهماً « قَبْل « أي بفتح القاف وتسكين الباء إذا كانت خلواً من الشكل مما يؤدي إلى تشويش المعنى العام للنصّ ، كما هو الحال في الفقرة القانونية التي تنص على سقوط ((الوعد إذا كانت المدة لم تنته ولكن الموعود له أعلن عدم رغبته في التعاقد ،إذ يكون قد نزل عن الحق الذي له قبل الواعد)) [٥٦] .

إن نطق القارئ للكلمة السابقة (قَبْل) بدلاً من (قِبَل)، وهو احتمال وارد مع عدم تشكيل الكلمة سيُفضي إلى ارتباك المعنى أو إنه في أقل تقدير سيأخذ من القارئ وقتاً يطول أو يقصر قبل أن يهتدي الى المراد. ولابد قبل أن نغادر هذه الفكرة من التأكيد على ضرورة اشتمال النصّ القانوني على علامات الترقيم ؛ لأنها تمثل لغة بحد ذاتها، ويحتاجها كاتب القانون في تجزئة الجمل الطويلة إلى أخرى مختصرة منعاً للتشتت الدلالي، وحفظاً لتماسك الأفكار داخل السياق الواحد، ويرى بعض فقهاء القانون في وجودها جزءا أصيلاً من تركيب الجملة[٥٧] .وإتقان علامات الترقيم أمر ميسور وتتكفل بإحرازه كتب الإملاء أيضاً، ولا تتطلب إجادتها إلا بذل جهد بسيط من لدن الكاتب . ومما يستدعي التأكيد عليه هنا أيضاً هو التذكير بضرورة الاستعمال الأمثل للأعداد ولاسيما من حيث علاقة العدد بالمعدود تذكيراً وتأنيثاً ، وكذا من حيث إمكانية إدراجها كتابة أو رقماً ، وبحسب بعض المراجع المعتمدة فإن العدد الذي لا يتعدى ثلاث كلمات ينبغي أن يكتب ((مثل: ألفان ، مائة وثلاثون، مائة وثلاثون وستون فإذا كان العدد يتركب من أربعة أرقام فأكثر كتبت أرقامه كما هي مثل: ١٩٧٠ ، ١٩٩٠، ٢٠١٦)) [٥٨] .

وقد يكون من المفيد قبل الشروع بمحاولة جمع أشتات الصياغة القانونية السليمة في نقاط محددة التنويه بحقيقة أن اللغة القانونية تدخل في ما يصطلح عليه بعلم اللغة القانوني، وهو أحد فروع علم اللغة

الاجتماعي[٥٩] ، وتنتمي إلى ما يعرف باللسانيات الموسعة التي تدرس اللغة بوصفها علماً إنسانياً مقرونة بعلم إنساني آخر[٦٠] كما تندرج في نطاق اللغة التقريرية التي تتوخى التعبير عن المراد بدقة وإيجاز، وتنأى عن اللغة الأدبية وكذا عن لغة الترافع القضائي اللتين تتكئان عادة على الأسلوب البلاغي الفخم بما يتضمنه ذلك الأسلوب من مجاز وإيحاء، وخيال. وكذلك اجتناب استعمال المهجور والغريب من الألفاظ والتراكيب ، لكن الإقرار بأن اللغة القانونية المكتوبة ضعيفة الصلة بالجوانب الأدبية لا يعني بأية حال من الأحوال خلوها من الجوانب الفنية التي تتطلب الحذق والمهارة في اختيار الألفاظ والتراكيب، وليس المقصود باللغة التقريرية بطبيعة الحال أن يكون النصّ ظاهر المعنى لا غموض فيه ، إذ إن من النصوص القانونية ما يكون غامضاً ويستدعي التفسير والكشف عن المراد بصرف النظر عن وجه النظر التي ترى أن الغموض والوضوح في النص القانوني هي مسألة نسبية تتوقف على مدى فطنة المفسر[٦١] . فالنصّ القانوني حاله من حال سائر النصوص يحتمل فيه الغموض، ومنه ما يكون غامضاً خفياً، وغامضاً مشكلاً، وغامضاً مجملاً، وغامضاً متشابهاً، وهو أكثر ما ذُكر إبهاماً ، ومن أمثلة النصّ الخفي في قانون العقوبات المصري عبارة اختلاس المنقول، الذي احتدم الجدل في تفسيرها ، وبيان ما يندرج تحتها من مصاديق، كالتعدي على التيار الكهربائي بوصفه منقولاً[٦٢].على أن هناك من يؤكد نزوع المشرع أحياناً الى انتهاج منهج الصياغة الغامضة عن سابق تصميم توخياً إلى بلوغ مكاسب سياسة، ويضرب لذلك مثلاً بواقع المجالس النيابية التي يتبنى بعضها أساليب لغوية ملتوية لتمرير لوائح قانونية ما كان لها أن تمرر لو أنها اتخذت طريق الوضوح منهجاً [٦٣] .

خصائص اللغة القانونية

بناءً على ما تقدم ذكره آنفا يمكن تلخيص أبرز الضوابط المعتمدة في صياغة النصوص القانونية بالآتي [٦٤] :

- اجادة إعراب الكلمة لاسيما ما يدخل منها في إطار ما يعرب بالحروف لا الحركات، وتشكيل ما يلزم تشكيله.
- التعبير اللغوي المباشر بدلا من الشكل السردي أو الانشائي.
- اثبات قصد المشرع في النص.
- الايجاز بمعنى تقديم المعنى بأقل الكلمات، والبعد عن الحشو والتزيّد بلا طائل .
- احكام النص على أسس هيكل معماري حصين، وهو ما يعبر عنه بقوة السبك اللغوي، وردم الفراغات.
- تجزئة النصوص الطويلة إلى فقرات قصيرة.
- الاتساق في استعمال المصطلحات، والنأي عن تداول المهجور والغريب من الألفاظ والتراكيب اللغوية .
- التحقق من أحكام الإشارات أي (علامات الترقيم)، وعدم استعمالها عشوائيا كماً هو الدارج في كثير من المؤلفات.
- أن تكون الصياغة منطقية.
- أن تتبنى المصطلحات التشريعية الحديثة.
- تجنب إيراد التعريفات إلا للضرورة ، ومن مواردها التمييز بين ما يتشابه منها لفظاً ويختلف دلالة .
- أن تكون الصياغة منسجمة مع الواقع الذي سيطبق

فيه، من حيث المرونة والجمود.

- التدقيق في استعمال أدوات العطف لاسيما الـ (الواو) والـ (أو) ، وتجنب استعمال أحدهما محل الآخر حتى مع وجود مسوغ لغوي يبيح الترادف بينهما منعاً للالتباس .

- التدقيق في استعمال حروف الجر وتفادي الخلط بينها حتى مع وجود مسوغ لغوي كالتضمين والمجاز ونحوهما[٦٥].

- التفرقة بين اللغة التحريرية ولغة المرافعة بمعنى تجنب استخدام الكلمات الزائدة التي تشيع في لغة المرافعات من مثل عبارة ازهاق الروح عوضاً عن لفظة القتل وما شابه ذلك .

-الإكثار من استعمال الألفاظِ المقيِّدة في الجمل الطويلة تحديداً للمعنى ، وتسهيلاً لفهمه .

-استعمال الفعل الماضي في لغة المحاضر القانونية للتأكيد على حدوث الوقائع فعلاً، واستعمال المضارع للحاضر والمستقبل.

-اجتناب استعمال صيغ المبني للمجهول قدر المستطاع إلا في مثل أفعال المضارع المبنية للمجهول والمراد بها التعبير عن الإلزام نحو : يُعاقب ، ويُغرم ، ويبلغ، وما إلى ذلك.

نماذج من أخطاء التركيب الشائعة في الكتابة القانونية

المقصود بخطأ التركيب هو الخطأ الواقع في العبارة كلها أو بعضها بما يحدث خللاً في النظام العام للجملة العربية، لاسيما في ما يدخل تحت نطاق الجملة الاسمية والجملة الفعلية، والجملة الشرطية أو ما يكون له علاقة باستعمال قواعد العدد ، ونحو ذلك. ويمكن الاستشهاد على عدد من تلك الأخطاء في ما رصدناه من تصفح كتاب مبادئ وأحكام القانون الإداري وهو أحد الكتب المنهجية لطلبة كليات القانون في الجامعات العراقية ، وقد اقتصرنا على تصفح فصوله الأولى فحسب ،ومما ورد فيه قول الكاتب: ((فالأولى هي جزءا ...)) [٦٦] .والصحيح (هي جزء) برفع كلمة (جزء) لا نصبها ؛ لأنها واقعة موقع الخبر للمبتدأ (هي) ، وقول الكاتب : ((وأن يكون في حوزة الأشخاص ...سلاحاً قانونياً[٦٧] ، والصحيح أن يقال : « وأن يكون في حوزة الأشخاص ...سلاحٌ قانونيٌ « لأن لفظ (سلاح) في الجملة المتقدمة يقتضي أن يكون مرفوعا لا منصوبا لأنه خبر الفعل الناقص (كان)، ومما جاء من هذا الباب أيضاً قول الكاتب : ((وهذه الأهمية تظهر بصورة واضحة في علاقات الإدارة مع الأشخاص الخاصة سواء أكانوا أشخاص ...) [٦٨] ، والصحيح أن تأتي كلمة (أشخاص) منصوبة بلحاظ كونها خبراً للفعل الناقص، وقد تكرر ما يشبه هذا الخطأ في عبارة : ((ويؤخذ على هذا التعريف بأنه غير دقيق ولا يمكن أن يكون جامع مانع)) [٦٩]، والصحيح أن يقال : (ويؤخذ على هذا التعريف بأنه غير دقيق ولا يمكن أن يكون جامعا مانعا) للسبب السابق نفسه ، وفي عبارة الكاتب : ((بحيث يكون موظفوه مستقلون)) [٧٠] فالصحيح أن يقال: (بحيث يكون موظفوه مستقلين) عملا بمقتضى القاعدة اللغوية السابقة ، وقول الكاتب : « إن القانون ... هدفاً يسعى إليه « (٧١) والصحيح : « إن القانون ... هدف يسعى إليه « لأن (هدف) في موقع خبر (إن) ويقتضي أن يكون مرفوعا لا منصوبا ، ومما ورد من الخطأ في هذا الباب أيضاً قول الكاتب

: ((إن للرقابة الإدارية ، في ظل النظام الفرنسي صورتان)) [٧٢]. والصحيح أن يقال: ((إن للرقابة الإدارية ، في ظل النظام الفرنسي صورتين)) للسبب السابق نفسه ، وقول الكاتب : ((لا تتقرر للشخص المعنوي حقوقا)) [٧٣].فالصحيح (حقوق) لا (حقوقا) لأنها في موقع فاعل يستلزم الرفع ، وقول الكاتب : ((لما يتمتع به هؤلاء الموظفين)) [٧٤] والصحيح : « لما يتمتع به هؤلاء الموظفون «، لأن (الموظفون) بدل من الفاعل (هؤلاء) ويقتضي أن يكون مرفوعا لا منصوبا بحسب القاعدة النحوية ، وقول الكاتب « ويراد بها الموظفين»[٧٥]. والصحيح : « ويراد بها الموظفون»، لأن (الموظفون) نائب فاعل للفعل المبني للمجهول ويقتضي أن يكون مرفوعا لا منصوباً، وقول الكاتب : « ذلك النشاط المتميز ذي الطبيعة التنفيذية «[٧٦] والصحيح : « ذلك النشاط المتميز ذو الطبيعة التنفيذية « لأن (ذو) صفة ثانية للـ (النشاط) الموصوف المرفوع مما يقتضي في صفته أن تكون مرفوعة بحسب قاعدة تبعية الصفة للموصوف من حيث الإعراب والصحيح فيها الإعراب بالحروف لأنها من الأسماء الخمسة ، ومما يدخل في هذا الباب قول الكاتب : ((لا ينبغي أن يؤخذ النص ذي المرتبة الأعلى)) [٧٧]، والصحيح أن يقال: (لا ينبغي أن يؤخذ النص ذو المرتبة الأعلى) مراعاةً لحكم القاعدة النحوية السابقة. ومما وقع فيه الكاتب من أخطاء التركيب في صياغة الجملة الفعلية رفع كلمة (مقرر) في قوله : ((اعتراف الدولة بالشخص المعنوي له طابع إعلاني لا إنشائي ، إي نجده مقرر...) [٧٨] .والصحيح أن يقال (نجده مقررا) لأن الموقع الإعرابي لكلمة (مقررا) هو حال مفرد ويجب أن يكون منصوبا لا مرفوعا . ومما وقع في أخطاء الجملة الشرطية السهو عن إيراد جملة جواب الشرط، وهو الأمر الذي يحدث إرباكا في تبين المراد ، من ذلك قول الكاتب : ((فإذا كانت المصالح الذاتية التي تستقل الهيئات اللامركزية بمزاولتها تختلف ضيقا واتساعا تبعا لاختلاف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بكل دولة لكننا نجد أنه مهما اتسع نطاق هذه المصالح ...)) [٧٩] .ولعل الخطأ المتقدم ناشئ من استعمال الجمل الطويلة التي سبق النهي عن اتخاذها أسلوبا من أساليب الصياغة القانونية، وتقسيمها إلى أجزاء واضحة المعنى في حال الاضطرار لاستعمالها . ومما وقع في أخطاء المضاف إليه والمعطوف عليه الذين يقتضيان الجر قول الكاتب: ((لا تشكل القوانين التي تضعها هذه السلطة سوى مصدرا احتياطيا أو إضافيا)) [٨٠] ، والصحيح أن يقال: (لا تشكل القوانين التي تضعها هذه السلطة سوى مصدر احتياطي أو إضافي) ، ومما ورد من أخطاء العدد قول الكاتب: ((يمكن تقسيم الوظائف ...إلى ستة مجاميع)) [٨١] ، والصحيح (ست مجاميع) ذلك أن العدد (٦) يخالف المعدود من حيث التذكير والتأنيث بنص القاعدة اللغوية المعروفة [٨٢] .

مقترحات وتوصيات

- مضاعفة الوحدات الدراسية الخاصة بتدريس مادة اللغة العربية قياساً بالمعمول به حالياً في كليات القانون العراقية كافة.
- إضافة مقرر دراسي جديد لتدريس مادة اللغة القانونية في مناهج كليات القانون والأقسام المناظرة ؛ لأن المنهج الدراسي الحالي ، وهو كتاب

دروس في اللغة العربية ، لا يفي بحاجة المتعلمين من الناحيتين النظرية والتطبيقية.

- يكون التركيز في المنهج المقترح على تعليم الطالب مهارة الإلقاء السليم فضلاً عن الإحاطة بقواعد الصياغة القانونية الصحيحة ، واقترح أن يوسم المنهج المقترح بعنوان : صياغة النص اللغوي ولغة الخطاب القضائي، أو صياغة النص اللغوي وخطاب المرافعات .

- يُنتدب لتدريس مواد اللغة العربية في كليات القانون حَمَلَةُ الشهادات العليا في تخصص اللغة العربية من خريجي الفرع اللغوي تحديدا، ويفضل أن يكونوا من خريجي كليات التربية أو الأقسام التي تجمع بين تعليم العربية وتعليم طرائق التدريس كما يفضل أن يكونوا من المتخصصين في مجالي التصحيح اللغوي أو اللسانيات القانونية.

- يشترط في القاضي العامل في دور القضاء ذات الطبيعة الإنشائية على وجه التحديد كالقضاء الإداري أن يكون مؤهلا تأهيلا لغويا كافيا، وأن يجتاز اختبار الكفاءة اللغوية للدراسات العليا وبدرجة نجاح لا تقل عن ٩٠٪ قبل تسنمه أي منصب قضائي في محاكم الدولة .

- يُحرم صاحب البحث الأكاديمي القانوني المنشور بلغة أجنبية من حقوق الترقية العلمية ما لم يُترجَم بحثه ترجمة سليمة إلى اللغة العربية.

- جعل المراجعة اللغوية شرطاً لطباعة أي كتاب في القانون على أن ترصد للخبير اللغوي مكافأة مجزية مقرونة بتعهد من الخبير يدفع بموجبه عوضا ماليا مساويا لمبلغ المكافأة في حال اكتشاف نسبة من الأخطاء اللغوية تتجاوز ٢٪ بعد طباعة الكتاب الذي قام بمراجعته، ويستثنى من تلك النسبة أخطاء الطباعة المتعارف عليها في أوساط الناشرين العرب . وهذا الاقتراح ناشئ في المقام الأول من بديهية التلازم الراسخ بين القراءة والكتابة ، بمعنى أن الكتابة أثر من آثار القراءة، فإذا كان المقروء صحيحا من الناحية الإملائية كان ذلك مقدمة لكتابة صحيحة والعكس صحيح .

- إلزام دور النشر العربية فضلا عن العراقية باعتماد الرسم الكتابي العراقي لاسيما في كتابة الهمزة المتوسطة والمتطرفة ، فقد لوحظ وجود انحراف عن هذا الرسم في نطاق العديد من المؤلفات القانونية العراقية التي خرجت من بعض دور النشر العربية والمصرية منها بوجه خاص .

الهوامش

١ - ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران: ٢٦٣
٢ - لغة القانون في ضوء علم النص : ٢٤
٣ - علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: ٢٦٩
٤ - : English legal terminology ٥
٥ - ينظر علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : ٢٨١
٦ - ينظر مبادئ واحكام القانون الاداري : ٤٨
٧ - ينظر اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني : ١٢٨
٨ - ينظر مدخل الى علم القانون: ٤٢٤
٩ - لغة القانون في ضوء علم النص : ٤٢٤ ؟
١٠ - ينظر المهذب في أصول الفقه : فاضل الصفار: ٣٨-٣٩
١١ - مجالس ثعلب : ١٩١
١٢ - ينظر البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي: ج ١ : ٢٧٢
١٣ - ينظر نظرية تفسير النصوص المدنية : ٨ .
١٤ - لسان العرب : ج ٧ : ١٠٠ ، وينظر ينظر الصياغة القانونية لغة وفنا: ٢٤٣.
١٥ - ينظر دلالة الألفاظ بين التجسيد والتجريد: د. علي موسى عكلة : ١٦٨
١٦ - ينظر اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني: ١١٠- ١١٣
١٧ - فن صياغة النص العقابي: ١٣٤
١٨ - ينظر مبادئ وأحكام القانون الإداري : ٤٣٢
١٩ - ينظر مبادئ واحكام القانون الاداري : ٣٦-٤٢
٢٠ - ينظر مبادئ واحكام القانون الاداري: ٤٤٠ - ٤٤٢
٢١ - ينظر مبادئ واحكام القانون الاداري : ٥٢
٢٢ - ينظر نظرية تفسير النصوص المدنية :١٠٦-١٠٧
٢٣ - ينظر لغة القانون في ضوء علم النص : ٥٧
٢٤ - فن صياغة النص العقابي: ٢٣٨
٢٥ - ينظر فن صياغة النص العقابي : ٣٥١
٢٦ - ينظر الجرائم الواقعة على أمن الدولة ، د. محمود سليمان موسى: ٩٤- ١٠٠
٢٧ - ينظر لغة القانون في علم النص : ١٣٠
٢٨ - ينظر فن صياغة النص العقابي: ٢٢٤- ٢٣٠
٢٩ - ينظر التعريفات : ٦٧
٣٠ - ينظر لغة القانون في علم النص : ٤٣٠
٣١ - التعريفات ، الجرجاني: ٦٣
٣٢ - ينظر اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني:٥٩

٣٣ - ينظر في اللغة والأدب : ٩٤
٣٤ - ينظر دلالة الألفاظ : د. إبراهيم أنيس : ١١١
٣٥ - ينظر التعريفات : ٢١١
٣٦ - ينظر مبادئ وأحكام القانون الإداري : ١٣١
٣٧ - ينظر الفقه في نسيج جديد ، د. ابراهيم الزلمي : ٤٤٣-٤٤٨
٣٨ - ينظر الصياغة القانونية لغة وفنا :١٩١، وينظر لغة القانون في ضوء علم لغة:٥٨-٥٩
٣٩ - المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي: ٢٨
٤٠ - ينظر المهذب في أصول الفقه ، فاضل الصفار : ٢٠٦
٤١ - ينظر المهذب في أصول الفقه : ٢٢٢
٤٢ - سورة الإسراء من الآية ٢٣
٤٣ - ينظر المهذب في أصول الفقه : ٢٣٨
٤٤ - ينظر حقوق الإنسان : د. حميد حنون : ٩٢.
٤٥ - ينظر اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني: ٨٥
٤٦ - ينظر لغة القانون في علم النص : ٤٣١
٤٧ - ينظر المنطق ، محمد رضا المظفر : ١٦٣
٤٨ - ينظر من أسرار اللغة : ١٣١-١١٧ .
٤٩ - ينظر لسان العرب ، ابن منظور : ٥ : ٤٤٤
٥٠ - لغة القانون في علم لغة : ٥٥ نقلا عن د. احمد شرف الدين : أصول الصياغة القانونية للعقود ، بدون ناشر ، القاهرة ، ١٩٩٣ :١٤
٥١ - ينظر أصول القانون ، د. عبد الرزاق السنهوري ود. أبو ستيت : ٧٥
٥٢ - الأخطاء الإملائية الشائعة : م.م حيدر الشلاه : ٣١٦ نقلا عن كتاب مهارات اللغة العربية : مصطفى عبد الله علي : ١٦٩
٥٣ - ينظر الصياغة القانونية لغة وفناً : ٣٣-٤٧
٥٤ - ينظر شرح ابن عقيل : ١: ٥٥- ٩٢
٥٥ - أساسيات البحث العلمي: ١٧٤
٥٦ - الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي : ١ : ٥٢
٥٧ - ينظر لغة القانون في علم النص : ٣٥٦
٥٨ - أساسيات البحث العلمي : ١٧٨
٥٩ - لغة القانون في ضوء علم النص : ٨
٦٠ - ينظر اللسانيات الأنثروبولوجية ، د. جواد كاظم التميمي : ٢٠
٦١ - ينظر نظرية تفسير النصوص المدنية : ١٢ ، وينظر دور القاضي الدستوري : ٥٢٠
٦٢ - ينظر فن صياغة النص العقابي :٢٨٨-٢٨٩.

٦٣ - ينظر نظرية تفسير النصوص المدنية:١١٣-١١٤
٦٤ - ينظر شرح ابن عقيل : ج٣ : ٣-٣٤ ، وينظر الصياغة القانونية لغة وفناً : ٢٤٢-٢٤٦
٦٥ - ينظر معجمات التصحيح اللغوي ، د. لطيف القصاب : ١١٠-١١٦
٦٦ - مبادئ وأحكام القانون الإداري : ٩٩
٦٧ - المصدر السابق : ١٢
٦٨ - المصدر السابق : ٨١
٦٩ - المصدر السابق : ١٤٦
٧٠ - المصدر السابق : ١٢٦
٧١ - المصدر السابق: ١٦
٧٢ - المصدر السابق : ١٣٠
٧٣ - المصدر السابق : ٩٢
٧٤ - المصدر السابق : ١٧
٧٥ - المصدر السابق: ١٩
٧٦ - المصدر السابق : ٢٠
٧٧ - المصدر السابق : ٤٦-٤٧
٧٨ - المصدر السابق : ٨٦
٧٩ - المصدر السابق: ١٢٧
٨٠ - المصدر السابق : ٥٣
٨١ - المصدر السابق : ١٠٣
٨٢ - ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل : ج ٤ : ٥٤ :

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتب

١- أساسيات البحث العلمي (دراسة منهجية) لكيفية إعداد البحوث العلمية ورسائل الماجستير والدكتوراه ، د. فهيمة أحمد علي القمارى ، دار الكتب والدراسات العربية، الاسكندرية ، ٢٠١٧ .

٢- أصول القانون أو المدخل لدراسة القانون ، د. عبد الرزاق احمد السنهوري باشا ود. أحمد حشمت أبو ستيت ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، د.ط، القاهرة ، ١٩٥٠م.

٣- البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي ، ج١،تحقيق الدكتورة وداد القاضى، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

٤- التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني الحنفي، ضبط نصوصها وعلق عليها محمد أبو العباس، دار الطلائع ، ط١، القاهرة ،٢٠١٣م.

٥- الجرائم الواقعة على أمن الدولة دراسة مقارنة في التشريعات العربية والقانونين الفرنسي والايطالي في ضوء المفاهيم الديمقراطية والدستورية المعاصرة ومبادئ حقوق الانسان ، د. محمود سليمان موسى ، دار المطبوعات الجامعية ، د.ط، القاهرة، ٢٠٠٩م.

٦- حقوق الإنسان ، د. حميد حنون خالد ، دار السنهوري ، د.ط ، بغداد ، ٢٠١٥م.

٧- دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط٧، القاهرة، ١٩٩٤م.

٨- دور القاضي الدستوري في التفسير المنشئ ، ميثم حنظل شريف ، وصبيح وحوح حسين الصباح، مجلة جامعة بابل ، العلوم الانسانية، المجلد ٢٥، العدد٢، ٢٠١٧.

٩- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك ، ابن عقيل الهمداني المصري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار زين العابدين ، ط١ ، قم ، ٢٠١٧م

١٠- الصياغة القانونية لغة وفناً ، د. محمد أحمد شحاتة حسين ، ط٢ ، المكتب الجامعي الحديث، مصر، ٢٠١٧.

١١- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، د. محمود السعران ، دار النهضة العربية ، د.ط ، بيروت، د.ت.

١٢- فن صياغة النص العقابي ، د. عادل يوسف الشكري، مكتبة زين الحقوقية، ط١،عمان ، ٢٠١٧م.

١٣- في اللغة والأدب ، إبراهيم بيومي مذكور ، دار المعارف المصرية، ط١ ، القاهرة ، ١٩٧١م.

١٤- اللسانيات الأنثروبولوجية، منظور معرفي لدراسة بنية الثقافة العراقية،دار كنوز المعرفة ، ط١، عمان، ٢٠١٩م.

١٥- المنطق ، الشيخ محمد رضا المظفر ، دار الغدير ، ط٦ ، قم ١٤٢٧هـ .

١٦- لسان العرب ، للعلامة ابن منظور ، دار الحديث ، د.ط ، القاهرة ، ٢٠١٣م.

١٧- اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني ، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين ، د. مرتضى جبار كاظم ، دار الأمان ، ط١ ، الرباط ، ٢٠١٥ م.

١٨- لغة القانون في ضوء علم لغة النص ، دراسة في التماسك النصي، د. سعيد أحمد بيومي ، دار الكتب القانونية ودار شتات للنشر ، ط١ ، ٢٠١٠ م.

١٩- المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي، د. قاسم خضير عباس ، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، لبنان، ٢٠٠٩ م.

٢٠- مبادئ واحكام القانون الاداري ، د. علي محمد بدير، د. مهدي ياسين السلامي، د. عصام عبد الوهاب البرزنجي ، العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، د. ت .

٢١- معجمات التصحيح اللغوي الحديثة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث ، د. لطيف نجاح القصاب ، دار المنهجية، ط١، عمان ، ٢٠١٨م.

٢٢- المهذب في أصول الفقه ، تطبيق للقواعد الأصولية على الشريعة والقانون، الشيخ فاضل الصفار، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي ، ط٢، العراق ، ٢٠١٦م.

٢٣- مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٤- مدخل إلى علم القانون ، د. محمد سامر عاشور، منشورات الجامعة الافتراضية السورية ،دمشق ، ٢٠١٨ م.

٢٥- من أسرار اللغة ، د. إبراهيم أنيس،مكتبة الانجلو المصرية، د.ط ، القاهرة ، ٢٠١٠م.

٢٦- نظرية تفسير النصوص المدنية دراسة مقارنة بين الفقهين المدني والاسلامي ، د. محمد شريف أحمد

، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ، ١٩٧٩. الحكيم ، د. عبد الباقي البكري، د. محمد طه البشير ، دار السنهوري ، ط١، بيروت ، ٢٠١٥ م.

ثالثاً : الكتب الأجنبية

1- English legal terminology legal concepts in language fourth edition Helen Gubby 2004.

رابعاً : البحوث

١- الأخطاء الإملائية الشائعة لدى طلبة كلية الدراسات القرآنية في أداء همزتي الوصل والقطع ، م.م حيدر الشلاه ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد الثامن ، ٢٠١٢م.

٢- دلالة الألفاظ بين التجسيد والتجريد ، د. علي موسى عكلة الكعبي ، مجلة دواة ، المجلد الخامس ، العدد الثامن عشر ، ٢٠١٨م.

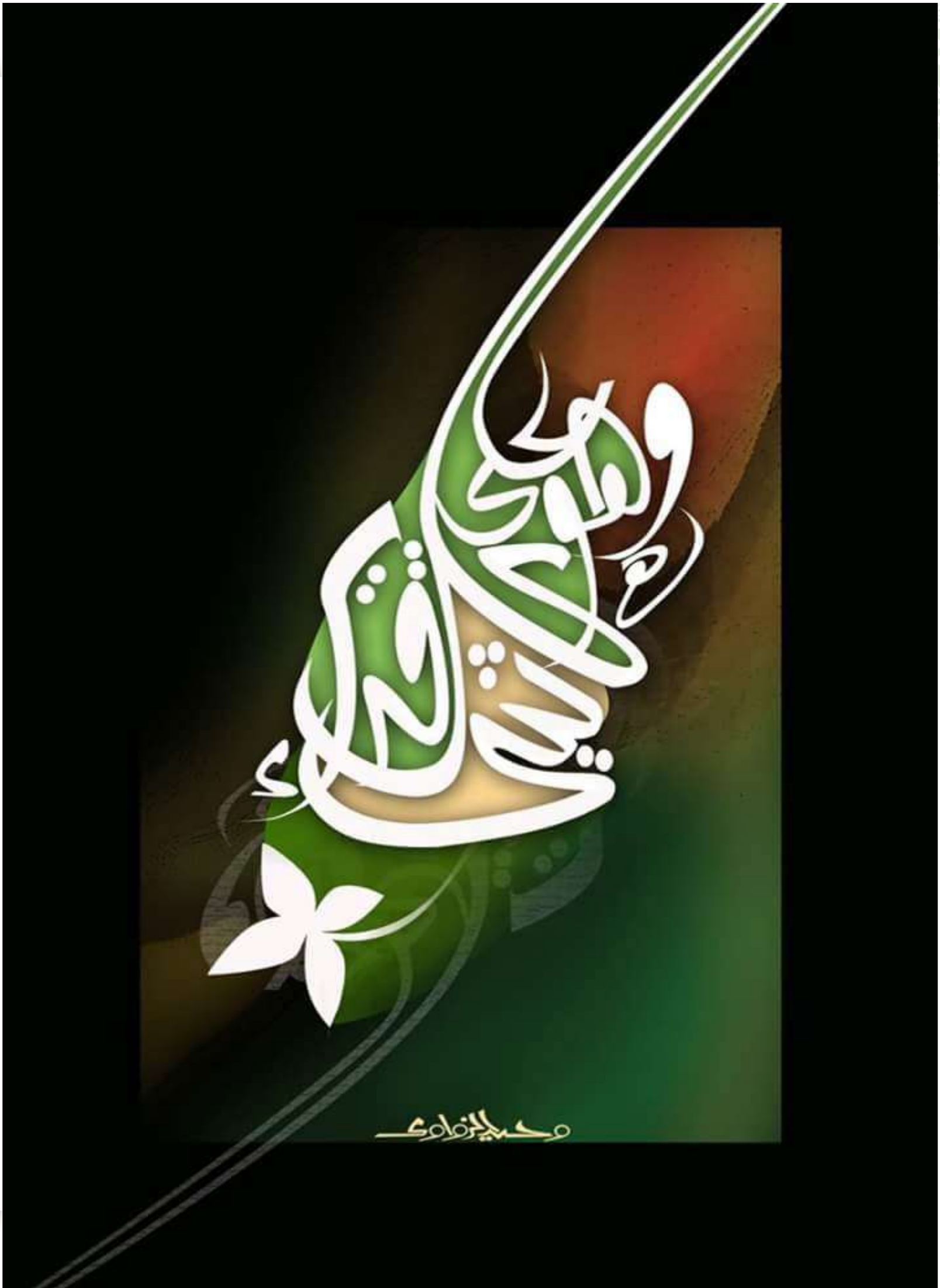
وعلى الله فليتوكل المتوكلون
وحيد الزناوي

بِنْيَةُ الجُمْلَةِ العَرَبِيَّةِ صِيْغَتَا التَّعَجُّبِ
(ما أَفْعَلَهُ ، وأَفْعِلْ بِهِ)
قَرَاءَةٌ فِي الوَظِيْفَةِ التَّدَاوُلِيَّةِ

Arabic sentence structure formulation of wonder، (What I do، I do with it) Reading in the deliberative function.

أ. د. رحيم كريم علي
جامعة بابل / كليّة الدراسات القرآنية

م. م حسين جعفر عبيد
المديرية العامة لتربية بابل

Dr. Rahim Karim Ali
University of Babylon / College of Quranic Studies.
Mr. Hussein Jafar Obaid
General Directorate of Education of Babylon.

كلمات مفتاحية :التعجّب ، الوظيفة التداوليّة ، ما أفعله ، أفعل به ، التعجّب القياسي ، القوة الإنجازيّة

key words
Exclamation، parliamentary function، what I do، do، standard exclamation، achievement power

mojtb471@gmail.com

ملخص البحث

يعدّ أسلوبُ التّعجّب واحدًا من الأساليب النحويّة المهمة ؛ فقد دُرِسَ نحويًّا وسُلّطَ الضوء على صيغه ومعانيه ، وعلى وجه الخصوص صيغتي (ما أَفْعَلَهُ ، وأَفْعِلْ بهِ) ، زيادة على ما يكتنف مباحث هاتين الصيغتين في كتب النّحو من عسرٍ ناشئٍ من مخالفة في الاعراب الأمر الذي جعل طلّاب النّحو يلقون عنتًا في فهم أسلوب التّعجب واستيعابه ، زيادة على قلّة الدراسات التي تناولت هذا الأسلوب تداوليًّا بوصفه عملية اجرائيّة تقتضي التفاعل المتبادل بين المتكلّم والسّامع على وفق ضوابط معينة من أجل الوصول إلى الغايات المرجوّة ، ويُنْظَر إلى هذا النتاج على أنّه فعلٌ كلاميّ مبنيّ على مقاصد معينة بلحاظ الموقف الاجتماعي الذي يوضّحه ويفسّره . تحصّلت الدراسة على مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد ، وتعقبهما خاتمة انطوت على جملة من النتائج ، وثبت بالمصادر والمراجع ، تناوش التمهيد تعريف التعجّب لغة واصطلاحًا ، فيما كان نصيب المبحث الأول البنية الجسديّة لصيغة (ما أَفْعَلَهُ) في الجملة العربية عند النحويين ، وورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ، وتناول المبحث الثاني البنية الجسديّة لصيغة (أَفْعِلْ بِهِ) في الجملة العربية عند النحويين ، وورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ، مع بيان الوظيفة التداوليّة لكلتا الصيغتين ، ثمّ خاتمة بما تحوصلت عليه الدراسة من نتائج ، وثبت بالمصادر والمراجع التي تناوشتها الدراسة .

Abstract

The method of exclamation is one of the important grammatical methods; it has been studied grammatically and highlighted its formulas and their meanings، in particular my formulas (what I do، and I do with it)، in addition to what is covered in these two formulas in the grammar books of the dyslexia resulting In addition to the lack of studies that have dealt with this method in circulation as a procedural process requiring the interaction between the speaker and the listener according to certain disciplines in order to reach the desired goals. It seems as a verbal act that has certain intentions through the social situation that clarify it.

The study obtained two subjects preceded by an introduction and a preamble، followed by a conclusion that included a number of results، and proved by sources and references. The preamble identifying the wonder in language and significance. The first section involved in the physical structure of the formula (what I do)in the Arabic sentence by the grammarians and and advent this formula in Quran. The second section dealt with the physical structure of the formula (do it) in the Arabic sentence at the grammarians ، and the receipt of this formula in the Koran، with a statement of the deliberative function of both formats، and then conclude the results of the study، and proved the sources and references discussed a study .

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين

أمّا بعد

فقد شكّل الانتاج اللغويّ موضوعًا رحبًا للدراسات العلميّة ؛ إذ انتظمته مجموعة من الدراسات الصّوتيّة والصرفيّة والنّحويّة والدلاليّة قديمًا وحديثًا ، زيّنت المكتبة العربية بهذه الدراسات ، وتناولت بعض الدراسات مجموعة من الأساليب الطلبية والإنشائية ، وإنّ واحدًا من الأساليب النحويّة المهمة (أسلوب التّعجّب) ؛ فقد دُرِسَ نحويًّا وسُلّطَ الضوء على صيغه ومعانيه ، وعلى وجه الخصوص صيغتي (ما أَفْعَلَهُ ، وأَفْعِلْ بِهِ) ، زيادة على ما يكتنف مباحث هاتين الصيغتين في كتب النّحو من عسرٍ ناشئٍ من مخالفة في الإعراب الأمر الذي جعل طلّاب النّحو يلقون عنتًا في فهم أسلوب التّعجب واستيعابه ، فضلًا عن الخلاف في صيغة (أَفْعِلْ بِهِ) أفعلًا ماضيًا تُعَدُّ أم أمرًا ، ما يجعل مَنْ أراد التّعمق في بحثها يجد صعوبة وحيرة . زيادة على قلّة الدراسات التي تناولت هذا الأسلوب تداوليًّا بوصفه عملية إجرائيّة تقتضي التفاعل المتبادل بين المتكلّم والسّامع على وفق ضوابط معينة من أجل الوصول إلى الغايات المرجوّة ، ويُنْظَر إلى هذا النتاج على أنّه فعلٌ كلاميّ مبنيّ على مقاصد معينة بلحاظ الموقف الاجتماعي الذي يوضّحه ويفسّره .

تحصّلت الدراسة على مبحثين تسبقهما مقدمة وتمهيد ، وتعقبهما خاتمة انطوت على جملة من النتائج ، وثبت بالمصادر والمراجع ، تناوش التمهيد تعريف التعجّب لغة واصطلاحًا ، فيما كان نصيب المبحث الأول البنية الجسديّة لصيغة (ما أَفْعَلَهُ) في الجملة العربية عند النحويين ، وورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ، وتناول المبحث الثاني البنية الجسديّة لصيغة (أَفْعِلْ بِهِ) في الجملة العربية عند النحويين ، وورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ، مع بيان الوظيفة التداوليّة لكلتا الصيغتين ، ثمّ خاتمة بما تحوصلت عليه الدراسة من نتائج ، وثبت بالمصادر والمراجع التي تناوشتها الدراسة .

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمدٍ وآله الطاهرين

تمهيد :

التَّعَجُّبُ : لغةً

قال الخليل(ت ١٧٠هـ) : « عجب : عَجِبَ عَجَبًا ، وأمرٌ عَجِيْبٌ عَجَبٌ عُجَابٌ ، قال الخليل: بينهما فَرْقٌ ؛ أمّا العَجِيْبُ فالعَجَبُ ، وأمّا العُجابُ فالذي جاوز حدّ العَجَبَ ، مثل الطويل والطُّوال ، وتقول: هذا العَجَبُ العاجِبُ ، أي: العَجِيْبُ . والاسْتِعْجَابُ : شِدّةُ التَّعَجُّبِ، وهو مُسْتَعْجِبٌ ومُتَعَجِّبٌ ممّا يرى ، وشيء مُعْجِبٌ ، أي: حَسَنٌ ، وأعجبني وأُعْجِبْتُ به ، وفلان مُعْجَبٌ بنفسه إذا دخله العُجْبُ ، وعَجَّبْتُه بكذا تعجيبًا فَعَجِبَ منه ، والعَجْبُ من كُلِّ دابّةٍ : ما ضُمّتْ عليه الوَرِكان من أصل الذَّنَبِ المغروز في مؤخَّر العَجُزِ »[1] .

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) : « عجب ، العينُ والجيمُ والباءُ أصلانِ صحيحانِ، يدلُّ أحدهما على كِبَرٍ واستكبارٍ للشيءِ ، والآخرُ خلقةٌ من خِلَقِ الحيوانِ . فالأول العُجْبُ، وهو أن يتكبّر الإنسان في نفسه ، تقول : هو مُعْجِبٌ بِنَفْسِه ، وتقول من باب العَجَبِ: عَجِبَ يَعْجِبُ عَجَبًا، وأَمْرٌ عَجِيْبٌ ، وذلك إذا اسْتَكْبَرَ واسْتَعْظَمَ

، قالوا: وزعم الخليل أنّ بين العَجِيْبِ والعُجَابِ فَرْقًا ؛ فأمّا العَجِيْبُ والعَجَبُ مِثْلُهُ فالأَمْرُ يُتَعَجَّبُ منه، وأمّا العُجَابُ فالذي يُجَاوِزُ حَدَّ الْعَجِيبِ »[٢] .

في ظلّ ما تقدّم يتبيّن أنّ المعنى التداولي الرئيس لهذه لصيغة (عَجِبَ) الكِبَر والاستعظام ، زيادة على دلالات أُخرَ منها صيغة (فُعَال) الدالة على المبالغة وتجاوز حدِّ العجيب ، وهو إنجاز وتأثير وقوة وشدة في التعجب ، وتشتد القوة الانجازية وتزداد قوة عند إسناد التعجب الى اسم الفاعل (عاجِبٌ) ، وهو غير المصدر الاستعْجَاب ؛ ففي اسم الفاعل القوة الإنجازية أقوى وأشد وأكثر تأثيرًا . ودلالة صيغة (فَعِيْل) عجيب ، الإنجازيّة على الأمر الذي لم يُعْهَد مثله ، ولم يُعْرَف سببُهُ ، زيادة على دلالة الإنكار والجهل ، نحو قوله تعالى :(بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) [الصّافّات / ١٢] ،أي عجبتَ من إنكارهم للبعث لشدّة تحققك معرفته . فضلًا عن دلالات مجازية ؛ إذ يُستعار من مادة (عجب) معنى (راق) ؛ فنستعير مرة للمونِق ، فيقال : أعجبني كذا أي راقني[٣] .

التعجب اصطلاحًا :

هو « الدهش من الشّيء الخارج عن نظائره المجهُول سبُبُه وقد قيل إذا ظهر السَّبب بَطل العجب وَاللّفظ الموضوع له بحقّ الأصل (مَا أَفعَلَهُ) فأمّا (أَفْعِلْ بِهِ) فمعدولٌ بِهِ عَن أَصله »[٤]. وذكر الراغب الأصفهانيّ أنّ : « العَجَبُ والتَّعَجُّبُ : حالةٌ تَعرضُ للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء : العَجَبُ ما لا يُعْرَفُ سبَبَهُ »[٥].

وهنا دلالة معجِبةٌ مقيِّدة يتمثّل بعدها التداوليّ وقوتها الإنجازيّة والتأثيريّة في خفاء السبب والجهل به ، ما يجعل المتعَجِّب يأتي بصيغة تدلّ على تأثّره وجهله بهذا الخفاء . وهو استعظام الشيء مع خفاء سبب حصول عظم ذلك الشيء فما لم يوجد المعنيان لا يحصل التعجب هذا هو الأصل[٦] . فلا ريب أنّ القوة الإنجازية والتأثيرية تتجلى في استعظام الأمر مع خفاء هذا الاستعظام.

وهو انفعال يحدث في النّفس عند الشعور بأمرٍ خفي سببه ، ولذا قيل : إذا ظهر السبب بَطُلَ العَجَبُ[٧] . وفي كلام السيوطي (ت ٩١١هـ) إشاراتٍ إنجازيةٍ عندما ذكر أنّ معنى التعجُّب تعظيمُ الأمرِ في قلوبِ السَّامعين ؛ لأنَّ التّعَجُّبَ لا يكون إلّا من شيءٍ خارجٍ عن نظائره وأشكاله[٨] .

ونقل السيوطي عن الرمّانيّ أنّ أصل التعجّب عنده إنّما هو للمعنى الخفي سببه ، والصيغة الدالة عليه تسمّى تعجبًا مجازًا ، وأنّ المطلوب في التعجّب الإبهام ؛ لأنّ من شأن النّاس أنْ يتعجبّوا ممّا لا يُعْرَف سببُه ، فكلّما استبهم السبب كان التعجّب أحسن ، واستدلَّ على تكشيف ما ذهب إليه بالفعل (نِعْمَ) فذكر أنّ مِن أجل الإبهام لم تعمل (نِعْمَ) إلّا في الجنس من أجل التفخيم ؛ ليقع التفسير على نحو التفخيم بالإضمار قبل الذكر[٩].

فالرمّانيّ يرى أنّ إطلاق التعجّب على الصيغة إنّما هو مجازٌ مرسَلٌ والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي الحاليّة والمحليّة ؛ إذ إنّ الصيغة معنًى للمحلّ ، وكشف عن أنّ في صيغة التعجّب إبهامًا ، والتعجّب مُفادٌ منه لأجل التفخيم ، واستدلّ بأنّ (نِعْمَ) لا يعمل إلّا في الجنس ، والجنس مبهم ، والتفخيم

آتٍ من إبهامه ؛ لذلك لا يُؤتَى بمفسِّرٍ ضميره إلّا جنسًا ، كما في قولنا (نعمَ رجلًا زيدٌ) فلمّا حصل هنا الإضمار قبل الذكر أوتي بمفسِّر مرجع الضمير جنسًا كلفظ (رجلًا) ؛ لكي يفيد التفخيم المستلزم للتعجب[١٠].

فالرمّانيّ أراد تكشيف الوظيفة التداوليّة لصيغة التّعجّب التي يتبّعها المتكلّم في إطلاق التعجب على المعنى الخفي ؛ أي غير المعروف سببه فيؤدي تأثيره على المخاطب في ضوء خفاء العلة عن المتكلّم ، وبيّن المطلوب في التواصل التعجبّي هو الإبهام ؛ لأنّ الناس يتعجبون مّما خفي سببه[١١] .

المبحث الأول :

البنيةُ الجسديّة والمعنويّة لصيغة التعجب ما أَفْعَلَهُ عند النّحاة :

قال سيبويه :« باب ما أَفْعَلَهُ على معنيين تقول: ما أَبْغَضَنِي لَهُ ، وما أَمْقَتَنِي لَهُ ، وما أشهاني لذلك إنّما تريد أنّك ماقِتٌ ، وأنّك مُبْغِضٌ ، وأنّك مُشْتَهٍ ، فإنْ عَنَيْتَ قلتَ : ما أَفْعَلَهُ ، إنّما تعني به هذا المعنى ، وتقول : ما أَمْقَتَهُ وما أَبْغَضَهُ إليّ ، إنّما تريد أنّه مَقِيْتٌ ، وأنّه مُبْغَضٌ إليك، كما أنّك تقول: ما أَقْبَحَهُ، وإنّما تريد أنّه قبيحٌ في عينك ، وما أَقْذَرَهُ ، إنّما تريد أنّه قَذِرٌ عندك »[١٢] .

عند مباحثة النصِّ المذكور آنفًا تتجلّى القوة الإنجازية في كلام سيبويه متمثلةً بالقصد والعناية ؛ فقوله : (ما أمقتني له) نلحظ أنّ المتكلّم أراد إنجاز فعل كلاميّ ودلالة تداوليّة تمثلت في دلالة اسم الفاعل (ماقِتٌ ، ومُبغِضٌ ، ومُشْتَهٍ) ، فالقصد والعناية مريدان من المتكلّم عند التحدث بهذه الصيغة ، ويختلف البعد التداوليّ والعناية بما تمثّله من قوة إنجازيّة وتأثيرية عندما نلحظ أنّ الفعل الكلامي موجّه الى المخاطب ، فكلام سيبويه المساق لهذا المعنى (ما أمقته وما أبغضه إليّ) يقصد بذلك أنّ الفعل الكلامي وقع على المخاطب (المقت والبغض) وبذلك كان البعد التداولي أنّ المخاطب مَقِيْت ، ومُبْغَضٌ .

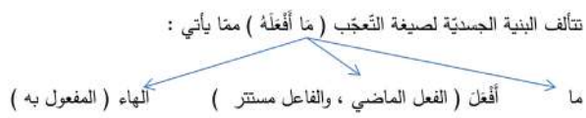

معنى صيغة (مَا أَفْعَلَهُ) :

ذكر النحاة أنّ معنى صيغة التعجّب في قولنا (ما أحسَنَ زيدًا) ، أي : شيءٌ لا يُعرَفُ جعل زيدًا حَسَنًا ؛ لأنّ التعجُّب لا يكون إلّا ممّا لم تعْرَف علّته . ثمّ نُقل هذا التركيب (ما أَفْعَلَهُ) من الخبر إلى إنشاء التّعجب وزال عنه الجعل الموجود من أحسن ، فـ (ما) عند أكثر النحويين اسم ، وهي نكرة تامّةٌ بمعنى شيء[١٣] .

معنى ذلك أنّ البعد التداوليّ للصيغة الإخبار ووصف شيء أُنجِز وتحقق ، ثمّ نقِلَت هذه الصيغة إلى إنشاء فعل كلاميّ يراد به التعجب له قوة إنجازيّة وتأثيريّة في إيصال الدهش والتعجُّب والتأثُّر به إلى المخاطب .

أمّا الفرّاء فقد احتمل معنىً تداوليًا مغايرًا للتعجب فذكر أنّ (ما) قد تكون للاستفهام[١٤] ، وفيه يطلب المتكلّم من المخاطب الإجابة بإنشاء فعل كلاميٍّ خالٍ من الدهش والتعجب ؛ لأنّ سبَبَه غيرُ خَفِيٍّ زيادةً على التنغيم الذي يأتي بأسلوب الاستفهام يغاير التنغيم في التعجب .

وأظهر الأخفش فيما نُقل عنه أنّ لـ(ما) تداوليّة غير التعجّب عندما ذهب إلى أنّها موصولة ؛ أي معرفة ناقصة بمعنى الذي والجملة بعدها صلة الموصول لا محل لها من الإعراب والخبر محذوف وجوبًا ، والتقدير : الذي حَسَّنَ زيدًا شيءٌ عظيم أو موجودٌ ، فضلًا عن ذلك فقد احتمل رأيًا آخر ؛ إذ عدَّ (ما) نكرةً ناقصةً موصوفةً بمعنى شيء ، والجملة بعدها في محل رفع صفة لـ(ما) ؛ لأنّ محلها الرّفع . والخبر محذوف ، والتقدير : شيءٌ أحسن زيدًا شيءٌ عظيم[١٥].

وفطن العكبري (ت ٦١٦هـ) إلى أنّ ما ذكره الأخفش لا فائدة فيه ؛ إذ لا يؤدي المعنى التداوليّ والقوة الإنجازيّة اللذينِ قصدهما المتكلِّم وأنشأ في ضوئه الفعل الكلاميّ المراد منه التعجّب إذا كانت (ما) موصولة ؛ فالسّامع لا يُفيدُ معنى الدهش والتّعجّب وخفاء السبب وإنّما يُفيدُ تداوليّةً تتمثّل بالإخبار المحض لا غير ، زيادةً على أنّ صلة الموصول فيها إيضاح للاسم الموصول وزوال الإبهام لا يؤدي غرضًا إنجازيًّا أو تأثيرًا يراد منه التعجب ، والفائدةُ غيرُ متحققةٍ عند تقدير الخبر ؛ لأنّه إنّما جاز الابتداء بهذه النكرة لأنّ الغرض السّرعة في الإنجاز والتأثير وإنّما عُدِل عن (شيء) إلى (ما) ؛ لأنّ (ما) أشدّ إبهامًا إذ كانت لا تُثَنّى ولا تُجمع ولا تقع للتحقير ، ولأنّها يؤكد بها إبهام شيء[١٦] .

ولا جرم أنّ الإبهام اللائق بالتّعجّب والبعد التداوليّ الذي يحقّق إنجازًا وتأثيرًا يتأتّى بجعل (ما) نكرة تامة بمعنى شيء ؛ لأنّ قصد المتَعَجِّب الإعلام بأنّ المتَعَجَّبَ منه ذو مِزيةٍ إدراكها جليٌّ ، وسبب الاختصاص بها خفيّ فاستحقت الجملة المُعَبَّر بها عن ذلك أنّ تفتتح بنكرةٍ غير مختصةٍ ؛ ليحصل بذلك إبهام متلو بإفهام ، ولا شك أنّ الإفهام حاصل بإيقاع أفْعَل على المتعجب منه ، إذ لا يكن إلّا مختصًا ، فتعين كون الباقي وهو (ما) مقتضيًا للإبهام[١٧]، وعلى ذلك فإنّ الإبهام وارد للتعجّب من جهتين ؛ الأولى : لفظيّة بحضور (ما) في البنية الجسديّة اللفظيّة ، والأخرى : معنويّة هي قصد المتكلِّم ، فهو يقصد إلى تعظيم شأن المتعجَب منه ، والإبلاغ بأنّه بلغ غاية تفوق توقعاته ، وهو المعنى التداوليّ الذي يحقق الغاية من التواصل اللفظي[١٨] .

من العلماء الذين هبّوا إلى دراسة اللغة العربية ، والغوص في أعماقها ، وتعرّف أسرارها ، وسَبْر أغوارها بوصفها لغة التواصل والحوار ، ولغة العلم والتفكير الدكتور إبراهيم السامرائي في عَرضِه أسلوب التّعجّب عرضًا عميقًا ، فذكر أنّ دارسي علوم العربية عرّفوا باب التعجّب على أنّه مادةٌ نحويّة تتأتى بصيغتين هما ما أَفْعَلَهُ ، وأَفْعِلْ به ، نحو قولهم : ما أَحْسَنَ زيدًا ، وأَحْسِنْ بزيدٍ ، وأنّ اقتصار النحويين على هاتين الصيغتين في هذا الباب يبعدنا عن فهم هذه المادة التي هي من فنون القول الخاص ، فقولنا : ما أَحْسَنَ السماءَ ! تعجّب من حسن السماء ، وإعرابٌ عن هذا الحُسْنِ بأسلوبٍ يدخل في حقيقة الجملة الخبريّة المشتملة على المسند والمسند إليه ، فليس هو نظير قولنا زيدٌ حاضرٌ ، وبيّن أنّ قولهم هذا عَجبٌ من العَجِب ! ، وتساءل كيف يمكن أنْ يكون هذا التعجّب جملة يعني إخبارًا ليس غير؟ وأنكر هذه المقولة أشد الإنكار ؛ ذلك أنّك حين تنطق متعجّبًا من (حُسْنِ السّمَاءِ) فتقول : ما أَحْسَنَ السّماءَ ! لا تريد أنْ تقول إنّ السماءَ حَسَنَةٌ . وزاد في تكشيف ما ذهب إليه بقوله إنّنا إذا قلنا (ما

أَحْسَنَ زيدًا) وادعينا أنّ المعنى (شيءٌ حسّنَ زيدًا) فهل نفهم من هذا التفسير معنى التّعجّب المراد؟ [١٩] .

فالدكتور السامرائي يرى أنّ هذا الباب لا يقتصر على أسلوب التّعجّب وأنّ ما ورد بصيغتيه له معنىً تداولي آخر يُفْهَم من سياق الكلام ، فذكر أنّ « هذا شيءٌ من تأويل النحاة الذي يفتقر كل الافتقار إلى العلم »[٢٠] . وبيّن أنّ النحاة أعربوا (أحْسَنَ)- في قولنا ما أَحْسَنَ زيدًا- فعلا ماضيًا مبنيًّا على الفتح يفيد التّعجّب ، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبًا يعود على (ما) وزيد مفعول به ، وقد سجّل اعترضًا على هذا القول ؛ إذ تساءل أنّه كيف يتأتّى أنْ يجري فعل الحسن وهو قاصر لازم مجرى الفعل المتعدي المجاوز فإذا كان القائل متعجّبًا من (حُسْنِ) زيد ، فكيف نفهم أنّه أراد أنّ شيئًا حسّنه ؟ وقد يقال : ألمْ يفْطِنُوا إلى ذلك[٢١].

وقد شاطر الدكتور فاضل السامرائي الدكتور إبراهيم السامرائي الرأي معارضته النّحاة في باب التّعجب ورأى أنّ النظر يجب أنْ يصبّ على المعنى ، ففي حديثه عن صيغة (ما أفعله) وبعد أنْ ذكر آراء النحاة في هذه الصيغة قال : « والأقرب إلى الصواب أنْ يُقال : إنّ هذه عبارة تفيد التّعجب ، والتّعجب معلوم ، ثمّ أنّ التعجّب انفعال قديمٌ في نفس البشر ، والأظهر أنّه وضعت له صيغة ابتداء ؛ لأنّ الإنسان محتاج إلى التعبير عنه قبل كثير من التعبيرات ، ولا داعي للدخول في تفسيرات تفسد المعنى والذوق »[٢٢]. وتوافقا كذلك في أنّ الذي ألجأ النّحاة إلى تفسيرهم صيغة التعجّب هو الإعراب ؛ لأنّ النّحاة يرون ضرورة إعراب كل تعبير ولو ألجأهم إلى مسخ التعبير وإفساده[٢٣].

والحصيلة التي خرج بها الدكتور فاضل السامرائي في حديثه عن باب التعجّب قوله : « ونحن نرى أنّه لا داعي لإعراب كل تعبير ، فهناك تعبيرات لا داعي لإعرابها ، بل يُكْتَفَى بوصفها وهذا منها ، أو يُعرب على صورة أخرى ليس فيها مثل هذا التّمحّل »[٢٤].

وممّا يمكن الركون إليه أنّ التحليل الجسدي للبنية اللفظية لتركيب التّعجب القياسي (ما أفعَلَهُ) يكشف أنّ النّحاة يحلّلون هذه الصيغة إلى أصول متعددة قائمة على أساس منطقيٍّ بعيد عن معنى التّعجب فلجؤوا إلى التقدير والتأويل وهو ما أدّى بهم إلى الخروج بهذه العبارة عن معناها الحقيقي ، في حين أنّ التّعجّب لا يلزم فيه ما يلزم في غيره من تقديرات النّحاة وإعرابهم ، فهو من العبارات المسكوكة الذي يجري مجرى الأمثال للزومه طريقة واحدة[٢٥]، وأمّا جملة (ما أفعَلَهُ) فيمكن إعرابها بأكثر من وجه من دون تأويلٍ مفسدٍ للمعنى[٢٦]:

١- ما : أداة تعجب ، أَفْعَلَ : مُتَعَجَّب به ، زيدًا : متَعَجَّب منه .

٢- ما : حرف تعجّب ، وقد جُعِل حرفًا ؛ لأنّ الأصل في المعاني عند النّحاة أنْ يُعبّر عنها بالحروف كالاستفهام والخطاب ، والتّعجّب عند النحاة معنىً حقّه أنْ يُؤدى بالحرف ، وقد قيل بالأصل تخلصًا مّما يجرّه القول باسميتها من التأويلات البعيدة .

أفعل : اسم منصوب متعجّب به ، وهذا الاسم اذا اتصل بياء المتكلّم جيء بنون الوقاية معه ، فنقول (ما أفقرني) شأن أسماء الأفعال قدني وقطني وعليكني ودراكني

زيدًا : مُتَعَجّب منه منصوب .

٣- ما : حرف تعجّب .

أفْعَل : فعل التّعجّب مبني على الفتح ، وهذا الفعل

لا يحتاج إلى فاعل شأن أفعال الاستثناء ، نحو (جاء الرجالُ خلا واحدًا) ، ولا داعي لتقدير فاعل لا يقتضيه المعنى ، وقد قالوا بخلوّ أفعال الاستثناء هذه من الفاعل قسم النحاة [٢٧].

زيدًا : مُتَعَجَّب منه .

٤- ما : اسم تعجّب لا محلّ له من الإعراب ، وهذا قال به الكسائي ، ونظيره من الأسماء أسماء الأفعال ، وأل الموصولة ، وضمير الفصل عند قسم من البصريين ، وغير ذلك ، مّما ليس له محلّ من الإعراب من الأسماء .

صيغة (ما أفعلَه) في القرآن الكريم :

قبل أنْ نلج في تبيان البنية الجسديّة لصيغتي التّعجّب في القرآن الكريم ، بنا حاجةٌ إلى بيان مدلول التّعجّب في القرآن الكريم ، بلحاظ صفاتيّة الخالق سبحانه وتعالى أيقع التّعجّب منه أم لا يقع ؟ إنّ ما زاده الأصوليون والمفسّرون والمتكلّمون على مناقشات النحاة والبلاغيين فهو مسألة التّعجّب من أفعال الله سبحانه وتعالى وخاصةً الواردة في القرآن الكريم ، وانقسموا إزاءه إلى فريقين :

الأول : يقول بالجواز . والثاني: يَرُدُّ هذا الرأي بتفسير أنّ التّعجّب استعظام يصحبه الجهل (خفي سببه) والله منزّه عن ذلك. ولذلك استلطفوا واستحسنوا صنيع الزمخشريّ ، إذ عبّر عنه بـ(التعجيب) ، بمعنى أنّ التعجّب مصروف إلى المخاطب ، وقد أخذ المفسّرون والأصوليّون بمصلح التّعجيب إذا كانت ألفاظ التّعجّب صادرة من الله تعالى[٢٨]

والحصيلة أنّ الأصوليين زادوا على التّعجّب فعلًا كلاميًّا ثانيًّا هو التّعجيب ، ومعناه حمل المخاطب على التّعجب ؛ إذ فعل التّعجب فيه مصروف إلى المخاطب[٢٩]. ولهذا استبعد الفخر الرازي نسبة التّعجب إلى الله سبحانه وتعالى فذكر أنّه قد وردت في القرآن ألفاظ دالة على صفات لا يمكن إثباتها في حق الله تعالى ، وعدّد منها صورا هي ، الاستهزاء ، والمكر والغضب ، والتّعَجُّب، والتَّكبر، والحياء، وبيّن أن القانون الصحيح في هذه الألفاظ أنّ لكل واحد من هذه الأحوال أمور توجد معها في البداية، وآثار تصدر عنها في النهاية ، مثاله أنّ الغضب حالة تحصل في القلب عند غليان دم القلب وسخونة المزاج ، والأثر الحاصل منها في النهاية إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فإذا سُمِعَ الغضبُ في حق الله تعالى فَيُحْمَلُ على نهايات الأعراض لا على بدايات الأعراض، ويقاس الباقي عليه[٣٠] .

وجاءت صيغة ما أفْعلَهُ في موضعين من القرآن الكريم ؛ أحدهما : قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ [البقرة / ١٧٢] . الصبر : الحبس[٣١]. وإنّما الغرض من الآية أنْ يدلّنا على أنّ الكفار حلُّوا محلّ مَنْ يُتَعَجّب منه ، فهو تَعْجِيْب لنا منهم ، وحبسوا أنفسهم على عمل أهل النار بدوامهم عليه ، ورُوي عن بعض العرب أنّ أحدهم قال لخصمه ما أصبرك على الله ؛ أي على عذاب الله تعالى[٣٢].

في ظلّ الآية المباركة فعل كلامي جاء بصيغة (ما أَفْعَل) لإنشاء فعل التعجّب من المخاطب الذي يتعجّب من حال القوم الذين تنطبق عليهم الأوصاف السابقة لهذه الآية وهي الضلالة التي اشتروها بالهدى وكفرهم بالنبي صلى الله عليه وآله وجحدهم لنبوته

واستبداله بالإيمان به ، وهم وإنْ لم يقصدوا أنْ يضلّوا بدلًا من أنْ يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبي صلى الله عليه وآله بدلًا من الإيمان به ، وذلك ضلال بدلًا من هدى ، وقوله تعالى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ الفاء معناها معنى الجواب ؛ لأن الكلام المتقدم قد تضمّن معنى من كان بهذه الصفة (الصبر على النار) ، فعُومِل معاملة المعنى الذي تضمنه حتى كأنّه قد لفظ به[٣٣]، فضلًا عن ذلك فإنّ المفعول به ضمير لا اسم ظاهر وهذا الاقتصاد اللغوي في بناء الجملة يُظهر قوة إنجازيّة وتأثيريّة منها الفعليّة والقوة ، زيادة على الهول والتفخيم المفاد من الفعل (أصبر) .

ويرى الفرّاء أنّ قوله تعالى ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ فيه وجهان تداوليّان ؛ أولهما : معناه فما الذي صبّرهم على النار؟[٣٤] أي أنّ (ما) استفهاميّة والمحتوى القضوي هو السؤال عن صبر أصحاب النار على مكوثهم فيها أو تحمّل العذاب ، وقوتها الإنجازيّة والتأثيريّة الخوف والردع . وثانيهما : فما أَجرأهم على النّار[٣٥] . ودلالة (ما) التداوليّة التعجّب . وذهب أبو عبيدة والمبرّد إلى أنّ (ما) في الآية المباركة استفهاميّة لا تعجبيّة ؛ وهو استفهام على معنى التقدير والتوبيخ بهم ، ومعناه : أيّ شيءٍ صبّرهم على النار ودعاهم إليها حتّى تركوا الحقّ واتّبَعُوا الباطل؟[٣٦] .

الاستفهام الذي حصل بـ(ما) أدّى معنًى تداوليًّا قوته الإنجازيّة والتأثيريّة التوبيخ والإهانة والاحتقار ، وهو ردع وعِبْرَة لمن يفكّر أن تؤول حاله الى هذا المصير .

أمّا الطبريّ فإنّه يرى أولى هذه الأقوال بتأويل هذه الآية المباركة قول من قال ما أجرأهم على النار، بمعنى: ما أَجْرَأَهُم على عذاب النار وأعملهم بأعمال أهلها ، وذلك أنّه مسموع من العرب ما أَصْبَرَ فلانًا على الله ، بمعنى ما أَجْرَأَ فلانًا على الله! ، وإنّما يعجب الله خلقه بإظهار الخبر عن القوم الذين يكتمون ما أنزل الله تبارك وتعالى من أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونبوَّته ، واشترائهم بكتمان ذلك ثَمنًا قليلًا من السّحت والرّشى التي أعطوها على وجه التعجب من تقدمهم على ذلك مع علمهم بأنّ ذلك موجبٌ لهم سَخط الله وأليم عقابه[٣٧].

ويمكن بيان القوة الإنجازيّة والتأثيريّة في ظلّ ما حدده سيرل من شروط على وفق ما يأتي[٣٨] (:

والموضع الآخر : قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ ﴾ [عبس من الآية / ١٧] .

الآية المباركة فيها تعجيب من مبالغة في الكفر وستر الحق الصريح وهو مُدَبّر بتدبير الله لا يملك شيئًا من تدبير أمره غيره تعالى[٣٩] ، والكفر الوارد في الآية المباركة قد يحتمل ثلاثة معانٍ ؛ عدم الإيمان ، والكفران وعدم الشكر ، وجحود الحق وستره بأيِّ غطاء كان وعلى كل المستويات ، وهو المعنى الجامع والمناسب للآية ؛ لأنّها تعرضت لأسباب الهداية والإيمان ، فيما

المحتوى اللفظي ← ما ، أصبرَ ، الضمير هم ، السياق .
المحتوى القضوي ← التّعجّب من شدّة صبر الكافرين على النّار .
المحتوى الإنجازيّ ← المبالغة والتّعظيم .
المحتوى التأثيريّ ← التوبيخ والخزي والإهانة والاحتقار في الدنيا زيادة على العذاب الأليم في الآخرة .

تتحدث الآيات التي تليها عن بيان النّعم الإلهية التي لا تُعدّ ولا تُحصى ، و(قُتِلَ الإنسانُ) كناية عن شدَّة غضبِ اللهِ سبحانه وتعالى ، وزجره لمَنْ يكفر بآياته ، وكذلك هو دعاء على الكافر ، وهي من أشنع دعواتهم ؛ لأنّ القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعه[٤٠].

في ظلّ تفسير الآية المباركة نلمح أنّ هناك قوة في إنشاء الفعل الكلامي والبعد التداوليّ المتمثل في صيغة (تفعيل) وهو حمل المخاطب على التّعجّب ؛ إذ فعل التّعجّب مصروف إلى المخاطب ، وهو يحمل معنى مبالغة الكفر وستر الحق الصريح وكذلك دلالته الإنجازيّة والتأثيريّة على عظم هذا الأمر وهوله وهو خروج عن مبدأ جزاء الإحسان بالإحسان ، فضلًا عن الكناية الواردة في قوله (قُتِل الإنسان) الدالة على غضب الباري سبحانه وتعالى وما فيها من ردع وخوف وحذر وهيبة ودهش تجعل الإنسان يفكر في أعماله وتحثّه على شكر النِّعم التي أغدقها الله سبحانه وتعالى عليه ظاهرة وباطنة . أمّا قوله تعالى (ما أَكْفَرَهُ) فهو تعجّب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا نرى أسلوبًا أغلظ منه ، ولا أخشنَ مسًّا، ولا أدلَّ على سخطٍ ، ولا أبعدَ شوطًا في المذمَّة ، مع تقارب طرفيه، ولا أجمع للأئمة على قصر متنه [٤١].

مّما تحسن الإشارة إليه أنّه يجوز في قوله تعالى (ما أَكْفَرَهُ) وجهان : الأول : أنْ تكون (ما) تعجّبيّة ؛ أي التعجّب من كفر الإنسان مع إحسان الله عليه وأياديه عنده . والثاني : أنْ تكون (ما) استفهاميّة ؛ أي : أيّ شيءٍ أكفره ؟[٤٢] .

ولا يخفى أنّ الدلالة التداوليّة والوظيفيّة للتّعجب تختلف عن الدلالة التداوليّة والوظيفيّة للاستفهام ؛ إذ التّعجب له قوة أقوى وأشد وأكثر تأثيرًا في السامع من الاستفهام ، وكذلك المحتوى اللفظي لجملة التعجّب تغاير المحتوى اللفظي لجملة الاستفهام ، فجملة التّعجّب تتكون من (ما التعجّبيّة + فعل التّعجّب + المفعول به) ، أمّا جملة الاستفهام فتتكوّن من (أداة الاستفهام + الاسم المستفهم عنه) ، ولذلك فإنّ دلالة (ما) تترجح فيها التّعجبيّة ؛ إذ من العجب إفراط الانسان في كفره وهل في خلقته - بعد أنْ خلقه الله سبحانه وتعالى - ما يوجب له الإفراط في الكفر فأُجِيْبَ بنفيه وأنْ لا حجة له يحتَجّ بها ولا عذر يعتذر به فإنّه مخلوق من ماء مهين لا يملك شيئًا من خلقته ولا من تدبير أمره في حياته ومماته ونشره[٤٣].

ومن هنا فإنّ النظر الباصر إلى قوله تعالى (قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ) يتحوصل عنه أنّ تعاقب المسكوت عنه في الخطاب القرآني (قُتِل الإنسانُ) وهو الفاعل الذي قام بالفعل ، و(ما أكفره) وهو المفعول به لفعل التّعجب يُعطي قوة وتعجبًّا وتأكيدًا ، زيادة على المقطع الصوتي الطويل المفتوح في (ما) التعجبيّة ؛ إذ له أثرٌ تداوليٌّ في صيغة التّعجب وسرعة إنجازيتها .

وذهب المفسرون إلى أنّ معنى (ما أَكْفَرَهُ) ما أَشَدَّ كفره وما أبين ضلاله ! وهذا تعجّبٌ منه ، كأنّه قد قال تعجبوا منه ومن كفره ، مع كثرة الشواهد على التوحيد ، والإيمان[٤٤] . وبالرّغم من أنّ الفعل (كفر) مستجمع للشروط الواجب توافرها في الفعل الذي يُصاغ منه فعل التّعجب فإنّه جاء في التعبير القرآني بمصدر الفعل مسبوقًا بـ(أشَدّ) ؛ وهو جائز في الفعل الجامع للشروط ، فيجوز التّعجب منه بطريقة مباشرة بصيغة (ما أَفْعَلَهُ) وهو الأصل والأكثر ، ويجوز أنْ يُتَعَجّب منه بطريقة غير مباشرة ؛ وذلك بالإتيان بمصدر الفعل وقبله، أشد ، أو أكثر ، أو أقل ،أو غير ذلك[٤٥] . ولا ريب أنّ الإتيان بالفعل الكلاميّ (أشّد) بعده مصدر الفعل المتَعَجَّب منه يعطي قوة وسرعة في الإنجاز والتأثير .

المبحث الثاني :

البنية الجسديّة والمعنويّة لصيغة (أَفْعِلْ بِهِ) عند النّحاة :

ذكر النحاة أنّ صيغة (أَفْعِلْ بِهِ) فعليّة ولا خلاف في ذلك بينهم ، وإنّما الخلاف في لفظ ومعنى هذه الصيغة ؛ فذهب بعض النحويين إلى أنّ (أَفعِلْ) فعل أمرٍ في الصورة ماضٍ في المعنى ؛ أي أنّ المحتوى اللفظي لهذه الصيغة هو الأمر الذي يتضمن قوة وشدة وسرعة في إنجاز الفعل الكلاميّ ، والمعنى التداوليّ لها هو الخبر الذي يؤدي وظيفة تداوليّة تحتمل الصدق أو الكذب . وهو في الأصل على صيغة (فَعَلَ) بمعنى : صار ذا كذا ، كـ(أَغْدَ البعير) إذا صار ذا غُدّة ، والهمزة هنا للصيرورة ثم غُيِّرَت صورة الماضي إلى الأمر لإرادة التعجب فقَبُحَ إسناد صيغة الأمر إلى

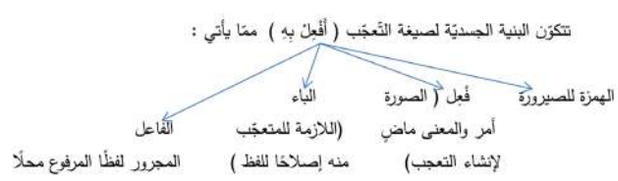

الاسم الظاهر، فزِيْدَت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به كـ(امررْ بزيدٍ)، ولذلك التزمت بخلافها في نحو: كفى بالله شهيدًا فيجوز تركها[٤٦].

ولا ريبَ أنّ البعد التداوليّ للأمر مغايرًا للخبر من حيث القوة الإنجازيّة والتأثيرية ؛ فالأمر طلبٌ يُراد به التزام المخاطب بفعل شيء ، وله إنجاز وتأثير قويّ وشديد وسرعة في إرادة الإجابة ، أمّا الخبر فيتمثل بعده التداولي بالوصف المتحقق[٤٧]، فعُدِل عن الخبر إلى الأمر ؛ لما فيه من معنى المبالغة والتأكيد[٤٨]. والواقع أنّ تفسير النّحاة لصيغة (أَفْعِل) بأنّ صورته الأمر ومعناه الماضي يزيد الأمر تعقيدًا وغموضًا ؛ لأنّ المبالغة والاستدعاء والتأكيد مأخوذة من معنى الأمر وهم يرون أنّ صيغة (أَفْعِل) فعل أمر في الصورة فقط ، فكأنّهم يرون أنّ هذه الصيغة فعل ماضٍ من جهة وفعل أمرٍ من جهةٍ أخرى[٤٩]. وذكر النحاة أنّ الباء الداخلة على الاسم المتَعَجَّب منه زائدة ، وهي لازمة للتفريق بين التّعجب والأمر والمتَعَجّب منه مجرور لفظًا بها لكنّه مرفوع محلًّا على أنّه فاعل لفعل التَّعَجّب[٥٠] .

ويتجلى مبدأ القصد في ضوء إرادة المتكلّم عند استعمال الباء مع صيغة (أَفْعِل) ؛ إذ فرّقتْ بين الأمر الذي يؤدي وظيفة تداوليّة وقوة إنجازيّة وتأثيريّة في المخاطب وسرعة في انجاز الفعل الكلامي ، وبين التعجب الدالّ على الدهش الحاصل من خفاء وجهل السبب . وبذلك يحصل اختلاف في المحتوى القضوي واللفظي للجملة ، فمحتوى الأمر غير محتوى التعجّب ، وكذلك لفظ الأمر غير الخبر[٥١].

في ضوء القراءة الفاحصة لرأي النحويين القائل بزيادة الباء الداخلة على الاسم المتعَجّب منه ، فإنّه قد يُعتَرضُ على ذلك بأنّ الباء الداخلة على المتّعَجّب منه لازمة وحرف الجر الزائد لا يلزم مجروره بل يجوز حذفه كما هو الشأن في الباء الداخلة على فاعل (كفى) التي يجوز حذفها[٥٢] . وقد أُجيب عن هذا الاعتراض بجوابين ؛ أحدهما : أنّ الباء لزمت هنا للتفريق بين التعجّب والأمر .

وفطن بعض النحاة ورأوا أنّ هذا الجواب غيرُ كافٍ ويرد عليه إشكال يتمثّل بكون الباء ليست ضرورية لتحصيل هذا الفرق ، بل هو ممكن بأمور أُخَر تختلف

بحسب فعل التعجّب المستعمل ؛ فقولنا (أَحْسِنْ بزيدٍ) ليست الباء ضروريةً لحدوث هذا الفرق بينهما ؛ لأنّه لو كان أمرًا لقيل (أَحْسِنْ إلى زيدٍ) فحصل الفرق بحرف الجر(إلى) ، ولو قيل : (أَكْرِمْ بزيدٍ) في التّعجّب ، فإنّه يقال في الأمر : أَكْرِمْ زيدًا فيحصل الفرق بنصب (زيدًا) ؛ لأنّ المتعجّب منه مرفوع حسب قولهم .

أمّا الجواب الآخر : أنّ الباء لزمت اصلاحًا للفظ ؛ لأنّ حق فعل الأمر ألّا يرفع اسمًا ظاهرًا ، فدخلت الباء على الفاعل لزومًا ليكون اللفظ بصورة المفعول به[٥٣].

في ظلّ القراءة الفاحصة لما تقدّم يتضح أنّ لزوم زيادة الباء تؤدي وظيفة تداوليّة في الجملة ؛ الجر في اللفظ والرفع في المعنى؛ أي أنّ المحتوى اللفظي للقوة الإنجازية في الجملة يتغيّر بحسب قصد المتكّلم ، والفعل الكلامي الذي يريد أنْ ينجزه .

ويظهر أنّ لهذه الصيغة (أَفْعِل بِهِ) خصوصيات قلّما يُصاب لها نظير في العربية ؛ وهذه الخصوصيات هي : مجيء فعل الأمر بمعنى الفعل الماضي ، ورفع الفعل وهو في صورة الأمر اسمًا ظاهرًا ، ودخول حرف الجر الزائد على وجه اللزوم إذ لا يمكن حذفه ، زيادة على ما يُلحظ على هذا الرأي في معالجة التداخل بين معنى الأمر ومعنى المضيّ في فعل التعجّب ، والتداخل بين الفاعلية والمفعوليّة في المتعجّب منه[٥٤] .

صيغة أَفْعِلْ بِهِ في القرآن الكريم :

وردت هذه الصيغة في موضعين من القرآن الكريم ، هما :

١- قوله تعالى : ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف / ٢٦] .

في ظلّ الآية المباركة وردت صيغة (أَفْعِلْ) لتدلَّ على التَّعَجُّب من إدراكه سبحانه وتعالى المسموعات والمبصرات؛ أي كمال بصره وسمعه ، لتتميم التعليل كأنّه قيل وكيف لا يكون أعلم بلبثهم وهو يملكهم على كونهم من الغيب وقد رأى حالهم وسمع مقالهم ، زيادةً على أنّ أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين ؛ لأنّه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها ، كما يدرك أكبرها حجمًا وأكثفها جرمًا، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر[٥٥] . وكذلك فإنّ قوله تعالى (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) صيغتا تعجيب من عموم علمه تعالى بالمغيبات من المسموعات والمبصرات، وهو العلم الذي لا يشاركه فيه أحد[٥٦] .

في ظلِّ النظر لصيغة (أَفْعِلْ) في الآية المباركة وما في هذا النظْمِ المُعْجِز الذي فاق وعلا سائر النُّظُوم ؛ إذ قدّم البصر على السّمع لما لحاسة البصر من أهميّة المبالغة في المدح ، كأنّه قيل ما أَبْصَرَهُ وأَسْمَعَهُ ، وتأويل الكلام ما أَبْصَرَ اللهَ لكلّ موجودٍ ، وأَسْمَعَهُ لكلّ مسموعٍ ، لا يخفى عليه من ذلك شيء[٥٧]. فاستعمل صيغة (أَفْعِل) وأراد صيغة (مَا أفعَلَه) ولا ريب أنّ الصيغة الأُولى لها القوة الفعلية التداوليّة وتؤدي إنجازًا وتأثيرًا أقوى من الصيغة الثانية ؛ تلك القوة متأتية من الاقتصاد اللفظي ، زيادة على تقديم الفعل على والنطق به وكذلك السرعة في إنجاز الفعل ، بخلاف الصيغة الأولى ؛ إذ يأتي الفعل الكلاميّ بعد (ما) ، فضلًا عن أنّ الفاعل المجرور بالباء الزائدة مسكوتٌ عنه بعد الفعل (أَسْمِعْ) وبه دلالة على إنجاز الفعل وتحققه

بالسرعة القصوى ، فإذا جاء بالفاعل ستكون هناك مهلة زمنية وفاصل وبعد في تحقيق الفعل الإنجازي وهو غير مُراد هنا .

وإذا أردنا تكشيف السبب في تقديم البصر على السمع في هذا الموضع ، فلعلّ السيّاق هو الدليل على هذه القصْديّة ؛ فالآيات السابقة لهذه الآية كانت تتحدث عن طلوع الشمس وغروبها ، وكذلك عن حَسْبِ أهل الكهف أيقاظًا وهم رقود وتوجيه ذلك بصيغة المخاطب إذ قال تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ ﴾ [الكهف / ١٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)[الكهف / ١٨] ، ولا شكَّ أنّ رؤية طلوع الشمس وغروبها إنّما تكون بحاسة البصر ، وكذلك الاستغراق في النوم الطويل ، فكانت إنجازية الفعل الكلامي متوجهة إلى تقديم البصر على السمع .

- قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ . [مريم / ٣٨] .

المراد أنّ أسماعهم وأبصارهم يومئذٍ جديرة بأنْ يُتَعَجَّبَ منهما بعد ما كانوا صمًا وعميًا في الدنيا ، وقيل معناه التهديد بما سيسمعون ويبصرون ممّا يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم[٥٨] .

في ظلّ الآية المباركة نرى أنّ الباري سبحانه وتعالى قدّم السمع على البصر ؛ لأهمية المُقَدّم للإخبار عن حال الكافرين الزاعمين أنّ لله سبحانه وتعالى أندادًا وولدًا وورودهم عليه في الآخرة فإنّهم كانوا في الدنيا عميًا عن إبصار الحقّ ، والنظر إلى حجج الله التي تدلّ على وحدانيته ، صمًا عن سماع آي كتابه ، وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده ، وما بعث به أنبياءه ، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة

في ظلّ ما تقدّم يمكن بيان القوة الإنجازيّة بما يأتي :

المحتوى اللفظي ← أبصر ، الباء ، هم ، أسمعْ ، الواو .

المحتوى القضوي ← التّعجب من إحاطة علمه بالمبصرات والمسموعات ؛ أي كمال بصره وسمعه .

القوة الإنجازيّة والتأثيريّة ← القوة والقدرة والإحاطة الكاملة على الكون بأكمله ، وأنّه تعالى يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها .

، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع[٥٩]، فضلًا عن السياق الذي جاء في ضوئه هذا التّقديم ؛ إذ النظر الباصر إلى الآيات المباركات يتبيّن في ظلّه أنّ الانتقال من قصة النبيّ يحيى عليه السلام إلى قصة النبي عيسى عليه السلام وما بينهما من تشابه من حيث الولادة القائمة على خرق العادة ، وقد أوتي عيسى عليه السلام الرُّشْد والنُبُوَّة وهو صبيّ كيحيى ، وقد أخبر أنّه برٌّ بوالدته وليس بجبّارٍ شقي وأنّ السلام عليه يوم وُلِدَ ويوم يموت ويوم يُبْعَثُ حيًّا كما أخبر الله عن يحيى عليه السلام بذلك إلى غير ذلك من وجوه الشبه ، فضلًا عن اختلاف الأحزاب فيما بينهم ، كلُّ ذلك ناسب أنْ يقدّم السمع في هذا الموضع[٦٠].

البعد التداوليّ في الآية المباركة الوارد بصيغة (أَفْعِل بِهِ) يتمثل بالإخبار عن حال الكافرين الذين يردون على الله سبحانه وتعالى ، فضلًا عن استعمال لفظتي السمع والبصر ، زيادة على الدلالة الالتزاميّة وما تحمله من غرض إنجازيّ وهو التهديد والوعيد وكذلك الغرض التأثيري المتمثّل بالخوف والردع والانصات لصوت الحق واتباع آيات الحق سبحانه وتعالى ، وكذلك السياق الذي يعطي معنى التّعجّب والتهديد والوعيد .

وفَطَنَ الدكتور إبراهيم السامرائي إلى رأي مهم ؛ فرأى أنّ النحاة حملوا الفعلين (أَبْصِرْ ، وأَسْمِعْ) في قوله تعالى ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾[الكهف / ٢٦] وفي قوله تعالى ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [مريم / ٣٨] على التّعجّب ، وأنّ قولنا (أَسْمِعْ وَأَبْصِرْ) نظير قولنا : ما أَحْسَنَ زيدًا ، وأنّ هذا ليس من ذاك وليس بينهما من صلة مشابهة أو قرابة دلاليّة ؛ إذ إنّ كلامهم يفيد أنّ لهما فائدة واحدة هي التّعجّب ، ولا يرى أنّ قوله تعالى (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) إرادة تعجّب بل ذلك من تمام الآية هو ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ وفي هذه الآية ذكرٌ لأهل الكهف ومدة لبثهم فيه ، وقد نُفِيْدُ من الآية المباركة أنّها تشتمل على تعظيم الله سبحانه وتعالى وتمجيده ففي قوله تعالى ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ضمير يعود عليه سبحانه وتعالى وهو في هذا ألصق بأسلوب المدح منه بالتّعجّب[٦١].

في ضوء القراءة الفاحصة للآية المباركة المذكورة يمكن تمثيل القوة الإنجازية بما يأتي :

المحتوى اللفظي ← أسمعْ ، أبصر ، الباء ، هم ، حرف العطف الواو .

المحتوى القضوي ← السماع والإبصار لآيات الله سبحانه وتعالى .

الغرض الإنجازي ← الإخبار عن حال الكافرين الذين كانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا ، ولا يعتبرون بما يسمعونه ويبصرونه ، وكذلك إخبار عن ورودهم على الله سبحانه في الآخرة .

الغرض التأثيري ← التهديد والوعيد والخزي في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة .

وبَصَرَ الدكتور السامرائي أنّ قوله تعالى في سورة مريم عليها السلام والنظر إلى الآية السابقة وهي قوله تعالى ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ليس من إرادة التّعجّب بل المراد عظَم المشهد من ذلك اليوم الذي عبّر عنه بـ(أَسْمِع بِهِمْ وأَبْصِرْ) ، ولعلّ هذا الأسلوب يؤدي ما يؤديه قولنا (إنّه ملءُ السّمْعِ ومِلءُ البصرِ) ، وليس من شكٍّ أنّ في هذه الجملة الخبريّة شيئًا من المدح [٦٢] .

في ظلّ ما تقدّم فإنّ الدكتور إبراهيم السامرائي يخالف ما ذهب إليه جمهور النّحويين والمفسرّين في تفسير الآيتين المباركتين المذكورتين آنفًا ، ويرى أنّ الدلالة التداوليّة لهما المدح لا التعجب وأنّ القوة الإنجازيّة لهما التعظيم والتمجيد ، وما من شكٍّ أنّ المعنى التداوليّ للمدح يختلف عن المعنى التداوليّ للتعجّب في الألفاظ والنبر والتنغيم والمعنى والتأثير .

بناء فعلي التعجّب

وضع النحويون شروطًا لبناء فعلي التعجّب ؛ هي : أن يكون فعلًا ، وأن يكون ثلاثيًّا ، متصرِّفًا ، قابلًا للتفاوت ، تامًّا غير ناقصٍ كـ(كان وأخواتها) ، ومثبت ،غير ملازم للنفي ، نحو (ما عاج زيدٌ بهذا الدواء) أي : ما انتفع به ؛ فإنّ العرب لم تستعمله إلّا في النفي ، فلا يُبنى منه فعل التّعجب ؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى مخالفة الاستعمال بالخروج من النفي إلى الإثبات ، وأن لا يكون اسم فاعله على وزن (أَفْعَل - فَعْلاء) ، وغير مبني للمجهول ، ومتصرّفًا[٦٣].

في ظلّ النظر الباصر إلى شروط النحويين في فعل التّعجّب تتجلّى دلالة الفعل الكلامي المصوغ منه فعل التعَجّب وهو يؤدي وظيفة تداوليّة تتضمن قوة إنجازيّة وتأثيريّة في إيصال الدهش وخفاء العلة والسبب عن

المخاطب ، وإذا فقد الفعل شرطًا من هذه الشروط ، فإنّ المعنى التداولي لا يتحقق ولا يكون كافيًا في إيصال قصده إلى المخاطب وبذلك يفقد الفعل الكلامي قوته الإنجازية ، ولا يكون مؤثِّرًا بالمخاطب في ضوء صياغته للجملة العربية .

وممّا يحسن قوله أنّ الفعل المراد منه صوغ التّعجّب إذا فقد بعض شروطه يمكن التّوصّل إلى التّعجّب منه بصورة غير مباشرة تتمثل بالإتيان بمصدره منصوبًا بعد (أشدّ) أو (أكثر) ونحوهما ، ومجرورًا بالباء الزائدة بعد (أَشْدِدْ) أو (أَكْثِرْ) ونحوهما ، نحو : ما أَشَدَّ إيمانَهُ ، أو ابتهاجَهُ ، أو سواد عينيه ، ونحو : أَبْلِغْ بِعَوَرِهِ ، أو كِحْلِهِ ، أو اجتهادِهِ[٦٤] .

ومما مّرَّ نرصُدُ إشارةً مُعجبةً في أنّ الفعل الذي لا تتوافر فيه شروط التَّعَجّب يُصاغ تعجُبُه في ضوء الإتيان بفعل يُتَعَجّب منه (أشدّ أو أكثر) من أجل إنجازية الفعل وتأثيريته ، وتكون هذه الإنجازيّة أعلى وأمضى وأقوى من صيغة ما أَفْعَلَهُ .

الخاتمة :

بعد هذه الجولة الماتعة في البحث في صيغتي التّعجب (ما أَفْعَلَهُ) و (أَفْعِلْ بِهِ) في ضوء الوظيفة التداوليّة ، تحوصَل البحث على ما يأتي :

١- أظهر البحث أنّ صيغتي التّعجّب (ما أفعله وأفعل به) تخرج لمعانٍ مجازيّة هي المدح والتعظيم والتوبيخ والإنكار .

٢- كشف البحث عن أنّه لا يجوز التعجّب من الله سبحانه وتعالى ، وما ورد في الظاهر أنّه تعجّب منه عزّ وجلّ يُحمَل على أنّه تعجيب من المخلوقين .

٣- بيّن البحث أنّ بعض العلماء اعترضوا على النحاة بجعل صيغتي (ما أفعله ، وأفعل به) دالتا على التعجب فقط ، ورأوا أنّ لها دلالات أخر يحددها المعنى والسياق .

٤- بيّن البحث أنّ الفعل غير المستوفي للشروط أقوى دلالة وأسرع من الفعل المستجمع للشروط .

٥- أظهر البحث أنّ صيغة التعجّب (أفعل به) أشرع وأشد من صيغة التعجّب (ما أفعله) .

الهوامش

١ - العين : ١/ ٢٣٥ .
٢ - مقاييس اللغة : ٤/ ٢٤٣ ــ ٢٤٤ ، وينظر : أساس البلاغة : ١/ ٦٣٥ .
٣ - ينظر : المفردات في غريب القرآن : ٥٤٧ .
٤ - اللباب في علل البناء والإعراب : ١/ ١٩٦ .
٥ - المفردات في غريب القرآن : ٣٢٢ .
٦ - ينظر : مفاتيح الغيب : ٥ / ٢٠٧.
٧ - ينظر : التعريفات : ٦٢ ، وحاشية الصّبان : ٣/ ٢٣ .
٨ - ينظر : الاتقان في علوم القرآن : ٣/ ٢٥٩ .
٩ - ينظر : المصدر نفسه .
١٠ - ينظر : أبحاث في القرآن الكريم : ١٢٨ .
١١ - ينظر : الإتجاه التداوليّ والوظيفي في الدرس اللغوي : ٤٣ .
١٢ - الكتاب : ٤ / ٩٩ ــ ١٠٠ .
١٣ - ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٩٩ ، و المقتضب : ٤ / ١٧٣ ، وشرح المفصّل لابن يعيش : ٤ / ٤١٦-٤١٧ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٣ ، وشرح التصريح على التوضيح : ٢ / ٥٨-٥٩ .
١٤ - ينظر : معاني القرآن : ٣ / ٣٧١ .
١٥ - ينظر : معاني القرآن (الأخفش) : ١/ ١٦٦ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٢٦ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٣ ، وشرح التصريح عن التوضيح : ٢ / ٥٨ .
١٦ - ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : ١ / ١٩٦ ــ ١٩٧ .
١٧ - ينظر : شرح التصريح على التوضيح : ٢ / ٥٩ ، وأبحاث في القرآن الكريم : ١٤٢ .
١٨ - ينظر :إفصاحيّة التّعجب مقاربة في التركيب والدلالة والتداوليّة : د. أحمد ياسين حيال ، مجلة والقلم ، ديوان الوقف الشيعي ، العراق ، العدد ٣٤ ، ٢٠١٧م : ١٣٨ .
١٩ - ينظر : من أساليب القرآن : ٦٧ .
٢٠ - المرجع نفسه .
٢١ - ينظر : المرجع نفسه .
٢٢ - معاني النحو : ٤ / ٢٣٩ .
٢٣ - ينظر : معاني النحو : ٤ / ٢٣٨ ، ومن أساليب القرآن : ٦٧ .
٢٤ - معاني النحو : ٤ / ٢٣٩ .
٢٥ - ينظر : إفصاحيّة التّعجب مقاربة في التركيب والدلالة : ١٣٦ .
٢٦ - ينظر : معاني النّحو : ٤ / ٢٣٩ .
٢٧ - ينظر : همع الهوامع : ٢ / ٢٨٠ .
٢٨ - ينظر : التحرير والتنوير : ٢ / ١٢٥ .
٢٩ - ينظر : البرهان في علوم القران : ٢ / ٣١٩ .
٣٠ - ينظر : مفاتيح الغيب : ١ / ١٤١ .

٣١ - ينظر : مقاييس اللغة : ٣/ ٣٢٩ .
٣٢ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ٩٠ .
٣٣ - ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢ / ٩٠ .
٣٤ - ينظر : معاني القرآن : ١ / ١٠٣ .
٣٥ - ينظر : معاني القرآن : ١ / ١٠٣ .
٣٦ - ينظر : مجاز القرآن : ١ / ٦٤، والمقتضب : ٤ / ١٨٣ . والبحر المحيط : ٢ / ١٢٥ .
٣٧ - ينظر : جامع البيان : ٣ / ٣٣٣- ٣٣٤ .
٣٨ - ينظر : التداوليّة في الفكر النقدي : ٨٩- ٩٠ ، والإتجاه التداوليّ والوظيفي في الدرس اللغوي : ٤٨ .
٣٩ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٠٦ .
٤٠ - ينظر : الكشاف : ٤ / ٧٠٢ – ٧٠٣ ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ١٩ / ٤١٨ .
٤١ - ينظر : تفسير السمرقندي بحر العلوم : ٣ / ٥٤٧ ، والكشّاف : ٤/ ٧٠٣ ، والمثل السائر (ابن الأثير) : ٢ / ٢٦١ .
٤٢ - . ينظر : تفسير السمرقندي : ٣/ ٥٤٧ ، والنكت والعيون (الماوردي) : ٦ / ٢٠٥ ، والمحرر الوجيز : ٥ / ٤٣٨ ، والتبيان في إعراب القرآن : ٣٨٦ ، والميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٠٦ .
٤٣ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ٢٠ / ٢٠٦ .
٤٤ - ينظر : مجمع البيان : ١٠ / ٢٦٨ ، وتفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : ٨/ ٣٢٢ ، والدّر المنثور : ٦ / ٤١٩ ، وفتح القدير : ٥ / ٣٨٤ .
٤٥ - ينظر : شرح التّصريح على التوضيح : ٢ / ٧٤ .
٤٦ - ينظر : الأصول في النحو : ١ / ٩٨ ، واللمع في العربية : ١٣٧ ، واللباب في علل البناء والإعراب : ١/ ٢٠٢ ، واللمحة في شرح الملحة : ١/ ٥٠٩ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٢ / ٢٢٧ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٤ .
٤٧ - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٨٩ .
٤٨ - ينظر : الأصول في النحو : ١ / ١٠٢ ، واللمحة في شرح الملحة : ١ / ٥٠٩ .
٤٩ - ينظر : صيغة التعجّب (أفعِلْ به) ، جواد بن محمد بن دخيل ، مجلة الدراسات اللغوية ، السعودية ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، ٢٠٠٣م : ١٩ .
٥٠ - ينظر : الأصول في النحو : ١ / ١٠١ – ١٠٢ ، و اللمحة في شرح الملحة : ١ / ٥٠٩ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٤، وجامع الدروس العربية : ٦٩ .
٥١ - ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ٨٩- ٩٠ .
٥٢ - ينظر : الأصول في النحو : ١/ ١٠١ ، وشرح المفصّل : ٤ / ٤١٨ .
٥٣ - ينظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٣ / ٢٢٨ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٦٣ ، وشرح التصريح على التوضيح : ٢ / ٦١ .
٥٤ - ينظر : صيغة التّعجّب أَفْعِل به : ٢٤- ٢٥ .
٥٥ - ينظر : الكشّاف : ٢ / ٧١٦ .

٥٦ - ينظر : التحرير والتنوير : ١٥ / ٣٠٢ .
٥٧ - ينظر : جامع البيان : ١٧ / ٦٥٠ .
٥٨ - ينظر : الكشاف : ١٧/٣ ، ومفاتيح الغيب : ٢١ / ٥٤٠ .
٥٩ - ينظر : جامع البيان : ١٨ / ١٩٩ .
٦٠ - ينظر : الميزان في تفسير القرآن : ١٤ / ٣٤ .
٦١ - ينظر : من أساليب القرآن : ٧١- ٧٢ .
٦٢ - ينظر : المرجع نفسه : ٧٢ .
٦٣ - ينظر : اللمحة في شرح الملحة : ١/ ٥١٦ ــ ٥١٧ ، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ٣/ ٢٣٥-٢٣٨ ، وشرح التصريح على التوضيح : ١/ ٦٧- ٧٢ ، وجامع الدروس العربية : ٦٦-٦٧ .
٦٤ - ينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : ١/ ٢٠٠- ٢٠١ ، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : ٢ / ٢٧١-٢٧٢ .

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١ - أبحاث في القرآن الكريم : د. خليل إبراهيم حمودي السامرائي ، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة ، العراق ، ٢٠٠٧ م .

٢ - الاتجاه التداوليّ والوظيفي في الدرس اللغوي : د. نادية رمضان النّجار ، مؤسسة حورس الدوليّة ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٣م .

٣ - الإتقان في علوم القرآن : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤ م .

٤ - أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٩٩٨م .

٥ - الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحويّ ابن السراج (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

٦ - آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : د.محمود أحمد نحلة ، دار المعرفة الجامعيّة ، مصر، ٢٠٠٢م .

٧ - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ،

٨ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : عبد الله بن يوسف جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، لبنان .

٩ - البحر المحيط : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ه .

١٠ - البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

١١ - التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ البغداديّ (٦١٦هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٢ - التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسيّ(ت ١٣٩٣هـ) ، تونس ، الدار التونسيّة ، ١٩٨٤م .

١٣ - التداوليّة في الفكر النقديّ : د. كاظم جاسم منصور العزّاويّ ، الشركة العربية المتحدة للتسويق ، مصر ، ط١ ، ٢٠١٦م .

١٤ - التعريفات : علي بن محمد بن علي الزّين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٥ - تفسير السمرقندي (بحر العلوم) : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) .

١٦ - تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيّ البصريّ الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

١٧ - جامع البيان : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليّ، أبو جعفر الطبريّ (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

١٨ - جامع الدروس العربية : مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (ت ١٣٦٤هـ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط٢٨ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

١٩ - حاشية الصّبان : أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعيّ (ت ١٢٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م .

٢٠ - الدّر المنثور : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

٢١ - شرح الأشموني لألفية ابن مالك : علي بن محمد بن عيسى نور الدين الأُشْمُونيّ الشافعيّ (ت

٩٠٠هـ) ، : دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .
٢٢ - شرح التصريح على التوضيح : خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهريّ ، (ت ٩٠٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .
٢٣ - شرح المفصّل : يعيش بن علي بن يعيش محمد بن علي، ، موفق الدين الأسدي الموصلي، ابن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
٢٤ - فتح القدير : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكانيّ اليمنيّ (ت ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٤ هـ .
٢٥ - الكافية في علم النّحو : ابن الحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (ت٦٤٦ هـ) ، تحقيق : الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٠ م .
٢٦ - الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر سيبويه (١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢٧ - كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصريّ (ت ١٧٠هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
٢٨ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .
٢٩ - اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبريّ البغداديّ (٦١٦هـ) ، تحقيق : د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٣٠ - اللمحة في شرح الملحة : محمد بن حسن بن سِباع ، أبو عبد الله، شمس الدين، ابن الصائغ (ت ٧٢٠هـ) ، تحقيق : إبراهيم بن سالم الصاعدي ، السعودية ، ط١ ، ٢٠٠٤م .
٣١ - اللمع في العربية : أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : فائز فارس ، دار الكتب الثقافية – الكويت .
٣٢ - المثل السائر (ابن الأثير) : ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق : أحمد الحوفي، بدوي طبانة ، دار نهضة مصر - القاهرة .
٣٣ - مجاز القرآن : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ البصريّ (ت ٢٠٩هـ) ، تحقيق : محمد فواد سزگين ، مكتبة الخانجى – القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
٣٤ - مجمع البيان : علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٧ه) ، تقديم : السيد محسن الأمين العامليّ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .
٣٥ - المحرر الوجيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تمام بن عطية الأندلسيّ (ت ٥٤٢هـ) ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ .
٣٦ - معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ) ، أحمد يوسف النجاتي ، ومحمد علي النجار ، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية – مصر ، ط١ .
٣٧ - معاني القرآن : أبو الحسن المجاشعي البصريّ ، الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ) ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م
٣٨ - معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، دار السلاطين ، الأردن ، ط١ ، ٢٠١٠م .
٣٩ - مفاتيح الغيب : محمد بن عمر بن الحسن التيميّ

الرازيّ ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ .
٤٠ - مفردات في غريب ألفاظ القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانيّ(ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار القلم – دمشق ، ط١ ، ١٤١٢ هـ .
٤١ - مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزوينيّ الرازيّ (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٤٢ - المقتضب : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالىّ الأزديّ، أبو العباس المبرِّد (ت ٢٨٥ه) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب – بيروت .
٤٣ - من أساليب القرآن : د. خليل إبراهيم حمودي السامرائي ، دار الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١١٠٣ه – ١٩٨٣م .
٤٤ - الميزان في تفسير القرآن : محمّد حسين الطباطبائيّ (ت ١٤٠٢هـ) ، قم ، مؤسسة النشر الإسلامي .
٤٥ - النكت والعيون (الماوردي) : أبو الحسن علي بن محمد البصريّ البغداديّ الماورديّ (ت ٤٥٠هـ) ، تحقيق : ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية – بيروت .
٤٦ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية – مصر .

الأبحاث :

١ - إفصاحيّة التّعجّب مقاربة في التركيب والدلالة والتداوليّة ، مجلة والقلم ، د. أحمد ياسين حيال
ديوان الوقف الشيعي ، العراق ، العدد ٣٤ ، ٢٠١٧م.
٢ - صيغة التعجّب (أفعِلْ به) ، جواد بن محمد بن دخيل ، مجلة الدراسات اللغوية ، السعودية ، المجلد الخامس ، العدد الثاني ، ٢٠٠٣م .

قل هو الله احد

(فاعليةُ استراتيجيةِ شبكات التفكير البصري(VTN) في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة التاريخ)

(The effectiveness of the strategy of visual thinking networks (VTN) in the achievement of fifth grade students in literary history)

م. د. حسنين عدنان مرتضى
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء
Dr. Hasnain Adnan Mortada
General Directorate of Education in Karbala.

كلمات مفتاحية : مادة التاريخ / التفكير البصري / طرائق التفكير / الأساليب التقليدية / الفاعلية

hasanain.a.mortada@gmail.com

ملخص البحث

يهدفُ البحثُ الحالي للتعرف على (فاعلية إستراتيجية شبكات التفكير البصري (VTN) في تحصيل طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ)، ولتحقيق هذا الهدف اتبع الباحث المنهج التجريبي وقد اقتصرت حدود البحث على عينة من طلاب الصف الخامس الادبي - مركز محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩ .

اختار الباحث عينة المدارس الاعدادية النهارية للبنين في المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة، وبالاختيار العشوائي اعدادية مدينة العلم، وقد بلغت عينة البحث(٦٠)طالباً بواقع (٣٠)طالباً في كل من المجموعة التجريبية والضابطة، كافأ الباحث إحصائياً بين مجموعتي البحث في عدد من المتغيرات التي قد تؤثّر في سلامة التجربة ومنها: (العمر الزمني محسوباً بالشهور، التحصيل الدراسي للوالدين، الذكاء، التحصيل الدراسي السابق لمادة التاريخ).

صاغ الباحث أهدافاً سلوكية للفصول الثلاثة الاخيرة من كتاب التاريخ للصف الخامس الادبي، عددها (١٢٤) هدفاً، واعدّ خططاً تدريسية لمجموعتي البحث، كما أعدّ الباحث اختباراً تحصيلياً لقياس مستوى تحصيل الطلاب بعد إتمام التجربة، إذ تكون الاختبار من (٤٠) فقرة اختبارية من نوع الاختيار من متعدّد، استعمل الباحث مجموعة من الوسائل الاحصائية، وتوصلت الدراسة إلى تفوّق طلاب المجموعة التجريبية التي درست باستعمال شبكات التفكير البصري على طلاب المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في التحصيل. في ضوء هذه النتيجة خرج الباحث باستنتاجات وبتوصيات عدة، منها اعتماد استراتيجية شبكات التفكير البصري (VTN في تدريس مادة التاريخ، استكمالاً للبحث الحالي اقترح الباحث إجراء دراسات أخرى مماثلة للدراسة الحالية على الطلاب في مراحل دراسية أخرى

Abstract

The present research aims to identify (the effectiveness of the strategy of visual thinking networks (VTN) in the achievement of fifth grade literary students in history). 2018-2019.

The researcher chose the sample of the high schools for boys in the Directorate General of Holy Education of Karbala، and randomly selected Madeenet Alelem high school. The research sample reached (60) students (30) students in both the experimental and control group. Which may affect the integrity of the experience، including: (chronological age calculated in months، educational attainment of parents، intelligence، academic achievement prior to history).

The researcher formulated behavioral goals for the last three chapters of the history textbook for the fifth grade literary، number (124) goals، and prepared teaching plans for the two research groups، the researcher also prepared a test to measure the level of student achievement after the completion of the experiment، the test consisted of (40) test items of the type Multiple choice، the researcher used a set of statistical methods، and the study found that the students of the experimental group that studied using visual thinking networks were superior to the students of the control group who studied in the usual way in achievement. In light of this result، the researcher came up with several conclusions and recommendations، including the adoption of the strategy of visual thinking networks (VTN in teaching history).

المقدمة

الفصل الأول : مشكلة البحث:

على الرغمِ من الجهودِ التي بُذِلَتْ في مجالِ طرائقِ تدريسِ المواد الاجتماعية وأساليبِها، مازال التدريسُ مقيّداً بمفاهيمَ سادتِ الماضي، إذ نجدُ كثيراً من المدرسينَ ما زالوا يركّزون على الأساليب التقليدية بدلاً من تركيزهم على تفعيلِ دور الطالبِ، وإشراكهِ في العمليةِ التعليميةِ ، وهذا بدوره جعل النظام التعليمي أمام تحديات كبيرة في ظل التغيرات العالمية المستمرة في مجال العلم والتكنولوجيا، وما أفرزته تلك التغيرات من قضايا ومشكلات انعكست على النظام التعليمي الذي يعدّ الطلبة للحياة والمجتمع حيث لمس الباحث كونه مدرسا لمادة التاريخ لمدة خمسة عشر عاماً أنه على الرغم من وجود التطورات السريعة وضرورة مواكبتها، ألا أن واقع الحال غير ذلك مّما جعل المدرسين يلجؤون إلى استعمال طرائق وأساليب تدريسية تعتمد على تحفيظ الطلبة للحقائق والمعلومات التاريخية دون فهمها أو ادراك الترابط بينها وإن هذه الاساليب التقليدية جعلت من الطالب متلقيا للمعلومات والتعليمات دون المشاركة في المناقشة والحوار والنقد والتحليل والاستنتاج والوصول إلى الحقائق، ذلك كله جعل الطالب يفتقد إلى روح البحث والتفكير السليم، كون من الصعوبات التي تواجه تدريس مادة التأريخ هي طبيعة المادة الدراسية المقررة على الطلبة التي غالباً ما تكون فيها الموضوعات مزدحمة بالأسماء والسنين والحقائق والمفاهيم التاريخية في فقرات يكون تسلسلها الزمني مربكاً للطلبة، فضلاً على كونها تجمع بين البعدين المكاني والزماني، فالتأريخ مغلق بالماضي الذي لا يمكن الرجوع إليه، ولا نستطيع التعبير عنه إلاّ في أطر لفظية ومادية (دلائل تاريخية) تحتوي رموزاً نحاول التعبير بها عن مجريات وأحداث وقعت في عصور مضت وانتهت وهذا لا يشجّع على التفكير لدى الطلاب ولا ينمّي لديهم مهارات النقد والتفسير والتحليل التاريخي، ولا يساعدهم على اكتشاف المعاني والمفاهيم الجديدة وايجاد الحلول المبتكرة، كذلك قلة الأنشطة التعليمية التي لها الأثر الكبير في تطوير مهارات التاريخ، وإن الإحساس بمشكلة تدريس التاريخ وما يتعرّض له من صعوبات يقتضي التفكير بالبحث عن أسلوب جديد لتدريسه في المرحلة الاعدادية يتفق مع ما تؤكده النظريات والأفكار الحديثة في مشاركة الطلبة الفعالة في الدراسة وتشجيعهم عليها.

وتبرز مشكلة البحث الحالي في السؤال الآتي:

- ما فاعلية استراتيجية شبكات التفكير البصري (VTN) ودورها في زيادة تحصيل الطلاب للمادة الدراسية ؟

ومن هنا جاء هذا البحث ليعالج جزءا من صعوبات تدريس مادة التأريخ بأسلوب حديث عن طريق شبكات التفكير البصري (VTN).

أهمية البحث:

أصبحت الثورة المعرفية اليوم سمة من سمات العصر الحديث وبرامجها تمتد إلى العملية التربوية من مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها بوصف

التربية مسؤولة عن إعداد وتأهيل الأجيال لمواجهة المتغيرات ومواكبة مظاهر التطور التي يشهدها العالم والتي تتسم بالتنوع والتسارع على مستوى العالم الذي يحيط بنا في جميع المجالات ، ولاسيما التعليمية منها(عطية،٢٠١٠: ٢٤٧).

فضلا عن ذلك أن التغيرات التي طرأت على المجتمع انعكست آثارها على مناهج المواد الدراسية عموما والمواد الاجتماعية خصوصاً في طرائقها وأساليبها التي تتناول بطبيعتها دراسة الإنسان والبيئة المحيطة به خاصة إذا ما عرفنا إن الإنسان دائم التطوير والتغير في مختلف جوانب حياته ممّا يترتب على الباحثين والمربين المشتغلين بهذا النوع من الدراسة تجديد معلوماتهم وتطويرها وترقية مهاراتهم لخدمة أنفسهم ومجتمعهم لمواكبة التغيرات سواء أ كان ذلك بالمحتوى العلمي واثرائه أم في طرائق التدريس وأساليبها (ابو سرحان،٢٠٠٠: ١١٧).

حيث لوحظ الاهتمام في الآونة الأخيرة بضرورة تنمية قدرة الطلاب على الوعي بالتفكير (التفكير في التفكير)، حيث إن التحكم في عمليات التفكير أساسي ومهم لدمج التفكير في عمليات التعلم داخل حجرات الدراسة، بالإضافة الى أن ذلك يساعد على قيام المتعلم بدور إيجابي في جمع المعلومات، وتنظيمها، وتكاملها، ومتابعتها، وتقييمها أثناء قيامه بعملية التعلم. (الاعسر،١٩٩٨: ٦٥)

وإذا كان الهدف من تنمية السلوك الذكي باعتباره الناتج الأساسي للتعلم، فأنه يفضّل مزج المقررات الدراسية باستراتيجيات تعليمية تصمّم خصيصا لتنمية قدرات الوعي بالتفكير Meta Cognition ، ولذا يفضّل تقديم هذه الاستراتيجيات في برامج إعداد المدرسين والموجّهين والقائمين على إعداد المناهج الدراسية (Costa،١٩٩٤:٣٢١).

وفي هذا الصدد تمثّل شبكات التفكير البصري معظم استراتيجيات ما وراء المعرفة واستراتيجيات التمثيل المعرفي الحديثة التي تستخدم لتحسين تعلّم الطلبة، حيث يستخدم الطلبة شبكات التفكير البصري VTN لتنظيم معرفتهم خلال دراستهم للعلوم عن طريق بناء شبكات مفاهيمية باستخدام عناصر لفظية أو صورية ؛ لتمثيل العلاقات المعرفية، حيث تشجّع شبكات التفكير البصري (VTN) المتعلم على الاهتمام بعمله. (Longo، ٢٠٠١:٣٢٣)

وإن استخدام الطلاب لشبكات التفكير البصري يزيد من وعيهم بما يتعلمونه في موقف معّين ووعي بالمهمة وبكيفية تعلمّهم على النحو الأمثل وعلى الاستراتيجية وإلى أي مدى تم تعلّمهم،أي نمو قدرة المتعلم على التفكير في الشيء المتعلّم وتحكمّه في هذا التعلم (عامر و المصري،٢٠١٦ : ١١٧).

وكنظرية جديدة فإن شبكات التفكير البصري (VTN) Network Visual Thinking)تشجّع الطالب على أن يدمج عددا من طرائق التفكير التي تعمل على تكوين المفهوم (Anderson، ١٩٩٧:٩٥) .

كما يستخدم المتعلمون شبكات التفكير البصري (VTN) لتنظيم معرفتهم في المواد الدراسية

عن طريق بناء شبكات مفاهيمية على الورق من خلال عناصر لفظية أو صورية، لتمثيل العلاقات المعرفية (Cliburn، ١٩٩٨:٣٣).

لذا يعدّ التفكير البصري أحد أشكال مستويات التفكير العليا ، حيث يمكن المتعلم من الرؤية المستقبلية الشاملة لموضوع الدراسة دون فقد أي جزء من جزئياته ، بمعنى أن المتعلم ينظر إلى الشيء بمنظار بصري (Novak، ١٩٩٨; ١١٧) .

حيث أشارت الأدبيات التربوية الى أن ملاحظة الأشكال هو بداية تكوين المفهوم، كما حظي موضوع شبكات التفكير البصري القائمة على استراتيجيات ما وراء المعرفة وخرائط المفاهيم والتمثيل المعرفي باهتمام ملحوظ في الآونة الاخيرة ، باعتبارها أحد الاستراتيجيات الجديدة في تدريس المواد الدراسية المختلفة وتنمية التفكير البصري لدى المتعلمين (جابر،١٩٩٨: ١٦٨).

وتتجلّى أهمية البحث الحالي في النقاط الاتية :

١.أهمية الصف الخامس الأدبي بوصفه الأساس الذي ترتكز عليه المراحل اللاحقة .

٢.الدراسات التي استعملت استراتيجية شبكات التفكير البصري ،تعدّ دليلاً واضحاً على أهميتها التطبيقية في تحسين تحصيل المتعلمين .

٣.يأمل الباحث أن تستفيد الجهات ذات العلاقة بالعملية التربوية من النتائج التي يتوصل إليها البحث في طرائق تدريس العلوم الاجتماعية بصورة عامة .

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة فاعلية استراتيجية شبكات التفكير البصري(VTN) في تحصيل طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ.

وللتحقّق من هذا الهدف صاغ الباحث الفرضية الصفرية الآتية:

فرضية البحث:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط الدرجات التحصيلية لطلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستعمال استراتيجية شبكات التفكير البصري (VTN) ومتوسط الدرجات التحصيلية لطلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في مادة التاريخ .

حدود البحث: يقتصر البحث الحالي على:-

١- عينة من طلاب الصف الخامس الأدبي في مركز محافظة كربلاء المقدسة.

٢- الفصول الثلاثة الاخيرة من كتاب تأريخ أوربا وأمريكا الحديث والمعاصر، ط١٠، ٢٠١٨م، المقرر تدريسه من قبل وزارة التربية العراقية.

٣- الكورس الثاني من العام الدراسي (٢٠١٨-٢٠١٩ م).

تحديد المصطلحات

أولاً: الفاعلية عرفها كل من:

١- مورس(Morris، ١٩٨٠)

بأنها « الأثر المرغوب أو المتوقع الذي يهتم بغرض معين». (Morris، ١٩٨٠: ٩٥)

٢- (عطية، ٢٠٠٨)

بأنها «تعني القدرة على إحداث الأثر وفاعلية الشيء تقاس بما يحدثه من أثر في شيء آخر».(عطية، ٢٠٠٨: ٦١).

التعريف الإجرائي:

هو الأثر الذي تحدثه استراتيجية شبكات التفكير البصري على مستوى تحصيل درجات طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة تأريخ أوربا وأمريكا الحديث والمعاصر.

ثانياً: شبكات التفكير البصري: عّرفها كل من

١ . عامر والمصري ،٢٠١٦) :

بأنها «سلسلة من العمليات العقلية التي يقوم بها الدماغ البشري عندما يتعرّض الفرد إلى مثير يتم استقباله من خلال حاسة البصر، حيث تساعد هذه العمليات الفرد في الوصول إلى المعنى الذي يحمله المثير والاستجابة له وتخزينه في الذاكرة واسترجاعه منه عند الحاجة». (عامر والمصري ، ٢٠١٦:٦٠)

٢ . (قرني، ٢٠١٧) :

بأنها «مجموعة من الاجراءات العقلية التي يقوم بها المتعلم من أجل بناء مخططات مفاهيمية بصرية لتمثيل العلاقات باستعمال الصور الرمزية (مع الألوان أو بدون الألوان)، لتحسين تعلّمه وتنظيم معرفته من خلال دراسة مادة معينة» . (قرني ،٢٠١٧: ٦٢) .

التعريف الإجرائي :

منظومة من العمليات الإدراكية المرتبطة بالجوانب الحسية البصرية معتمدة على ما يعرض على طلاب المجموعة التجريبية من مثيرات بصرية كأشكال وصور ورسومات وخرائط ذهنية ومعرفية وغيرها يقدمّها المدرس أثناء مدة التجربة.

ثالثاً: التحصيل عرّفه كل من:

١- شابلن (Chaplin، ١٩٧١)

بأنه مستوى محدّد من النجاح في عمل تعليمي أو درجة معينة من المهارة في عمل مدرسي أو أكاديمي. (Chaplin، ١٩٧١:٥))

٢- (علام، ٢٠٠٠)

بأنه «درجة الاكتساب التي يحققّها المتعلم أو مستوى النجاح الذي يحرزه أو يصل إليه في مادة دراسية أو مجال تدريسي معيّن». (علام، ٢٠٠٠: ٣٠٥).

التعريف الإجرائي:

هو مجموع ما يحصل عليه طلاب مجموعتي البحث من درجات في الاختبار التحصيلي البعدي الذي أعدهُ الباحث وفقاً لمحتوى الفصول الثلاثة الأخيرة من كتاب تاريخ أوربا وأمريكا الحديث والمعاصر، وذلك باستعمال استراتيجية شبكات التفكير البصري للمجموعة التجريبية وبالطريقة الاعتيادية للمجموعة الضابطة.

رابعاً: التأريخ عرّفه كل من:

١- هوكيت (Hokett، ١٩٦٨)

بأنه السجل المكتوب للماضي أو للأحداث الماضية. (Hokett، ١٩٦٨,١٣٨)

٢- (الجمل، ٢٠٠٥)

بأنه «كل شيء حدث في الماضي، كونه علما يتناول النشاط الإنساني في الأزمنة المختلفة ممّا جعله علما

ذا صلة وارتباط بكل العلوم المختلفة «. (الجمل، ٢٠٠٥: ٧)

التعريف الإجرائي:

هو المادة الدراسية التي يحتويها كتاب تاريخ أوربا وامريكا الحديث والمعاصر المقرر تدريسهُ من لدن وزارة التربية العراقية للصف الخامس الأدبي خلال العام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩م

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة:

الإطار النظري:

تعدّ شبكات التفكير البصري استراتيجية تعلّم حديثة كتقنية جديدة طوّرت على يد»بالما ونجو (palma Longo)، وهي استراتيجية شبكات التفكير البصري (visual Thinking Networks)،التي يمكن استخدامها لمساعدة المتعلمين على التفكير البصري، ثم طوّرت هذه الاستراتيجية في الوقت الذي بدأ فيه أندرسون (Anderson) بالتمهيد لاستخدام مسار جديد في تعلّم العلوم عن طريق الربط بين النتائج النظرية والنتائج التجريبية (النظرية والتطبيق)من خلال البيولوجيا العصبية والنظرية البنائية في التعلم Anderson،) ١٩٩٧:٩٦) وتمّثل شبكات التفكير البصري(VTN) جيلا جديدا من استراتيجيات التمثيل المعرفي وماوراء المعرفة، فهي جيل نتاج المعرفية المتجددة في علم الأعصاب المعرفية الإدراكية الحالي الذي حظي باهتمام التربويين كاستراتيجية جديدة في التدريس والتي تنمّي أنواعا مختلفة من التفكير ،ومنها التفكير التأملي لدى التلاميذ ،فهي تقوم على مبدأ التعليم عن طريق التفكير يحسنه (عامر والمصري، ٢٠١٦:١٠٥).

فالمتعلمون يستخدمون شبكات التفكير البصري لتنظيم معرفتهم خلال دراستهم للعلوم عن طريق بناء شبكات مفاهيمية، باستعمال عناصر لفظية أو صورية لتمثيل العلاقات المعرفية ،وتشجيع المتعلمين على الاهتمام بتعليمه، وعلى دمج عدد من طرائق التفكير التي تكون المفهوم ،ويّعد مسارا جديدا للربط بين النظرية والتطبيق في التعلم (قرني،٢٠١٧:٥٩).

واستراتيجيات شبكات التفكير البصري (visual Thinking Networks) تركّز على المتعلم النشط الذي يعتمد على دمج طرائق التفكير المختلفة مستخدما المهارات العقلية العليا من أجل تشكيل المفاهيم ،فالمتعلم عندما يبدأ في تنظيم معارفه العلمية وتمثيلها ،يستعمل الاستراتيجيات التي يستعملها الدماغ لإدراك أحداث العالم الخارجي، فهو يستعمل خواص اللون، والشكل ،والمكان أو الموقع عند بناء معرفته حول موضوع ما ،هذه المعارف ربطت مؤخرا بفهم كيفية بناء الفرد للعالم البصري المرئي من حوله وإضافة معلومات جديدة له (Fuster،١٩٩٧:٣٠٤). وأن تنمية الجانب البصري لدى المتعلم من العوامل التي تساعد على تنمية التفكير لديه وتحسّن من أدائه، وبالتالي تقوّي عملية التعلم لديه، وذلك ضمن نظرية الذكاءات المتعددة التي تعتمد على ثماني استراتيجيات لتنمية الذكاء، ومن أهمها الاستكشاف البصري Visual

Discovery)) من خلال الاعتماد على الأشكال والرسوم المختلفة، والإجابة على أسئلة المعلم داخل الفصل بالاعتماد على التصور البصري وعمليات التمثيل العقلية واستحضار الصور من الذاكرة (إبراهيم،٢٠٠٣ :٢٥).

مهارات التفكير البصري :

١ - مهارة القراءة البصرية : تعني القدرة على تحديد أبعاد وطبيعة الشكل أو الصورة المعروضة

٢ - مهارة التمييز البصري : تعني القدرة على التعرّف للشكل أو الصورة المعروضة ، وتمييزها عن الأشكال الأخرى أو الصور الأخرى .

٣ - مهارة إدراك العلاقات : القدرة على رؤية علاقة التأثير والتأثر من بين المواقع الظاهرة المتمثلة في الشكل أو الرسم المعروضة .

٤ - مهارة تفسير المعلومات: القدرة على إيضاح مدلولات الكلمات والرموز والإشارات في الأشكال وتقريب العلاقات بينهما .

٥ - مهارة تحليل المعلومات : تعني قدرة المتعلم في التركيز على التفاصيل الدقيقة والاهتمام بالبيانات الكلية والجزئية .

٦ - مهارة استنتاج المعنى : تعني القدرة على استخلاص معانٍ جديدة والتوصل إلى مفاهيم ومبادئ علمية من خلال الشكل أو الصورة المعروضة ، وهذه الخطوة محصلة للخطوات السابقة (الهويدي ، ٢٠٠٤ : ١٩٣)

مكونات التفكير البصري :

يعدّ التفكير البصري من النشاطات والمهارات العقلية التي تساعد المتعلم في الحصول على المعلومات وتمثيلها وتفسيرها وإدراكها وحفظها، ثم التعبير عنها وعن أفكاره الخاصة بصريا ولفظيا ، ولهذا فإن التفكير البصري يخبر بشكل تام عندما تندمج الرؤية والتخيّل والرسم في تفاعل نشط، ولتوضيح العلاقة بينها نأخذ مطابقة كل صنفين على حدة.

أ-عندما تتطابق الرؤية مع الرسم، فإنها تساعد على تيسير وتسهيل عملية الرسم بينما الرسم يؤدي دورا في تقوية عملية الرؤية وتنشيطها.

ب-عندما يتطابق التخّيل الرسم مع التخيل، فإن الرسم يثير ويعبّر عنه، أمّا التخيل فيوفر قوة دافعة للرسم ومادة له.

ت- عندما يتطابق التخيّل مع الرؤية، فإن التخيّل يوجّه الرؤية وينقيها، بينما توفّر الرؤية المادة الأولية للتخيل.(صالح،٢٠٠٨:٢٢)

عمليات التفكير البصري :

يعتمد التفكير البصري على عمليتين هما:

١- الإبصارVision: باستخدام حاسة البصر لتعريف وتحديد مكان الأشياء وفهمها وتوجيه الفرد لما حوله في العالم المحيط به .

٢- التخيّل Imagery:وهو عملية تكوين الصور الجديدة عن طريق تدوير وإعادة استخدام الخبرات الماضية والتخيّلات العقلية، وذلك في غياب المثيرات البصرية وحفظها في عين العقل، فالإبصار والتخيّل

هما أساس العمليات المعرفية باستخدام مهارات خاصة في المخ تعتمد على ذاكرتنا للخبرة السابقة .

مميزات استراتيجية التفكير البصري:

١- تساعد المتعلم على تنظيم معرفته ببناء شبكات مفاهيمية تتضمن استخدام عناصر لفظية أو صورية لتمثيل العلاقات المعرفية.

٢-تساعد المتعلمين على اختيار الألوان والتصورات الرمزية ذات المغزى (الدلالية) للمفاهيم العلمية.

٣-تشجّع المتعلم على دمج عدد من طرائق التفكير التي تعمل على تكوين المفهوم.

٣-تدعم طرائق جديدة لتبادل الأفكار.

٤-تساهم في حل القضايا العالقة بتوفير العديد من خيارات الحل لها .

٥-تعمّق التفكير وبناء منظورات جديدة .

٦-تنمّي مهارات حل المشكلات .

٧-تساعد في تحقيق تعلّم ذي معنى من خلال وصف كامل للموضوع من خلال فهمه . (أحمد،٢٠٠٨:٥٥)

دراسات سابقة:

١-دراسة الأنقر (٢٠١٧)

قياس برنامج قائم على استخدام شبكات التفكير البصري في تنمية مهارات التفكير عالي الرتبة لدى طالبات التاسع بغزة.

-هدف الدراسة: قياس فاعلية برنامج مقترح قائم على استخدام شبكات التفكير البصري في تنمية مهارات التفكير عالي الرتبة لدى طالبات التاسع بغزة.

-مواد وأداة الدراسة: تمثلت في البرنامج القائم على شبكات التفكير البصري واختبار مهارات التفكير عالي الرتبة.

-عينة الدراسة: بلغ إفراد العينة (٦٤) طالبا تم تقسيمهم إلى (٣٢) طالبة في المجموعة التجريبية درسن بالبرنامج القائم على شبكات التفكير البصري و(٣٢) طالبة في المجموعة الضابطة درسن بالطريقة التقليدية الاعتيادية.

منهج الدراسة: المنهج التجريبي

أهم نتائج الدراسة :

١-وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات الطالبات في المجموعة التجريبية ودرجات اقرانهن في المجموعة الضابطة في اختبار مهارات التفكير عالي الرتبة ككل وذلك لصالح المجموعة التجريبية .

٢-البرنامج القائم على شبكات التفكير البصري يحقّق الفاعلية في تنمية التفكير عالي الرتبة لدى طالبات الصف التاسع الأساسي . (الأنقر، ٢٠١٧: ١٩)

٢-دراسة مطر(٢٠١٨)

علاقة التفكير البصري بمجال ومراحل تطور تكنولوجيا التعليم (دراسة تحليلية)

-هدف الدراسة :

التعرّف على العلاقة الموضوعية على المستوى النظري والتطبيقي بين التفكير البصري كأحد القدرات الذهنية البشرية ومجال تكنولوجيا التعليم وذلك عبر المراحل المختلفة لتطوير مجال التكنولوجيا.

-توصلت الدراسة :

-وجود أهمية كبرى للتفكير البصري في العملية التعليمية .

-وجود أكثر من إستراتيجية وأساليب لتنمية التفكير البصري لدى المتعلمين، وأن التفكير البصري علاقة مباشرة أسهمت على المستوى النظري والتطبيقي في تطوير تكنولوجيا التعليم.(مطر، ٢٠١٨: ١٦٣)

٣-دراسةwanly etal ، ٢٠١١))

أثر استخدام شبكات التفكير البصري في التعليم باستخدام اللوح الأبيض

هدفت هذه الدراسة إلى التعرّف على أثر استخدام شبكات التفكير البصري في التعليم باستخدام اللوح الأبيض، حيث استخدم الباحث المنهج الوصفي، وقد اتبع طريقة المقابلة في جمع المعلومات، وتكونت عينة الدراسة من (٨٢) شبكة تفكير بصري على اللوح الأبيض، وأخذت من (٦٩) مشتركا ثم اجريت(١٠) مقابلات لهم ، حيث أظهرت النتائج في هذه الدراسة أن استخدام شبكات التفكير البصري يساعد على سرعة إيصال المعلومات لدى المتعلمين، كما كشفت أيضا أن نسبة الفهم عند المتعلم تزداد عند استخدام شبكات التفكير البصري ورسمها على اللوح الأبيض، كما أن شبكات التفكير البصري المرسومة على اللوح الأبيض تساعد على ربط المعلومات المطروحة والمطلوب حفظها. wanly etal ، ٢٠١١;٢٣٤))

أفادت الدراسات السابقة الدراسة الحالية في عدة جوانب منها:

١- التعرف على منهجية البحوث للإفادة منها في اختيار المنهجية المناسبة للبحث الحالي.

٢- وضع تصور مسبق لكيفية تحقيق أهداف بحثه.

٣- اعداد أداة البحث وتطبيقه.

٤- الاستفادة من الوسائل الإحصائية وكيفية استعمالها في معالجة البيانات وتحليل نتائج الدراسة.

٥- التعرف على علاقة النتائج التي سيتوصل إليها الباحث في دراسته الحالية مع الدراسات السابقة.

الفصل الثالث

منهج البحث وإجراءاته

أولاً : منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج التجريبي للتعرّف على (فاعلية استراتيجية شبكات التفكير(VTN) البصري في تحصيل طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ) ، لأنه المنهج المناسب لطبيعة البحث وهدفه، فضلاً عن أنه احد المناهج المستخدمة في البحوث التربوية والنفسية.

ثانياً : إجراءات البحث :

وهي اجراءات للوصول إلى هدف البحث والتثبّت من فرضيته وتمثّلت بـــ:

١- اختيار التصميم التجريبي:

يعدّ اختيار التصميم التجريبي أهمّ الخطوات التي تقع على عاتق الباحث عند قيامه بتجربة علمية، فسلامة التصميم وصحّته هي الضمان الأساس للوصول إلى نتائج موثوق بها فالتصميم التجريبي هو ذلك الجزء الذي يلخّص التركيب المنطقي للتجربة، ويشمل توضيحاً للمتغيرات الخاصة بموضوع الدراسة، وعدد المفحوصين، وكيفية تقسيمهم على شكل مجموعات، وضبط المتغيرين التي ترتبط

بالتجربة. (الكبيسي،٢٠١١: ٦٦)

ويعدّ اختيار التصميم التجريبي أولى الخطوات التي تقع على عاتق الباحث عند إجرائه تجربة علمية، إذ أن سلامة التصميم وصحته هما الضمان الأساس للوصول إلى نتائج سليمة ودقيقة ولذا اعتمد الباحث تصميماً تجريبياً ذا ضبط جزئي، واختبار تحصيلي بعدي، وعلى ما يوضحه الجدول (١):

المجموعة	المتغير المستقل	الاختبار
تجريبية	**شبكات التفكير البصري (VTN)**	اختبار بعدي
ضابطة	**الطريقة الاعتيادية**	اختبار بعدي

- مجتمع البحث:

يتكوّن مجتمع البحث الحالي من طلاب الصف الخامس الأدبي في المدارس الثانوية والإعدادية النهارية للبنين في محافظة كربلاء المقدسة للعام الدراسي ٢٠١٨- ٢٠١٩، حصل الباحث على هذه الأعداد من شعبة الإحصاء في المديرية العامة لتربية كربلاء المقدسة وكما في جدول (٢)

الموقع	المدارس الإعدادية	المدارس الثانوية	المجموع
مركز كربلاء	٩	–	٩
الهندية	٢	٣	٥
الخيرات	٢	١	٣
الجدول الغربي	٢	٢	٤
الحر	٢	١	٣
الحسينية	٣	٤	٧
المجموع	٢٠	١١	٣١

واختار الباحث قصديا مدارس مركز محافظة كربلاء المقدسة مجتمعا لبحثه الحالي والبالغ (٩) مدارس اعدادية وبالاختيار العشوائي ظهرت اعدادية مدينة العلم للبنين ميداناً للبحث.

٣- عينة البحث:

بعد أن حدّد الباحث المدرسة التي ستطّبق فيها التجربة زار الاعدادية عينة البحث، ووجد أن الصف الخامس الأدبي يتكون من شعبتين، وبطريقة السحب العشوائي اصبحت شعبة

(ب) البالغ عدد طلابها(٣٢) طالبا تمثّل المجموعة التجريبية وشعبة (آ) البالغ عدد طلاب (٣٣) طالبا تمثّل المجموعة الضابطة.

وبعد استبعاد الطلاب الراسبين البالغ عددهم (٥) طلاب، أصبح المجموع النهائي للطلاب (عينة البحث) (٦٠) طالباً بواقع (٣٠) طالباً في كل مجموعة وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول رقم (٣) الطلاب موزعين بين المجموعتين التجريبية والضابطة

المجموعة	الشعبة	عدد الطلاب قبل الاستبعاد	عدد الراسبين	عدد الطلاب بعد الاستبعاد
التجريبية	ب	٣٢	٢	٣٠
الضابطة	أ	٣٣	٣	٣٠
المجموع		٦٥	٥	٦٠

- تكافؤ مجموعتي البحث:

كافأ الباحث إحصائياً بين مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) في عدد من المتغيرات كونها قد تؤثّر في سلامة التجربة ومنها:

أ- العمر الزمني للطلاب محسوباً بالشهور:

ظهر المتوسط الحسابي للمجموعة التجريبية (١٨٦،٣٣٢) أمّا المجموعة الضابطة (١٨٥،٥٣٢) وبلغت القيمة التائية المحسوبة (٠،٩٨١) وهي أقل من القيمة الجدولية البالغة (٢،٠٠٠) عند درجة حرية (٥٨) وهذا يدلّ على أن مجموعتي البحث متكافئتان في العمر الزمني وجدول (٤) يبين ذلك:

جدول (٤) الوسط الحسابي والتباين والقيمة الجدولية والمحسوبة

لأعمار طلاب مجموعتي البحث

المجموعة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	١٨٦,٣٣٢	٣,٠٥٥	٥٨	٠,٩٨١	٢,٠٠٠	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	١٨٥,٥٣٢	٣,٢٥٦				

ب- التحصيل الدراسي للأب :

تمّ الحصول على معلومات التحصيل الدراسي للآباء عن طريق استمارة المعلومات التي تم تقديمها إلى الطلاب وكذلك البطاقة المدرسية حيث قسّم مستوى التحصيل إلى أربعة مستويات وللتحقق من تكافؤ المجموعتين في هذا المتغير استعمل اختبار كاي تربيع وحسب ما موضح في الجدول (٥).

جدول (٥) يبين قيمة مربع كاي تربيع في التحصيل الدراسي للآباء بين مجموعتي البحث

المجموعة	التحصيل الدراسي للأب				العدد	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
	ابتدائية	متوسطة	اعدادية	كلية فما فوق			المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	١١	٣	٧	٩	٣٠	٢	٠,٣٠	٥,٩٩	غير دالة إحصائياً
الضابطة	١١	٥	٦	٨	٣٠				
المجموع	٢٢	٨	١٣	١٧	٦٠				

ظهر من الجدول (٥) أن قيمة كأي تربيع (٠،٣٠) أقل من القيمة الجدولية (٥،٩٩) وهذا يشير إلى أنها غير دالة إحصائيا ما يؤكد أن مجموعتي البحث متكافئتان في هذا المتغير.

ج- التحصيل الدراسي للأم :

تمّ الحصول على التحصيل الدراسي للآباء عن طريق استمارة المعلومات التي قدّمت إلى الطلاب والبطاقة المدرسية اذ تم تقسيم مستوى التحصيل إلى أربعة مستويات للتحقق من تكافؤ المجموعتين في هذا المتغير استعمل اختبار كاي تربيع وحسب ما موضح في الجدول (٦) .

جدول (٦) قيمة مربع كاي تربيع في التحصيل الدراسي للأم بين مجموعتي البحث

المجموعة	التحصيل الدراسي للأب				العدد	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
	ابتدائية	متوسطة	اعدادية	كلية فما فوق			المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٥	٧	٨	١٠	٣٠	٢	٠,١٢٢	٥,٩٩	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٥	٦	٨	١١	٣٠				
المجموع	١٠	١٣	١٦	٢١	٦٠				

ظهر من الجدول (٦) أن قيمة كأي تربيع (٠،١٢٢) أقل من القيمة الجدولية (٥،٩٩) وهذا يوضّح إلى أنها غير دالة إحصائيا ما يؤكد أن مجموعتي البحث متكافئتان في هذا المتغير.

د- درجات اختبار الذكاء:

يعد اختبار الذكاء من المتغيرات التي قد تؤثّر على نتائج البحث لذا قام الباحث بضبط هذا المتغير قبل البدء بالتجربة من أجل معرفة هل أن طلاب المجموعتين يتصفون بالتكافؤ في هذا المتغير ام لا؟، ولأجل ذلك استعمل الباحث اختبار دانيلز(DANELS) المقنّن على البيئة العراقية (العبيدي، ٢٠٠٤: ١٠٥- ١٢٧) إذ بلغ متوسط المجموعة التجريبية(١٨،٨٠) درجة، في حين بلغ متوسط المجموعة الضابطة(١٧،١٣) درجة، واستعمل الاختبار التائي(test t-) لمعرفة دلالة الفرق بين المجموعتين فظهر انه ليس هناك فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة(٠،٠٥) إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة(١،٤٤) وهي أصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة(٢) وبدرجة حرية(٥٨) وهذا يدلّ على أن مجموعتي البحث متكافئتين في متغير الذكاء، والجدول(٧) يوضح ذلك.

جدول (٧) يبين الوسط الحسابي والتباين والقيمة الجدولية والمحسوبة لاختبار الذكاء

المجموعة	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	١٨,٨٠	٤,٨١	٢٣،١٣	٥٨	١,٤٤	٢,٠٠٠	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	١٧,١٣	٤,٨٩	٢٣،٩١				

هـ -التحصيل الدراسي السابق في مادة التاريخ:

كافأ الباحث بين طلاب مجموعتي البحث في درجات امتحان نصف السنة لمادة التاريخ للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩، كون تجربته تبدأ في الفصل الدراسي الثاني وعند التحليل الإحصائي لدرجات المجموعتين وجد متوسط درجات المجموعة التجريبية (٧٤،٠٣)، ومتوسط درجات المجموعة الضابطة (٧٣،٧) ولمعرفة فرق الدلالة بين درجات المجموعتين إحصائيا عند مستوى(٠٥،٠)، وجد أن القيمة التائية المحسوبة(٠،١٣) أقل من القيمة الجدولية البالغة(٢) بدرجة حرية (٥٨) ممّا يدلّ على تكافؤ مجموعتي البحث في هذا المتغير، الجدول (٨) يوضح ذلك.

جدول (٨) الوسط الحسابي والتباين والقيمة الجدولية والمحسوبة لدرجات التحصيل الدراسي السابق لمادة التاريخ

المجموع	العدد	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	التباين	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
						المحسو	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٧٤,٠٣	١٠,٠٨	،٦٩ ١٠١	٥٨	٠,١٣	٢,٠٠	غير دالة إحصائياً
الضابطة	٣٠	٧٣,٧	١٠,٨٦	٨٧،١١ ٧				

وزيادة على ما تقدّم من إجراءات التكافؤ الإحصائي بين مجموعتي البحث، حاول الباحث تفادي أثر بعض المتغيرات الدخيلة الى أنها تؤثّر في هذا النوع من التصاميم التجريبية، وفيما يأتي عرض لهذه المتغيرات الدخيلة وكيفية ضبطها :

١- ظروف التجربة والحوادث المصاحبة.

يقصد بها الحوادث والحروب والكوارث الطبيعية التي تحدث في أثناء قيام التجربة ولم يحدث أي حادث يعرقل سيرها ويؤثّر في المتغير التابع بجانب أثر المتغير المستقل.

٢- الاندثار التجريبي .

أن الاندثار هو الأثر الناتج عن ترك عدد من الطلاب الخاضعين للتجربة مّما يترتب تأثير في النتائج والبحث الحالي لم يتعرض لمثل هذه الحالات، باستثناء حالات الغياب الفردية وبنسب متقاربة إلى حد ما.

٣- أداة القياس .

سيطر الباحث على هذا المتغير باستعمال أداة موحدة لقياس المتغير التابع عند طلاب مجموعتي البحث، إذ أعدّ الباحث اختباراً تحصيلياً لأغراض البحث الحالي طبّق على مجموعتي البحث في وقت واحد.

٤- أثر الإجراءات التجريبية .

من أجل حماية التجربة من بعض الإجراءات التي يمكن أن يكون لها أثر في المتغير التابع عمل الباحث قدر المستطاع على الحد من أثر هذا العامل في سير التجربة، وتمثل في :

٥- الفروق في اختيار العينة: حاول الباحث قدر المستطاع تفادي أثر هذا المتغير في نتائج البحث وذلك بإجراء التكافؤ الإحصائي بين طلاب مجموعتي البحث في مجموعة من المتغيرات يمكن أن يكون لتداخلها مع المتغيرات المستقلة أثرٌ في المتغير التابع.

٦- سرية البحث: حرص الباحث على سرية البحث بالاتفاق مع إدارة المدرسة على عدم إخبار الطلاب بطبيعة البحث وهدفه، كي لا يتغيّر نشاطهم أو تعاملهم مما قد يؤّثر في سلامة التجربة ونتائجها.

٧- توزيع الحصص : استطاع الباحث السيطرة على هذا العامل من خلال التوزيع المتساوي للحصص بين مجموعتي البحث، إذ كان الباحث يدّرس ست حصص أسبوعياً بواقع ثلاث حصص لكل مجموعة، على وفق منهج وزارة التربية، إذ اتفق الباحث مع إدارة المدرسة ومدّرس التاريخ في المدرسة على تنظيم جدول توزيع الحصص بحيث في أيام (الأحد، والأربعاء والخميس)، وجدول(٩) يوضح ذلك.

جدول (٩) توزيع حصص مادة التاريخ على طلاب مجموعتي البحث

الأيام	الساعة ٨,١٥	الساعة ٩,٥
الاحد	الضابطة	التجريبية
الاربعاء	التجريبية	الضابطة
الخميس	الضابطة	التجريبية

.مدة التجربة:

كانت مدة التجربة موحدة ومتساوية لمجموعتي البحث، استمرت من يوم الاربعاء ٢٠١٩/٢/٢٠ ولغاية يوم الأحد الموافق ٢٠١٩/٤/٢٨وفي نهاية التجربة تم تطبيق الاختبار التحصيلي البعدي على عينة البحث.

متطلبات البحث:

أ - تحديد المادة العلمية :

حدد الباحث المادة العلمية للفصول الثلاثة (الخامس والسادس والسابع) التي سيدرسها من كتاب التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر للصف الخامس الأدبي للعام الدراسي ٢٠١٨-٢٠١٩.

ب- الأهداف السلوكية:

صاغ الباحث (١٢٥) هدفا سلوكيا اعتمادا على الأهداف العامة لتدريس مادة التاريخ التي أعدتها وزارة التربية وكذلك محتوى الموضوعات من كتاب تأريخ أوربا وأمريكا الحديث والمعاصر للصف الخامس الأدبي موزعة على المستويات الستة من تصنيف بلوم (المعرفة، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، التقويم) وبغية التثبت من الأهداف لمحتوى المادة الدراسية عرضت على مجموعة من الخبراء والمختصين في القياس والتقويم وطرائق التدريس والعلوم التربوية النفسية والتاريخ الحديث وفي ضوء آرائهم وباعتماد نسبة اتفاق٨٠٪ لقبول الهدف السلوكي فقد قبلت جميع الأهداف السلوكية ما عدا هدف سلوكي واحد تم حذفه وعدلت بعض الأهداف تبعا لآراء الخبراء وبذلك أصبحت الأهداف السلوكية بعد الحذف والتعديل بصيغتها النهائية(١٢٤) هدفا سلوكيا كما في جدول رقم (١٠) ، عدد الأهداف السلوكية وفق مستوياتها

معرفة	فهم	تطبيق	تحليل	تركيب	تقويم	المجموع
٤٢	٣٢	١٤	٩	١٥	١٢	١٢٤

ح- إعداد الخطط التدريسية:

ولمّا كان إعداد الخطط التدريسية يعدّ واحدا من متطلبات التدريس الناجح فقد أعدّ الباحث الخطط التدريسية الخاصة بمجموعتي البحث للموضوعات المقرر تدريسها على مدى الوقت المقرر للتجربة.

تم عرض جميع الخطط على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في التاريخ وطرائق تدريسه لاستطلاع آرائهم وملاحظاتهم ومقترحاتهم لغرض تحسين صياغة تلك الخطط، وجعلها سليمة وتضمن نجاح التجربة، وفي ضوء ما أبداه الخبراء من آراء وملاحظات أجريت بعض التعديلات اللازمة عليها.

- أداة البحث:

فيما يلي عرض لإجراءات إعداد أداة البحث:

١- الاختبار التحصيلي:

أن من متطلبات البحث الحالي وجود اختبار تحصيلي لقياس أثر المتغير المستقل في المتغير التابع فقد

قام الباحث بإعداد اختبار تحصيلي بالاعتماد على محتوى المادة والأهداف السلوكية ، وقد تم إعداد الاختبار بالخطوات الآتية :

١- إعداد الخريطة الاختبارية :

تعدّ الخريطة الاختيارية مخططاً تفصيلياً للاختبار التحصيلي الذي يشمل جزءًا من المادة الدراسية تتحدّد فيها مستويات الأهداف والنواتج التعليمية مع الوزن النسبي لكل مستوى مقابل كل موضوع لذا أعدّ الباحث خريطة اختبارية مشتملة على الفصول الثلاثة والأهداف السلوكية للموضوعات التي درسها للطلاب في مدة التجربة وللمستويات المعرفية الستة من تصنيف بلوم، وبذلك أصبحت فقرات الاختبار (٤٠) فقرة .

٢- صياغة فقرات الاختبار:

أعدّ الباحث اختباراً تحصيلياً من نوع الاختيار من متعدّد أساساً في اختباره، وقد بلغ عدد الفقرات (٤٠) فقرة اختبارية، موزعة على الموضوعات المقرر تدريسها، وشاملة للأهداف السلوكية التي أعدّها الباحث معتمداً على الخارطة الاختبارية التي أعدّها لهذا الغرض وبأربعة بدائل، وقد وُزع موضع الإجابة الصحيحة عشوائياً بين فقرات الاختبار لغرض قياس تحصيل طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة.

- صدق الاختبار:

بغية التثبت من صدق الاختبار الذي أعّده الباحث عُرِضَت فقراتهِ البالغة أربعين فقرة اختبارية على مجموعة من الخبراء والمتخصصين في التاريخ وطرائق التدريس، والعلوم التربوية والنفسية والقياس والتقويم، لاستطلاع آرائهم لبيان ملاءمة كل فقرة من فقرات الاختبار للهدف السلوكي الذي وضعت لقياسه، وسلامة صياغة الفقرات وتحديد المستوى الذي تقيسه الفقرة.

واعتمد الباحث على نسبة اتفاق(٨٠٪) أو أكثر من آراء الخبراء، لقبول الفقرة أو حذفها، وقد عُدّت الفقرة صادقة وصالحة إذا حصلت على هذهِ النسبة، وفي ضوء آراء وملاحظات الخبراء أعيدت صياغة بعض الفقرات والتي أعُدّت صالحة بعد التعديل وبذلك لم تحذف أية فقرة وبقى الاختبار يتكون من (٤٠)، أمّا صدق المحتوى فقد تم تحقيقه في ضوء الخارطة الاختبارية (جدول المواصفات).

- تطبيق الاختبار التحصيلي على عينة استطلاعية

للتأكد من الخصائص السايكومترية للاختبار ووضوح فقراته وتقدير الوقت المناسب للإجابة، طبّق الباحث الاختبار على عينة من طلاب الصف الخامس الأدبي من اعدادية جابر الانصاري للبنين من مجتمع البحث نفسه ولها مواصفات عينة البحث نفسها كان عددها (٣٠) طالباً، فاتضح إن الفقرات كانت واضحة وغير غامضة لدى الطلاب، وان متوسط الوقت المستغرق في الإجابة هو (٣٠) دقيقة.

- التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار التحصيلي

- عينة التحليل الاحصائي: إن الغاية من تحليل فقرات الاختبار احصائيا هو التأكد من صلاحية كل فقرة، وتحسين نوعيتها من خلال اكتشاف الفقرات الضعيفة أو الصعبة جداً، أو غير المميزة، او التي تتسم ببدائل

غير جيدة، واستبعاد غير الصالح منها (Turner، ١٩٩٧ :P ٢١١) بغية التحقق من صدق الاختبار عمل الباحث على تطبيق الاختبار التحصيلي على عينة بلغت (١٥٠) من مجتمع البحث نفسه من اعدادية الرافدين للبنين، وخصص درجة واحدة للفقرة التي تكون إجابتها صحيحة ، وصفرا للفقرة التي تكون إجابتها خاطئة، وتعامل الفقرة المتروكة أو التي تحمل أكثر من إجابة واحدة معاملة الفقرة الخاطئة و رُتِبت درجات لطلاب تنازلياً لمعرفة الآتي.

١. القوة التمييزية:

بعد أن حسب الباحث القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (٠،٣٠) و (٠،٦٩)، وتعدّ الفقرة جيدة اذا كانت قوة تميزها (٣٠٪) فما فوق(عودة،٢٠٠٠، ٢١٥) لذا أبقى الباحث على الفقرات جميعها من دون حذف أو تعديل.

٢. معامل الصعوبة:

بعد أن حسب الباحث معامل صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار وجدها تتراوح بين (٠،٤٠) و (٠،٦٦ ٠) ، وهذا يعني أن فقرات الاختبار تعدّ مقبولة ، حيث أن الاختبار جيد اذ تراوحت نسبة صعوبة فقراته بين (٢٠ – ٨٠ ٪) (الفتلاوي، ٢٠٠٤: ١٨٥) وهذا يعني أن فقرات الاختبار جميعها تعدّ مقبولة.

٣. فعالية البدائل الخاطئة.

بعد أن أجرى الباحث العمليات الإحصائية اللازمة لذلك، ظهر لديه إن البدائل الخاطئة لفقرات الاختبار التحصيلي قد جذبت إليها عدداً من طلاب المجموعة الدنيا اكبر من طلاب المجموعة العليا، إذ انها تراوحت بين (-٣٪ - -٢٨٪) ، لذا تقرر الإبقاء عليها جميعها من دون حذف أو تعديل.

ثبات اختبار التحصيل:

ثبات الاختبار يعني الدقة والثقة المتوافرة على أداة القياس؛ لأنَّ الأداة المتذبذبة

لا يمكن الاعتماد عليها، ولا الأخذ بنتائجها، وأنَّها مضيعة للجهد والوقت

والمال (الكبيسيّ،٢٠٠٧: ٢٠٠)

ولغرض استخراج الثبات للفقرات الموضوعية، استعمل الباحث طريقة (ألفا كرونباخ) على أفراد من عينة التحليل الإحصائي)، فبلغت قيمة معامل ثبات الاختبار (٠،٧٥)، وهو معامل ثبات عال، إذ يُعدُّ معامل الثبات جيداً، إذا بلغ (٠،٦٧) فأكثر

(النبهان، ٢٠٠٤: ٢٣٧).وإن فكرة المعادلة هو حساب الارتباطات بين الدرجات لعينة الثبات على فقرات المقياس جميعاً، إذ تقسم المقياس على عدد من الأجزاء يساوي عدد فقراته حيث تشكّل كل فقرة مقياساً فرعياً، فيوضّح معامل الثبات اتساق أداء الفرد من فقرة أخرى، أي التجانس بين فقرات المقياس. (Cronbach،١٩٥١،٢٩٨)

تطبيق تجربة البحث

في الأسبوع الأول من انتهاء التجربة أجرى الباحث اختباراً في الموضوعات التي درسها وطبق الاختبار التحصيلي على مجموعتي البحث (التجريبية

والضابطة) في يوم الأحد الموافق ٢٨ /٢٠١٩/٤ الساعة التاسعة والنصف، بعد أن نظّم الطلاب في القاعات الدراسية وأشرف الباحث بنفسه على سير الاختبار وتوضيح الهدف من الاختبار وكيفية الإجابة على الاختبار للمحافظة على سلامة التجربة .

طريقة تصحيح الاختبار

أعطى الباحث (١) درجات للإجابة الصحيحة لكل فقرة من فقرات الاختبار و(صفر) للإجابة غير الصحيحة، وقد عوملت الفقرات المتروكة والفقرات التي لم تكن الإجابة عنها واضحة والإجابات الناقصة معاملة الإجابات غير الصحيحة.

الوسائل الإحصائية: استعمل الباحث مجموعة من الوسائل الاحصائية منها:

١- مربع كا٢

٢- معامل ارتباط بيرسون لاستخراج ثبات الأداة

٣- معادلة صعوبة الفقرة

٤- معادلة تمييز الفقرة

٥- الاختبار التائي (T- test) لعينتين مستقلتين

٦- فعالية البديل. (الكبيسي، ٢٠١١: ١٩٣-٢٤٣-٢٤٦-٢٧٦)

الفصل الرابع

عرض النتائج وتفسيرها:

طبّق الباحث اختبار التحصيل على طلاب مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة)، من أجل التحقّق من صحة فرضية البحث التي تنصّ على أنه لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط الدرجات التحصيلية لطلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستعمال استراتيجية شبكات التفكير البصري (VTN) ومتوسط الدرجات التحصيلية لطلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في مادة التاريخ .

وباستعمال اختبار (T- test) لعينتين مستقلتين في معرفة دلالة الفرق بين متوسط درجات مجموعتي البحث تم إخضاع نتائج الاختبار للتحليل الإحصائي وتم استخراج الوسط الحسابي والتباين والانحراف المعياري لدرجات طلاب مجموعتي البحث(التجريبية والضابطة) وباستعمال اختبار (T- Test) لعينتين مستقلتين تم إيجاد القيمة التائية المحسوبة، فوجد أن هناك فرقا ذا دلالة إحصائية عند مستوى دلاله(٠,٠٥) ودرجة حرية (٥٨) ولصالح المجموعة التجريبية التي درست بالمتغير المستقل شبكات التفكير البصري إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة(٨٢،٨) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢،٠) وكما مبين في جدول رقم (١١) :

جدول رقم (١١)

المجموعة	عدد العينات	المتوسط الحسابي	التباين	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة (٠,٠٥)
						المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٠	٢٤,٠٥	١٣,٣٩	٣,٦٦	٥٨	٨,٨٢	٢ ,٠	دالة إحصائية
الضابطة	٣٠	١٥,٩٠	١٢,٢٣	٣,٥٠				

وهذا يدلّ على تفوّق طلاب المجموعة التجريبية التي درست باستعمال استراتيجية شبكات التفكير البصري على طلاب المجموعة الضابطة التي درست بالطريقة الاعتيادية في التحصيل، وبذلك ترفض الفرضية الصفرية وتقبل الفرضية البديلة التي تنصّ على أنه يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات المجموعة التجريبية الذين يدرسون مادة التاريخ باستعمال شبكات التفكير البصري ومتوسط درجات طالبات المجموعة الضابطة الذين يدرسون المادة نفسها بالطريقة الاعتيادية.

تفسير النتائج:

١- شبكات التفكير البصري جعلت الطلاب محور العملية التعلمية وهذا ينعكس على فهم المادة الدراسية واستيعابها ورسوخها في أذهانهم .

٢- إن التدريس وفقاً لشبكات التفكير البصري يجعل من الطلاب أكثر ثقة بأنفسهم والتعبير عن آرائهم وأفكارهم وتبادل وجهات النظر مع زيادة فهم المادة الدراسية أكثر .

٣- إن شبكات التفكير البصري تعمل على مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، كونها تناسب جميع مستوياتهم ، لما توّفره من أشكال ولغة مألوفة وبسيطة ساعدت في زيادة تحصيل الطلاب.

٤- إن استعمال شبكات التفكير البصري أدت الى تفاعل الطلاب مع الدرس وهذا ينعكس على ازدياد نشاطهم وتركيزهم على المادة الدراسية بوصفها طريقة تدريس جديدة لم يعتدها الطلاب من قبل.

٥- التدريس باستعمال شبكات التفكير البصري يعدّ أكثر فاعلية لأنها تساعد على ترسيخ المعلومات في ذهن الطالب وإبقائها لأطول مدة ممكنة في ضوء استعمال مثيرات متعددة داخل الصف تدفع الطلاب الى الشعور بالإثارة والتشويق والمتعة في فهم المادة.

الاستنتاجات:

١- إن لاستخدام شبكات التفكير البصري بما يتضمنه من مراحل وخطوات يساعد على زياد تحصيل الطلاب ويزيد الرغبة في التعلّم ومن ثم يعني بتحقيق الغاية المرجوّة من تعلّم التاريخ .

٢- تعمل شبكات التفكير البصري على تلخيص المادة، واختزال المعلومات والحقائق والأفكار مّما يجعل المادة اكثر تركيزاً وأسهل فهماً.

٣-إن استعمال شبكات التفكير البصري في التدريس

يزيد من دافعية الطلاب نحو المادة كونها من الاستراتيجيات الفعالة في التدريس لما تتمتع به من الإثارة والتشويق.

التوصيات:

١- تضمين الدورات التدريبية التي تقيمها مديرية التربية استراتيجيات حديثة ومنها شبكات التفكير البصري.

٢- حث الملاكات التعليمية في مختلف المراحل على استعمال شبكات التفكير البصري وأهميتها في التدريس وتفعيلها في العملية التعليمية.

٣- تضمين مفردات مادة طرائق التدريس في كليات التربية والتربية الأساسية طرائق واستراتيجيات حديثة منها استراتيجيات التفكير البصري.

٤- تهيئة الصفوف والقاعات الدراسية والأثاث والأجهزة والوسائل التعليمية اللازمة، لمساعدة المدرس على استعمال الطرائق والاستراتيجيات المناسبة.

المقترحات:

١- اجراء دراسة لمعرفة فاعلية استراتيجيات شبكات التفكير البصري في اكتساب المفاهيم التاريخية.

٢- إجراء دراسة ترمي إلى معرفة فاعلية استراتيجيات التفكير البصري من أجل إجراء مقارنة بين الطلبة الذكور والإناث.

٣- إجراء دراسة مماثلة للدراسة الحالية في مواد دراسية أخرى.

المصادر والمراجع

١- ابو سرحان، عطية عودة، (٢٠٠٠): دراسات في أساليب التربية الاجتماعية والوطنية، ط١، دار الخليج للنشر والتوزيع .

٢- إبراهيم، يونس (٢٠٠٣):تكنولوجيا تعليم بين الفكر والواقع، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

٣- أحمد، عبد الرحمن (٢٠٠٨):التحصيل الدراسي لدى تلاميذ الصف الأول الإعدادي، مجلة كلية التربية حلوان، المجلد الرابع، العدد الرابع، أكتوبر.

٤- الأعسر، صفاء (١٩٩٨): التعلم من أجل التفكير، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٥- الأنقر، نيفن رياض (٢٠١٧): قياس برنامج قائم على استخدام شبكات التفكير البصري في تنمية مهارات التفكير عالي الرتبة لدى طالبات الصف التاسع، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة.

٦- جابر، عبد الحميد (١٩٩٨): التعلم وتكنولوجيا التعليم، الفاعلية، دار النهضة العربية، الاردن.

٧- الجمل، علي احمد،(٢٠٠٥) : تدريس التاريخ في القرن الحادي والعشرين، ط١، عالم الكتب للطباعة والنشر، القاهرة .

٨- حسن، مهدي(٢٠٠٨): فاعلية استخدام برمجيات تعليمية على التفكير البصري والتحصيل في التكنولوجيا لدى طالبات الصف الحادي عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الاسلامية، غزة.

٩- عامر، طارق عبد الرؤوف والمصري، ايهاب عيسى(٢٠١٦): التفكير البصري-مفهومه مهاراته- استراتيجيته - ط١، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة.

١٠- العبيدي، عبد الله احمد:(٢٠٠٤)، دلالات الصدق والثبات لاختبار دانيلز، حولية أبحاث الذكاء والقدرات العقلية، العدد (١)، بغداد، العراق.

١١- عبد الهادي، جودت (٢٠٠٩):علم النفس التربوي واستراتيجياته ،المسرة ،عمان، الأردن.

١٢- عطية، محسن علي(٢٠٠٨): الاستراتيجيات الحديثة في التدريس الفعال، دار صفاء للنشر، عمان.

١٣- (٢٠١٠):اسس التربية الحديثة ونظم التعليم، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.

١٤- عودة، أحمد سليمان(٢٠٠٠): القياس والتقويم في العملية التدريسية، ط٣، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن.

١٥- علام، صلاح الدين (٢٠٠٠): القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

١٦- صالح، عبد الله عبد الكبير وآخرون (٢٠٠٨) : معوقات تعليم مهارات التفكير في مرحلة التعليم الأساسي (دراسية ميدانية) الجمهورية اليمنية، مركز البحوث والتطوير التربوي فرع عدن.

١٧- الكبيسي، عبد الواحد حميد (٢٠٠٧): القياس والتقويم تحديدات ومناقشات، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان ، الاردن.

١٨- الكبيسي، وهيّب مجيد (٢٠١١): طرائق البحث العلمي بين التنظير والتطبيق، مكتب اليمامة للطباعة ،بغداد، العراق.

١٩- قرنى، زبيدة محمد(٢٠١٧): استراتيجيات التعليم وخرائط التعلم، ط١، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٠- مطر، طه محمد احمد طه (٢٠١٨): علاقة التفكير البصري بمجال ومراحل تطور تكنولوجيا التعليم (دراسة تحليلية)، بحث منشور، مجلة دراسات تربوية ، العدد٧، كلية التربية ، جامعة افريقيا العالمية.

٢١- النبهان، محمد(٢٠٠٤): اساسيات القياس والعلوم السلوكية، ط١، دار الشروق للنشر، عمان.

٢٢- الهويدي، زيد(٢٠٠٤):الإبداع، ماهيته، اكتشافه، تنميته، ط١، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة.

23- Anderson، O. R. (1997). A neuro cognitive perspective of current learning theory and science instructional strategies. Science Education، 81، 67-89.

24- Chaplin، J. P.: (1971) Dictionary of Psychology، 4th ed، Dell، New York،.

25-Cliburn،W.J.(1998).Concept maps to promote meaningful learning ،Journal of College Science Teaching،29،(15).212-217.

26-Costa،A.L.(1994).Teaching for intelligent behavior ،Educational Leadership،79،(41).32-35.

27- Cronbach ،L.J(1951): Coefficient Alpha and internal structure of test ،psychometrika،Vol.(16)، N،.

28- Hockett، C. H. (1968): The critical method inhistorical Reseavch and writing، New york، The Mac Millan Co.

29- Longo & et al. (2002).Visual Thinking Networking Promotes Problem Solving Achievement for 9th Grade Earth Science Students، Electronic Journal of Science Education. 7(1)، September، 1-51.

30- Morris، w. (1980): The Americal Hevitage Dictionary Of The English language، U.S.A، Houghon miffin.

31- Novak، J. D. (1998). Met cognitive strategies to help students learning how to learn.(Research Matters to the Science Teacher، No. 9802).

32- Walny، J.، Carpendale،S.، Riche،N.، Venolia ، G.،& Fawcett، P.(2011). Visual Thinking In Action: Visualizations As Used On Whiteboards Manuscrits

Effect of differential feed from examination of retention and transfer، Journal of Educational Psychology، Vol. So. No.8، P. 259، (1997).

33- Wileman ،R-E-(1993):Visual Communicating، Englewood Cliffs، N-J-Educational Technology Publication، Ebisco Electronic.

34- Turner، Ralph، R. Hall. V. C.:

الله أكبر

to the author.

• If the article has already been published online، depending on the nature and severity of the infraction:

1- an erratum/correction may be placed with the article

2- an expression of concern may be placed with the article

3- or in severe cases retraction of the article may occur.

The reason will be given in the published erratum/correction، expression of concern or retraction note. Please note that retraction means that the article is maintained on the platform، watermarked “retracted” and the explanation for the retraction is provided in a note linked to the watermarked article.

• The author’s institution may be informed

• A notice of suspected transgression of ethical standards in the peer review system may be included as part of the author’s and article’s bibliographic record.

Fundamental errors

Authors have an obligation to correct mistakes once they discover a significant error or inaccuracy in their published article. The author(s) is/are requested to contact the journal and explain in what sense the error is impacting the article. A decision on how to correct the literature will depend on the nature of the error. This may be a correction or retraction. The retraction note should provide transparency which parts of the article are impacted by the error.

Suggesting / excluding reviewers

Authors are welcome to suggest suitable reviewers and/or request the exclusion of certain individuals when they submit their manuscripts. When suggesting reviewers، authors should make sure they are totally independent and not connected to the work in any way. It is strongly recommended to suggest a mix of reviewers from different countries and different institutions. When suggesting reviewers، the Corresponding Author must provide an institutional email address for each suggested reviewer، or، if this is not possible to include other means of verifying the identity such as a link to a personal homepage، a link to the publication record or a researcher or author ID in the submission letter. Please note that the Journal may not use the suggestions، but suggestions are appreciated and may help facilitate the peer review process.

rized and/or paraphrased)، quotation marks (to indicate words taken from another source) are used for verbatim copying of material، and permissions secured for material that is copyrighted.

Important note: the journal may use software to screen for plagiarism.

• Authors should make sure they have permissions for the use of software، questionnaires/(web) surveys and scales in their studies (if appropriate).

• Authors should avoid untrue statements about an entity (who can be an individual person or a company) or descriptions of their behavior or actions that could potentially be seen as personal attacks or allegations about that person.

• Research that may be misapplied to pose a threat to public health or national security should be clearly identified in the manuscript (e.g. dual use of research). Examples include creation of harmful consequences of biological agents or toxins، disruption of immunity of vaccines، unusual hazards in the use of chemicals، weaponization of research/technology (amongst others).

• Authors are strongly advised to ensure the author group، the Corresponding Author، and the order of authors are all correct at submission. Adding and/or deleting authors during the revision stages is generally not permitted، but in some cases may be warranted. Reasons for changes in authorship should be explained in detail. Please note that changes to authorship cannot be made after acceptance of a manuscript.

*All of the above are guidelines and authors need to make sure to respect third parties rights such as copyright and/or moral rights.

Upon request authors should be prepared to send relevant documentation or data in order to verify the validity of the results presented. This could be in the form of raw data، samples، records، etc. Sensitive information in the form of confidential or proprietary data is excluded.

If there is suspicion of misbehavior or alleged fraud the Journal and/or Publisher will carry out an investigation following COPE guidelines. If، after investigation، there are valid concerns، the author(s) concerned will be contacted under their given e-mail address and given an opportunity to address the issue. Depending on the situation، this may result in the Journal's and/or Publisher's implementation of the following measures، including، but not limited to:

• If the manuscript is still under consideration، it may be rejected and returned

Publishing ethics

Researchers should conduct their research from research proposal to publication in line with best practices and codes of conduct of relevant professional bodies and/or national and international regulatory bodies. In rare cases it is possible that ethical issues or misconduct could be encountered in your journal when research is submitted for publication.

Ethical responsibilities of authors

This journal is committed to upholding the integrity of the scientific record. As a member of the Committee on Publication Ethics (COPE) the journal will follow the COPE guidelines on how to deal with potential acts of misconduct. Authors should refrain from misrepresenting research results which could damage the trust in the journal، the professionalism of scientific authorship، and ultimately the entire scientific endeavour. Maintaining integrity of the research and its presentation is helped by following the rules of good scientific practice، which include*:

• The manuscript should not be submitted to more than one journal for simultaneous consideration.

• The submitted work should be original and should not have been published elsewhere in any form or language (partially or in full)، unless the new work concerns an expansion of previous work. (Please provide transparency on the re-use of material to avoid the concerns about text-recycling ('self-plagiarism').

• A single study should not be split up into several parts to increase the quantity of submissions and submitted to various journals or to one journal over time (i.e. 'salami-slicing/publishing').

• Concurrent or secondary publication is sometimes justifiable، provided certain conditions are met. Examples include: translations or a manuscript that is intended for a different group of readers.

• Results should be presented clearly، honestly، and without fabrication، falsification or inappropriate data manipulation (including image based manipulation). Authors should adhere to discipline-specific rules for acquiring، selecting and processing data.

• No data، text، or theories by others are presented as if they were the author's own ('plagiarism'). Proper acknowledgements to other works must be given (this includes material that is closely copied (near verbatim)، summa-

Dawat Journal

Form of Full intellectual Property Rights Transfer to the Editorial Board of the Dawat Journal

I/ we hereby agree to transfer the full intellectual property rights including copyrights and distribution to the editorial board of Dawat Journal for the research article titled _____

L، the undersigned author(s)، do undertake and acknowledge the following:

1- the research article does not include or contain material taken from other copyrighted sources .

2- the manuscript has not been submitted in whole or in part to any other party to be published in a scientific journal، a newspaper، or any other medium.

3- Commitment to the scientific integrity and the ethics of scientific research in writing the research titled above and assuming all legal liability for the intellectual and physical rights of others.

4- Giving approval for publishing the manuscript in any medium، whether printed، electronic، or otherwise and transferring the right of publication and writing to the editorial board of the Dawat Journal.

5- Complying with the publishing instructions in effect in the journal and editing the language of the research.

6- the obligation to pay the financial expenses of all evaluation procedures in the event of the desire to withdraw the research article or not to pursue the evaluation procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures when there is any desire to withdraw the research or not to pursue the procedures of its publication.

7- the author(s) shall retain all property rights such as patent rights and the right to use all or part of the article in his her their future works such as lectures press releases، and the revision of textbooks.

8- If the editorial board agrees to publish the above mentioned research، I we agree that I we do not have the right to dispose of the research by translating، quoting، citing summarizing or any type of use in the media، without obtaining written approval from the editor.

Principal Researcher›s Name: ……..… phone Number: ……..……..

name of the Researcher›s Organization: ……..……..

Principal Researcher›s Email Address: ……..……

The researchers (if any) are arranged according to their sequence in the research when published in the journal:

Researcher Name: signature:

1-

2-

3-

Date:

Note: Please send a scanned copy of the duly signed form by e-mail to the editor –in- chief.

a. After submission، the author will receive notification that the article has been received

b. The author whose article is accepted for publication will be notified by the board of editors about the date of publication.

c.The articles which need modification and changes will be sent back to their authors in order to do the required changes.

d. Authors whose articles are rejected will receive notification of this decision without giving reasons.

e. A researcher destowed a version in which the meant research published.

12.Priority of article publication depends on:

a.Participation in the conferences held by the publisher .

b.The date of receiving the article by the editor.

c.The date of receiving the modified articles،and

d.The diversity of research areas in the journal.

13. An author can not get back his/her article if it is being under review by the editorial board unless there are substantive reasons، and this should be within two weeks of receiving the article.

Guidelines of Authors

1.The journal publishes the original scientific articles which adhere to the scientific procedures and the global common standards، and are written either in Arabic or English on various fields of Arabic language and literature، and education.

2.The author should provide 3 copies of the original article printed on A4 size، together with a CD copy ، within 10،000 -15.000 words in length ، usig simplified Arabic font and Word 2007 page numbering format.

3. Abstract should be submitted in a separate page written in both Arabic and English، and include the title of the article.

4.The first page of the article should include the author's name ، address ، institutional affiliation key words of article، mobile ،and e-mail ، but author's /s' name/s should not appear in the body of the article.

5. All sources in the article should be given a number placed in a superscript which will be in the form of endnotes at end of the article taking in consideration the common system of documentation.

6. All the sources listed in the endnote should be listed in a bibliography given on a separate page after the notes at the end of the article . in case of having foreign sources ، they should be grouped together in a separate list and arranged alphabetically.

7.Tables، photos، and drawings should be given in separate pages with a reference to their sources at the bottom in a caption.

8.A bioprofile should be given if the author collaborates with the journal for the first time، with an illustration if the article has previously been presented at a conference or not.

9.The article should not be published in any journal or submitted simultaneously for publication elsewhere.

10. The views expressed in DAWAT Journal are those of the article authors، and they do not necessarily represent the views of the journal.

11. Research articles are reviewed confidentially in order to assess its suitability for publication and they are not given back to the authors if they are accepted for publication or rejected،but in accordance with the following procedure:

Managing Editor

Dr. Lateef Al-Qasab

Proofreaders

Arabic Language

Dr.Ghanim Kamil Suood

Abass Al-Sabag

English Language

Mudhafer Al-Rubai

Electronic Website

Haider Al-Amiry

Design and Production

Hussamuldeen Mohammed

Coordination

Hassan Al-Zihary

Aiz Al-Din Al-Tai

Follow

Dr.Hussein Mohammedian

Muhammad Ali Al-Rubaie

Alaauldeen Al-Hassani

Qassem Al-Moussawi

Musaab Hadi Al- Numany

Haidar Azhar Al - Fatlawi

Editor-in-Chief

Assist.Prof.Khalid Abbas Al.Syab / Iraq / University of Karbala

Board of Editors

Prof.Dr.Mustafa AL-Ddabaa / Egypt / Fayoum University
Prof.Dr.Mahmoud Muhammad Al-Hassan / Syria / University of Hama
Prof.Dr.Abdalali Al-Wadghiry / Morocco / University of Rabat
Prof.Dr. Nasir A l-Din M. Al-Sadiq/Algeria/University of Shaheed Hama Lakhdar
Prof.Dr. Ghazali Hashmi/Algeria/University of Mohamed El Sherif
Prof.Dr.Sahib Jaffer Abujinah / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr. Mohammed Jawad Mohammed Turaihi / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Sabah Abbas Al-Salim / Iraq / University of Babylon
Prof.Dr.Kareem Hussein Naseh / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Raheem Jabr Al-Hissnawy / Iraq / University of Babylon
Prof.Dr.Farooq Al-Haboobi / Iraq / University of Karbala
Prof.Dr.Ahmed Jwad Al-Atabi / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Mehdi Salah Al.Shimary / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr. Latifa Abdul Rasool Al - Dhaif / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Sadiq Hussein Knyj / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Muhammad Abd Mashkoor / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr. Najim Abdullah Ghali / Iraq / University of Maysan
Dr.Karimh Nomas Al-mdny / Iraq / University of Karbala
Prof.Dr. Faiz Hato Al-Shara / Iraq / Mustansiriyah University
Prof.Dr.Talal Khalifa Sulyman / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Hassan Jaffer Sadiq / Iraq / University of Baghdad
Prof.Dr.Khalid Sahr Muhi / Iraq / Mustansiriyah University
Dr.Haydar Abdali Hemydy / Iraq / University of Karbala
Dr.Gashf Gumall /India /University of Jawaharlal Nehru

In the Name of Allah, the most Gracious, the Most Merciful

(And His signs are the creation of heavens and earth and the diversity of your tongues and colors. Surely, there are signs in this for all the worlds)

(Surat Ar-Rum,Ayat 22)

الأمانة العامة
العتبة الحسينية المقدسة

دار اللغة والأدب العربي

DAWAT دواة

Quarterly Refereed Journal for Researchers, and Linguistic and Educational Studies

General Secretariat of the Holy Shrine of Imam Hussein،
Arabic Language House

Licensed by
Ministry of Higher Education and
Scientific Research،Republic of Iraq

Consignment Number in the Book-House and
Iraqi Documents: 2014،1963

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob:+9647700477445 — +9647734616433
+9647827236864 — +9647721458001